

عن الكتاب

تضمي المؤلف اثني عشر عاماً في سجون وإيوانات ومعتقلات الملكية المصرية ، وجمهورية مصر ، والجمهورية العربية المتحدة ، وبعد خسروجه ظل سنوات أخرى يتأمل بعض أحداث جيله ... وفي لحظة صدق مع نفسه سجل هذه التجربة الغريبة .

إن رحلة المؤلف في سجون مصر كما سجلها في هذا الكتاب لم تكن رحلة حقد على أحد .. ولم تكن رحلة انتقام بالكلمات من السجائين .. لأن السجائين ببساطة مذلة يموتون في اللحظة التي يقبلون فيها هذا العمل .

إن رحلة هذا الكتاب تؤكد أن سؤال الإنسان عن حقه في الحب أمر طبيعي .. وأن فهم الإنسان لظروف مجتمعه أمر هادئ جداً حتى وإن كان لئال المؤمنين .

والكتاب قد يبدو في ظاهره مجرد رحلة في السجون السياسية .. لكنه في أعماقه رحلة لسان يبحث عن حقه الطبيعي في الحرية والحب . إنه رحلة الإصرار على الحق التي تجعل العذاب الذي يفرضه السجناء هو طاقة جديدة ينير بها الإنسان أيام المستقبل .

حاول أن تفهم حقا في حب الحياة والناس بأن تقرأ هذا الكتاب أكثر من مرة .

الناشر





رسائل سجين سياسي
في حبسيتهم

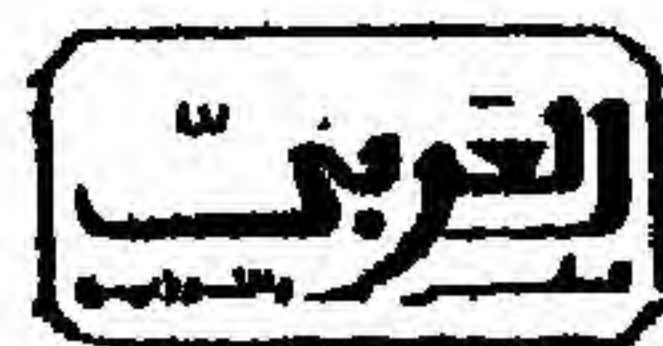
العربي

0016248

مصطفى طيبة

**رسائل سجين سياسي
إلى حبيبته**

الجزء الأول



سجن مصر
ليمان طره
تخشيبة الوايلي
معتقل القلعة
سجن الواحات الخارجة
ليمان أبو زعبل
تخشيبة مصر الجديدة
سجن الاستئناف
تخشيبة السيدة زينب
سجن المحاريق
سجن القناطر الخيرية

121

حبیبتی

هل تذكرين حديثك التليفونى معى فى اول يناير عام ١٩٦٥ ؟

انا ما زلت اتذكره بالحرف الواحد .

- الاستاذ

- انا هو .

- متى خرجت من السجن ؟

- ٤ ابريل ١٩٦٤

- كم سنة مكثت فى السجن ؟

- ١٢ سنة

- سجن او اعتقال

- ١٠ سنوات سجن و ٢ اعتقال

- ولماذا لم تخرج بعد قضاء مدة العقوبة ؟

- من انت ؟

- صديقة .

- ما اسمك ؟

- وهل يهمك اسمى ؟

- ما دمت صديقة كما تقولين فيهمنى ان اعرف اسمك .

- وهل تعرف اسم كل صديقاتك وأصدقائك ؟

- أظن ذلك والا اكون قد فقدت ذاكرتى .

- تواضع هذا ؟

- واين التواضع هنا ؟

- انت فارس الاربعينات .

ومرت ثوان شهدت خلالها شريطا سينيمائيا يسجل أحداث الاربعينات حتى يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ اليوم الذى اعتقلت فيه وهنا جاء صوتك يحمل رنة سخرية .

- لماذا توقف ارسالك ؟

- وبدت رنة الغضب فى نبرات صوتى .

- هل تسخرين منى ؟

- ووصلت الى نبرات صوتك تحمل الأسف والاعتذار

- عفوا « أسفة » كنت امزح معك .

- واستمرت رنة الغضب فى صوتى .

- هل أنت من شباب الستينات الذين شطبوا على كل ما قدمناه لشعبنا ؟

- وجاءت نبرات صوتك تحمل أسفك للمرة الثانية .

- كلا ، كلا

- ابدا • ابدا • ولكن لنا بعض الملاحظات • ومن واجبكم ان تسمعوها •
- هل هي ملاحظات او احكام مسبقة ؟
- « ولم تردى الا بعد ثوان - ادركت خلالها انك فهمت ما أقصده »
- معك حق هناك فرق بين ملاحظات قد تكون سليمة وقد تكون خاطئة ومن الضروري أن تناقش والا صارت احكاما مسبقة تضر بالمسيرة •
- « وموت لحظة عانت ذاكرتي خلالها الى الوراء •• الاربعينات والخمسينات والسنوات الاربع في الستينات •• ثم جاء صوتك يحمل رنة الصق »
- أرجو ان لا أكون قد لست جانباً من مسيرتكم يؤثر حساسية خاصة عنكم •
- أبدا • أبدا • من رأى أن هذا الجانب بالذات هو الذى يجب أن تعرفوه يا جيل الستينات •
- ولماذا لا تكتبه ؟
- أخشى أن لا التزم بالموضوعية التامة •
- حاول •
- حاول مرات وفشلت •
- ولماذا ؟
- لأننى فرد ، جزء من ظاهرة كبيرة ومعقدة •
- لكنك لست مجرد فرد •• كنت أحد البارزين من قادة المسيرة •
- هذا هو بالتحديد الذى يشل تفكيرى عند محاولتى الكتابة فى هذا الموضوع •
- ما العمل إذن ؟
- اكتبى انت :
- وهل أملك قدرة الكتابة فى مثل هذا الموضوع ؟
- نعم تملكين •
- « وجاء صوتك يحمل الدهشة كل الدهشة »
- انا لا املك الا خبرة صغيرة •
- الا تملكين الايمان بالشعب ؟
- كل الايمان • ولكنى لا املك أدوات البحث ومصادره •
- ابحنى عنها وستجدينها •
- أين ؟
- عند الذين اشتركوا فى صنع المسيرة •
- ولكنهم مختلفون •
- الأموات فقط هم الذين لا يختلفون ••
- كانت خلافاتهم جذرية وعميقة الجذور •
- ابحنى عن أسباب ذلك •

- أيسن ؟
- فى كل ما يمولونه ويفعلونه .
- سيكون مجرد تسجيل .
- سجلى أولا ثم بعد ذلك يجىء دور التحليل .
- لا أملك القدرة على التحليل .
- لا تفكرى فى ذلك الآن . هيا ابدئى وستجدين معك آخرين يساعدونك .
- هل تعدنى أن تكون أحد الذين يساعدوننى ؟
- ليس وعدا . بل التزاما .
- موافقة . ولكن بشرط .
- ما هو الشرط ؟
- ان تكتب ذكرياتك خلال ١٢ سفة سجن .
- موافق .
- ومتى تبدأ ؟
- حين أجد نفسى فى ظروف تساعدنى على الكتابة .
- وهل هناك ما يشغلك عن مثل هذا العمل الكبير ؟
- نعم .
- ما هو ؟
- ابحث عن شىء صادق .
- هل انت متشائم ؟
- بل فى غاية التفاؤل .
- لست أفهم .
- لا تتعجلى . . غدا تفهمين .
- هل تساعدنى على الفهم ؟
- أعذك ولكن بشرط .
- ما هو ؟
- ان تبدئى أنت فى تسجيل تاريخ الاربعينات . .
- سأبدأ بالبحث عن فرسانها .
- أو لست أنا أحد فرسانها . . كما تقولين ؟
- نعم . . ومن فرسانها البارزين .
- اذن نلتقى . .
- كل لقاء له شروط
- وما هى شروطك ؟
- ليست شروطى ولكنها شروط الحياة .
- « وساد الصمت لحظة دار خلالها بيننا حوار صامت لكنه ، كان أعق من كل حوارنا السابق المسموع »

ومنذ ذلك التاريخ قمت بمحاولات عديدة كي اكتب ، وفشلت في
كنت لا اعرف لماذا ظلت اعلق نجاحي في الكتابة على لقاء
فرحت ابحت عنك عند كثيرات ولم أجذك . لم أجد الصورة التي
خلال حديثك التليفوني معي وبعده . ومضت السنوات تجر
السنوات وكانني أسير وراء سراب ، حتى التقيت بك ، وعرفت .
انني كنت ابحت عن لحظة صدق هي أشبه بالسراب في عالم
بالزيف والتفاسق .

ورغم أن هذه اللحظة قد أعادت الي الثقة في قدرتي على
ومنحتني الشجاعة كي اكتب كل ما اعرفه عن الحقيقة ، فأنني لم
غير جزء منها لأسباب موضوعية لم تكن مطروحة منذ ١٢
يوم وعدتك يا حبيبتي بأن اكتب .

ولقد حاولت كل جهدي أن أتجنب ما يمكن أن يلوي البعض
ليضعه في خدمة الفوى المشوهة ، وفي نفس الوقت كنت مو
قدر استطاعتي - عندما تعرضت لعدد من المواقف السياسية ،
لبعض قيادات « التنظيمات » . فاعفري لقلبي حين تناولها
بسخرية مريرة . . ولا ترفض اجتهاده عندما طرح تساؤلات
القضايا النظرية . واحسب أنه قد آن الآوان كي تعرف الأجيال
حقائق فترة خصبة في تاريخ مصر .

الرسالة رقم ١

حبيبتي

اللحظة الصادقة التي بحثت عنها ١٢ سنة ، أعيشها اليوم بكل
كيافى . ومن هذه اللحظة أستمد الثقة فى قدرتى (على الكتابة)
وأبدأ بيوم خروجى من السجن فى ٤ أبريل ١٩٦٤ : بدأت رحلة
الافراج عن آخر دفعة من المعتقلين الشيوعيين يوم ٤ أبريل ١٩٦٤
نقلنا السيارات من سجن «الحاريق» القابع فى قلب الصحراء بالواحات
الخارجية الى أسيروط ، ومنها بالفطار الى محطة تكئات الجيش بالعباسية .
لن أحك كيف تم « شحنا » . . وأحسب ان طريقة « شحنا » الحيوانات
أفضل بكثير من الطريقة التى « شحنا بها » . ولم تكن هذه هى مشكلتنا
فنحن على أى حال فى طريقنا الى « الحرية » . فقبل ذلك حين كانوا
« يشحنوننا » من سجن الى آخر كنا نحتج ونرفض هذه المعاملة اللاانسانية
أما فى ان نجد معاملة أكثر انسانية فى السجن « المشحونين » اليه .
لكن هذه المرة كانت مشكلتنا من نوع آخر هى مشكلة حياتنا فى ظل « الحرية »
كنا أكثر من ٧٠ شخصا . فى طريقنا الى الحياة التى غبنا عنها
سنوات طويلة وصلت الى ١٢ سنة بالنسبة للبعض ولم تقل عن ٥ سنوات
لللبعض الآخر . وبالطبع كان لكل واحد منا مشاكله الخاصة ولكنها
كلها تصب فى مشكلة واحدة هى « لقمة العيش » . فالجميع ، عمالا ،
وفلاحين وطلبة ، ومنقفين وأسانذه جامعات ومدرسين ، فصلوا من أعمالهم
منذ سنوات . والبعض يستطيع مواجهة حياته الجديدة بحكم وضعه
الاجتماعى . وقتنا طال أو قصر ، غير أنه بالتأكيد سيجد « لقمة العيش »
والبعض - بحكم وضعه الاجتماعى ، لن يستطيع مواجهة الحياة الا أياما
محدودة تحددها قدرات عائلاتهم المالية المحدودة . بعدها ستكون لقمة
عيشهم صعبة وعسيرة . وغير هؤلاء كان هناك من يبحث عن المكان
الذى سيقضى فيه أياما محدودة يبحث خلالها عن أحد من أهله أو أقاربه
فقط كي يأويه ليلا بعد البحث بالنهار عن « لقمة العيش » التى لايدرى
متى سيجدها ، ان وجدها ، فهناك من لم يجدها حتى اليوم الا فى شكل
أبشع أنواع الاستغلال . هكذا راحت « الفرحة » وجاءت « الفكرة » .
راحت « فرحة » عنا خلال الوقت الذى استغرقتة رحلة السيارات

من سجن الخاربيق الى اسبوط • وجاءت « الفكرة » بعد ركوبنا القطار المتجه الى القاهرة • وفي محطة العباسية وضع الجميع أمام « المحنة » !
ارتفع صوت الضابط قائد الحرس يقول :

- اللي بيته فى القاهرة وضواحيها يركب العربية دى ، ودى • واللى بيته فى المحافظات الأخرى يركب العربية دى ، ودى •
ركب الجميع عدا ثلاثة زملاء لم يركبوا السيارات • سالهم الضابط ، عن سبب عدم ركوبهم • لم يجب أحد منهم • ذهب الى الضابط وهمست فى أذنه :

- الثلاثة زملاء ليست لهم عناوين معروفة فى مصر كلها •
قال الرجل بصوت خافت وبتأثر شديد :
- ما العمل ؟ ليس أمامى الا أن أسلمهم لسجن الاستئناف حتى يعثروا على محال اقامتهم •

- صبرا •• سنجد حلا •
وانتظر الرجل والدمعة تكاد تقفز من عينه • والجميع ينتظرون تحرك السيارات وهم لا يعرفون سبب عدم تحركها ، ولا سبب عدم ركوب الزملاء الثلاثة • كنت الوحيد تقريبا الذى لم يفاجأ بهذا الوضع • ربما لأن صلتى بجميع الزملاء من مختلف الاتجاهات على مدى ١٢ عاما لم تكن مجرد صلة سياسية وانما كانت صلة انسانية فى مظلمها ، مئات المشاكل التى واجهت مئات المسجونين والمعتقلين كان لا يعرفها أحد غيرى • ساهمت فى حل بعضها بما يتفق مع الظروف العامة والخاصة ، لكن البعض الآخر كان مستعصيا على الحل ، منها هذه المشكلة • ناديت على أحد الزملاء المقتردين وطلبت منه أن يجد للزملاء محلا لسكنهم حتى يدبروا أمر اقامتهم • وركب الزملاء الثلاثة سيارة الذين يعيشون فى القاهرة !
أما كيف عاشوا هم والآخرين •• فتلك قصة سأحكيها لك فى رسالة أخرى • عندما أكتب عن ١٢ سنة بعد خروجى من السجن •
تحركت السيارات وكنت فى إحدى سيارات الذين يعيشون فى القاهرة بالطبع لم تكن وجهة السيارات هى العناوين المختلفة لركابها وانما كانت تتجه الى أقسام بوليس أحياء العاصمة حيث يتم اجراءات الافراج بعد التأكد من محل السكن لتنفيذ باقى العقوبة ! نعم يا حبيبتي باقى العقوبة ، وهى « المراقبة » • انا مثلا كان الحكم الذى صدر ضدى هو ١٠ سنوات أشغال شاقة ، و ٥ سنوات مراقبة - طبعا السنتين الزيادة كانوا اعتقال - وعلى فكرة عدد شهور السنة بالنسبة للقاتل وتاجر المخدرات وهاتك العرض واللص ٩ شهور فقط وفقا للائحة السجون ، أما بالنسبة لمسجون الراى فهى ١٢ شهرا بالتمام والكمال ، فقد

فنبهوا في عام ١٩٥٥ الى ان اصحاب الراى اخطر من اعدى المجرمين . فاستثنوا المسجونين السياسيين من قانون السجن ! معنى هذا اننى قضيت فى السجن ١٢٠ شهرا بدلا من ٩٠ شهرا ثم تفضلت مباحث أمن الدولة باستضافتى ٢٤ شهرا أخرى ، فيكون المجموع ١٤٤ شهرا وكان يمكن ان يمد الى البقية الباقية من عمرى لولا قرار الرئيس الراحل عبد الناصر بالافراج عني . والافراج لم يكن يعنى اسقاط العقوبة وبالتالي كان على ان انفذ بقية العقوبة بأن اتواجد فى مسكنى ابتداء من غروب الشمس حتى شروقها . والمراقب معه دفتر يوقع عليه شرطى بما يثبت وجود المسجون فى بيته . وطبعا من حق هذا الشرطى - حرصا على أمن الدولة - ان يوفظ « المراقب » فى أى وقت من الليل ليتأكد من وجوده ! ولك ان تتصورى يا حبيبتى حالة المراقب المسكين حين يرتفع صوت غليظ فى عز الليل ليوقظه ويجبره على النزول الى حيث ينتظره الشرطى على الباب الخارجى للمنزل ليوقع له على الدفتر مرة ثانية وربما ثالثة ورابعة حسبما يرى رجل مباحث أمن الدولة !

وهل تعرفين يا حبيبتى عقوبة الهرب من حكم المراقبة ؟ السجن مرة أخرى وقد يصل الى الحكم بقضاء مدة المراقبة فى السجن ! ولقد حاولوا هذا معى بعد خروجى من السجن بأسبوع واحد حين جاء زوار الفجر ليقبضوا على بتهمة الهرب من المراقبة الليلية . فى تلك الليلة لم يأت الشرطى كالمعتاد فى كل ليلة . ولما وصلت الساعة الثانية عشرة مساء توجست شرا تبته لى مباحث أمن الدولة، فطلبت من بعض الاصدقاء الذين كانوا فى زيارتى ان يذهبوا الى القسم ويتبثوا فى محضر اننى موجود فى المنزل وأطلب حضور الشرطى ليوقع على الدفتر . وكان هذا المحضر هو السند القانونى الذى استند اليه المحامى الذى تطوع للدفاع عنى عند محاكمتى وأفرج عنى القاضى ولكن بعد ان قضيت ٤ أيام فى سجن الاستئناف وتسمى « التخشيبية » وكانت افضل على أى حال رغم قسوتها من ٥ سنوات أخرى .

وقد اعترف رجل المباحث (٠٠) فى الداخلية بأن هدفهم كان بالفعل هو عودتى للسجن لفضاء السنوات الخمس ! ثم اعترف لى بعد ذلك أنهم حاولوا مرة أخرى معى ومع عدد من الزملاء تلهى تهمة الهرب من المراقبة لولا صدور قرار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باسقاط العقوبة عن كل الشيوعيين الذين أفرج عنهم . اذكر اننى فى اليوم نفسه الذى صدر فيه هذا القرار خرجت لأجوب كل شوارع القاهرة سيرا على الأقدام طول الليل . وكانت هذه أول مرة أرى فيها ليل القاهرة بعد اثنى عشر عاما ونصف .

أعود بك الى ٤ أبريل ١٩٦٤ ، يوم خروجى من السجن وعودتى اليه مرة أخرى فى اليوم نفسه .

قلت لك اننى زكبت سيارة الذين يعيشون فى القاهرة واودعوني مع عدد من الزملاء فى قسم بوليس السيدة زينب • لم يكن لى مسكن خاص، فبعد حوالى ٦ سنوات اتفقت مع زوجتى « الايطالية » على الانفصال فهى لم تعد تحتل مطارقتها فى رزقها • وأنا من ناحيتى لم أكن أرى شعاعا واحدا من أمل الخروج من السجن • بل اننى فى السنوات الأخيرة وطحت نفسى على اننى ساقضى ما بقى من عمرى فى السجن • وبالطبع استبعدت الذهاب الى منزلى السابق • لم يبق أمامى غير ثلاثة أمكنة فى القاهرة • الأول فى شبرا حيث يسكن أحد أخوتى الكبار • لكنه قاطعنى تماما منذ أكثر من ٨ سنوات خوفا على عمله وعلى بيته ، فانقطع تماما عن زيارتى • وأخى الثانى وهو أكبر منى أيضا - رحمه الله - كان يسكن فى طره بجوار السجن الذى قضيت فيه ٤ سنوات ولم يفكر أبدا فى زيارتى منذ قبض على - ولم يبق أمامى غير منزل أخى الصغير - رحمه الله - كان صديقى وزميلى وعرف السجن أيضا ثم أثر السلامة بعد خروجه من السجن عام ١٩٥٥ لكنه تزوج وأنجب طفلة خلال وجودى فى السجن ، ولا أعرف مدى استعداد زوجته لاستضافتى • وقررت أن انتظر الى الصباح كى أعطى نفسى فرصة للتفكير أكثر وارسل من يتحسس الموقف عند الاخوة الثلاثة • ولما طلبت من الضابط النوبتجى ذلك فوجئت بقوله :

- لا أستطيع ان اتحمل بقاىك هنا حتى الصباح •

قلت له مشكلتى • وتأثر الرجل وقبل مشكورا أن يستضيفنى فى مكتبه حتى الصباح • كان شابا له صلة بالسياسة واهتماما بها • وبينما نحن فى حديثنا اذا بأخى الصغير مسعد « رحمه الله » أمانا فى المكتب • لقد راح منذ الصباح يسأل عنى فى أقسام الشرطة حتى عرف من بعض الزملاء اننى هنا فى قسم السيدة زينب • لن انسى ابدا اللحظات الأولى لهذا اللقاء الانسانى بعد أكثر من ٨ سنوات لم يستطع خلالها أن يزورنى فى الواحات ، فالزيارة فى الواحات كانت تكلف مالا يقل عن ١٢ جنيهًا أجور مواصلات فقط • يضاف اليها مصاريف البيت فى اسيوط وثمن بعض لوازم الزيارة !

قال :

- صدفة عظيمة جدا •

- ما هى ؟

قال - رحمه الله - والدموع تسيل من عينه :

- اليوم ٤ أبريل عيد ميلاد ابنتى وذكرى زواجنا •

- كل سنة وأنت طيب يا مسعد • ثلاثة مناسبات سعيدة فى يوم واحد !

حقا لما ينسعد الفقى تيجى له عشوتين فى ليلة واحدة •

كان مسعد يسكن فى مصر الجديدة قريبا من مسكنى السابق . وكان على أن نذهب فى حراسة أحد الشرطة الى قسم مصر الجديدة لعمل اجراءات المراقبة ، وحيث يجرى تنبيهى لطريقة تنفيذ عقوبة « المراقبة » . الطريق من السيدة زينب الى مصر الجديدة يستغرق حوالى ٤٥ دقيقة بالتاكسى . خلالها تحدثت معه فى أمور كثيرة ، أبى الذى مات فى أحد الملاجى !! تصورى، مات فى ملجأ لأنه لم يطق الحياة مع أى من أولاده ! وأختى التى مرضت، بسبب القبض على عام ١٩٥٢ وفال لها الأطباء ان شفاءها بصدمة أخرى وإكر مفرحة ، وظلت المسكينة تنتظر أبريل ١٩٦٢ - تاريخ انتهاء العذرة سنوات - وأما اعتملت ولم أخرج كما كانت تتوقع ماتت المسكينة بعد يومين من عودتى الى السجن ! والخلافات بين الأخوة وكيف وصلت الحالة بينهم الى درجة بالغة السوء . و . و . وتجسدت أمامى مشاكل بلدنا ومجتمعنا بالنسبة لقطاع محدودى الدخل . وشعرت فجأة بصداق شديد لم يفارقنى الا بعد ان تناولت أسبرين وفنجان شاي فى مكتب الضابط النوبتجى بقسم مصر الجديدة . بعد أن هنأتى الضابط بكلمات تقدير ومشاعر انسانية اعتذر عن عدم امكانه اتمام الاجراءات اللازمة لخروجى الليلة لان الموظف المختص غير موجود . لم أعلق . لكن مسعد همس فى اذنه بكلمات ترجوه أن أحضر معه حفلة عيد ميلاد ابنته . وسمح لنا الرجل بالذهاب الى الحفلة بشرطين : الأول ان يأتى معنا الشرطى الحارس . والشرط الثانى أن أعود الى القسم قبل الثامنة من صباح اليوم التالى . وطبعاً قبلنا الشرطين وشكرناه .

المسافة بين قسم البوليس ومنزل اخى مسعد لا تستغرق أكثر من ٥ دقائق ، خلالها همس مسعد فى اذنى :

- ميمى « زوجتى السابقة ، تنتظر منك الموافقة على حضورها الحفلة ،
- وما رأيك انت ؟
- انها لم تنسك لحظة واحدة
- وأولادها كيف حالهم ؟
- الابن فى كلية الطب ، والبنت موظفة .

توقفت عن السير بحجة اننى أبحث عن شىء وقع منى . ولما استأنفت السير ظلت صامتا حتى وصلنا الى الباب الخارجى للعمارة التى يسكن فيها . قال :

- هل ارسل من يطلب ميمى ؟

لم يسمع مني جواباً ، وإنما سمع بكائي المتشنج . لم أعرف لحظتها
لماذا بكيت كالأطفال . بعد أقل من نصف ساعة قضيتها في جو غريب
عني ، جو لم أعرفه منذ شبابي المبكر ، شعرت وكأنني لا انتمي
إلى هذا العالم . وحلمت بالسجن مرة أخرى ! بل إن نفسي لم تهبط
إلا بعد أن عدت مرة أخرى إلى سجن قسم مصر الجديدة . هل تصدقين ؟
هذا ما حدث .. أحكيه لك في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٥ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٢

حبيبتي

كان صوت الموسيقى الراقصة « يطن » في ادنى وأنا ما زلت عند باب العمارة . أخذت أصعد السلالم ببطء شديد ، توقفت مرات ، وفي كل مرة كان الشرطي يمسك بذراعى . . كى لا أهرب ! على باب الشقة طلبت من أخى أن يعفني من حضور هذه الحفلة . لم يجب . . واحتوانى بين ذراعيه وأخذ يقبلنى : وجاء صوت نساى لينتزعنى من هذه اللحظة الانسانية .

- أهلا وسهلا . . حمد الله على السلامة .

« لابد ان هذه السيدة زوجة أخى » . حدثنى عنها كثيرا فى خطاباته القليلة الى فى السجن . هذه الابتسامة التى تملأ وجهها لم تبدد احساسى ببرودة صوتها وهى تحيىنى ولا برودة يدها وهى تسلم على . معذورة . عليها أن تقوم بالواجب أرضا لزوجها . لكن أخى حدثها عنى كثيرا . . . هكذا كتب الى فى خطاباته ! . أغلب الظن انها لم تفهم سيئا مما قاله . سكنت الموسيقى فجأة وأتجهت كل أنظار الحاضرين الى هذا المشهد الغريب . أحد المدعوين يتأبط ذراع شرطى . منظر يستحق الفرجة . همس يدور ، وزوجة أخى تتركنى لتنتقل بين المدعوين لتفسر لهم الحكاية . هكذا أصبح فرجة على آخر الزمن . لماذا لم تعطهم فكرة يا مسعد ! لكن المسكين لم يكن يعرف . . وارتفعت أصوات :

- حمد الله على السلامة .

- أهلا وسهلا .

وعادت الموسيقى تصدح مرة أخرى . الذين عرفوا الحكاية عادوا الى الرقص . والذين لم يعرفوها بعد يتهايمسون قلبلا مع زوجة أخى ثم يعودون الى الرقص . وراح المصور يلتقط لى صورا كثيرة . . على باب الشقة . وبين المدعوين واثنا جلوسى . كان الشرطى الحارس حريص على ان يظهر معى فى الصورة وهو يتأبط ذراعى . انسا لا احب الاضواء لا كما يقولون فى الاذاعة والتليفزيون والسينما ، ولكن لأن المباحث كانت حريصة جدا على ان تلتقط لى صورا عديدة من كل الجهات ، . وفى كل مناسبة وكانت المناسبات كثيرة . . يوم قبضوا على . . وعند نقلى من سجن الى آخر . . وما أكثر السجون التى تنقلت بينها ! وكانوا يطبعون هذه الصور بال عشرات . . لتوزع على جميع اقسام بوليس الملكة المصرية

ثم - جمهورية مصر - ثم الجمهورية العربية المتحدة - ! فيوم دخلت السجن يا حبيبتي كانت مصر ما زالت « مملكة » .. ومكنت به ١٢ عاما وهي « جمهورية مصرية » ثم « جمهورية عربية متحدة » !

كميات كبيرة من السندويتشات والجاتوه والمرطبات وضعوها أمامي .. لأول مرة منذ غادرت قسم السيدة زينب مرورا بقسم مصر الجديدة ، حتى وصولي المنزل ، لم تترك يد الشرطي اليمنى يدي اليسرى الا ليتفرغ للأكل ! لكنه كان بين كل ساندويتش وساندويتش يتحسنى ليطمئن على وجود وديعته ! رغم اننى استحق الشفقة فقد اشفقت حقيقة على اخي مسعد . كان المسكين يجلس الى جانبي لحظة يرحب بى ويعزم على بالاكل ثم يذهب الى مدعويه وهكذا .

« مالى انا وهذا العالم » ١٢ سنة يا مصطفى لم تر خلالها لحما ابيض لم تسمع صوت امرأة . لم تلمس يداك يد امرأة . عيناك لم تر غير لون الزنزانة الاصفر .. ولون الصحراء .. الاصفر . وانفك لم تسمع سوى أصوات « بروجي » حرس السجن - والسلاسل التى يقيدونك بها .. تسمع صوتها فى نومك ويقظتك وحتى عندما كنت تستحم ! هكذا تنتقل فجأة من الموت الى الحياة .. واى حياة ؟ ، كاد رأسى ينفجر .. هاجمنى الصداغ .. صرخت ..

- أسبرين ..

توقفت الموسيقى وعادت بسرعة بعد أن تناولت الاسبرين من فتاة كانت تجلس الى جانبي طول الوقت .. كانت صامتة ولكن نظراتها ودودة .. وابتساماتها حلوة .

« هذه الفتاة من تكون ؟ ربما ابنة اخي الكبير . ان له ولد وبنتين . يوم دخلت السجن كان أحمد فى الثانوية العامة . وكانت آمال فى الاعدادية وأميرة فى الابتدائية ! أغلب الظن انها آمال . هل أسالها ؟ لا داعى . لكن هى بالقطع ليست ابنة أحد من أخوتى الآخرين ، وهى أيضا ليست ديدى بنت أختى - الله يرحمها - فقد ولدتها وأنا فى السجن ، وهذه الفتاة لا يقل عمرها عن ٢٢ عاما . ربما تكون « تيتى » بنت زوجتى السابقة .. يا سيدى لا تتعجل الأمور . بكرة تعرف كل حاجة ،

رأسى يتأقل .. أشعر برغبة شديدة فى النوم فقد انهد جسدى تماما .. ورحت فى اغفائه .. وحلمت .. نعم حلمت .

مازلت اذكر كل تفاصيل هذا الحلم البعيد . ساحكيه لك يا حبيبتي بالتفصيل . الفتاة التى كانت تجلس الى جانبي تقول لى وابتسامتها الودودة لا تفارقها .

- أنا لست قريبتك يا استاذ ...

- غفوا .. وهل سألتك ؟

- تعبيرات وجهك كانت تسال

- تقرئين افكارى ؟
- اقرأها .. وأومن بالعام منها .
- لا زلت صغيرة ؟
- وأنت .. ألم تبدأ فى مثل عمري ؟
- يبدو انك تعرفين عنى الكثير ؟
- لست وحدى .. كنيرون يعرفون .
- كيف ومتى ؟
- كما عرفت أنت الذبن سبقوك ؟
- عرفناهم من الكتب والصحف .
- ونحن كذلك .. ولكن ازيد عليك .. فأنا اعرفك شخصيا .
- شخصيا ! انت فى عمر ابنتى لو كان لى بنتا .
- كنا جيرانك حين أتوا للقبض عليك
- اذن كان يجب ان اعرفك .
- تسكت الفتاة لحظة ثم تقول :
- كنت طفلة .. وكان عمري ٨ سنوات .. وكانت « زوجتك » وما زالت تحبنى ..
- لم تنسك لحظة واحدة ..
- وأصرخ قائلا وبضحكة هستيرية
- لم تنسنى لحظة .. سيدى با سيدى .
- تأخذنى الفتاة بين ذراعيها .. تهدهدنى كالطفل وتقول :
- انها تحبك .. صدقتى .
- أصرخ مرة أخرى وأقول .
- لكنها قتلت ابنى .. أسقطته وهو جنين .. كان عمره الآن ١٣ سنة .
- أدركت خطأها ! .. وهى تريد طفلا منك .
- بعدها .. تصرف نظرا .
- وتعود الفتاة الى هدهدنى كطفل رضيع :
- انها تنتظرك .. صدقتى انها تحبك .
- ايا لا احبها وام أحبها فى حياتى .. لن ترانى ابدا .. ابدا .
- لماذا تزوجتها اذن ؟
- كان من الضرورى ان استيقظ من النوم . فهذا السؤال لن أجده له جوابا فى حلمى أو فى يقظتى واستيقظت على صوت رقيق شددنى .
- فيه حد ينام ليلة الافراج عنه ؟
- أخذنى عبد السلام هاشم وهو الأخ الأصغر لصلاح هاشم زميل الدراسة وزميل السجن . تركته فى سجن الحاريق فهو من بين المحكوم عليهم الذين لم يشهوا مدة العقوبة مثلى . حكم عليه فى نفس قضيتى بـ ١٠ سنوات
- (٢ م - رسائل)

سجن • ثم حكم عليه بثلاثة سنوات أخرى وهو في السجن ! وتهمته أنه قاتل مظاهره من طلبة الجامعة عام ١٩٥٤ حين خرج لتأدية امتحان هناك • لم يكن وحده الذي قاتل مظاهرات في الجامعة • • كان غيره كثيرون صدرت ضدهم أحكام أيضا • ولذلك صدر قرار بحرمان المسجونين الشيوعيين من الدراسة وبالتالي من الخروج للامتحان •

قلت وأنا ما زلت في حالة نوم

- والله كبرت يا عبد السلام •

- ومخى كبركمان • • مالك ؟

- قرفان تعالى نازل •

- نروح فين ؟

- نقعد على قهوة • • عاوز أشوف الناس • • والشارع • •

ولكن رغم احساسى باللفة أكثر مع جو القهوة بصخبها وضجيجها فلم أستطع أن أمكث أكثر من نصف ساعة بعدها شعرت بحنين شديد للعودة الى السجن • • وذهبت مبكرا الى سجن قسم بوليس مصر الجديدة وهناك شعرت بأننى عدت الى موطنى ! عدت الى أهلى !! وهذه قصة أخرى •

أحكيها لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٧ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٣

حبيبتي

مازلنا في يوم ٤ ابريل ١٩٦٤ - يوم الافراج عني .
عدت الى سجن « التخشيبية » بقسم مصر الجديدة بعد مالا يزيد عن
« ساعتين » قضيتها في حفلة عيد ميلاد بنت أخي ثم أحد المقاهي الشعبية .
ما ان وطأت قدمي ارض « التخشيبية » حتى ملأني الاحساس بالأمان !
تصورى يا حبيبتي .. احسست بالأمان مع اللصوص والنصابين
والقوادين .. الصغار طبعاً .. فالكبار لا يأتون هنا .. ومع المتسولين
والمشردين و .. و ..

الأمان داخل « حجرة » أرضها مكسوة « بالزفت » وخليط من « بصاق »
النزلاء وبولهم .. وبرازهم .. فهي للنوم .. و « لقضاء الحاجة » في
نفس الوقت ! وجدران « التخشيبية » يلطخها خليط من دم البشر ، ودم
الحشرات . فمن النادر ان تمر ساعة واحدة دون أن تحدث « خناقة »
بين النزلاء تستخدم فيها الأمواس والمطاوى . كما لا يمكن أن يعيش
« الانسان » لحظة واحدة في هذه « التخشيبية » دون ان - يقتل مئات
من حشرة « البق » تلك التي تنافس الانسان في امتصاص دم أخيه
« الانسان » !

لماذا يسمون هذه الحجرة « التخشيبية » ؟

ربما لأن البشر يكسسون بها كما يكس الخشب في المخازن !
هذا هو الأرجح .. فقد رحت أبحث عن مساحة أقف عليها داخل هذه
« التخشيبية » .

- اتفضل يا بيه هنا ..

- لا يا بيه تعالى هنا ..

وكادت تحدث خناقة تستخدم فيها كالمادة الأمواس والمطاوى لولا
تدخل « المعلم » .

- بس يا واد أنت وهوه .. سيب « الايراد » ده ليه .. اتفضل هنا

يا بيه ، وأشار الى مكان بجانبه .

- ألف شكر يا معلم .

- جاي في آيه يا بيه ؟

ظهرت الى الساعة فلم أجدها ، تحسست المحفظة فلم أجدها ، والقلم
الباركر أيضا لم أجده لم أجب .. وضعت الأكل الذي كان فى يدي
على الأرض .

– اتفضلوا يا رجاله .

ما كاد الرجال بهجمون على الأكل حتى صاح فيهم « المعلم » :

– اسننى باواد أنت وهواه ..

نراجع الجميع ووقفوا ينتظرون أوامر المعلم .

– ياولاد « الكلب » بقى برضه أحنأ ولاد بلد نفهم الأصول . اسمع
يا بيه أنت باين عليك ابن ناس أنت عرفت ان حاجتك اتلطشت منك ، ومع
ذلك تعزم علينا بالأكل الحلو ده .. يا واد يا عبده هات حاجات البيه ..
يناولها من « عبده » ويعطيها لى :

– اتفضل يا بيه آدى الساعة ، وآدى القلم ، وآدى المحفظة . فيها
خمسة جنيه أدم .

– متسكر قروى .. اتفضلوا ..

– متسكرين يا بيه .. دلوقت نقدر ناكل معاك عيش وملح .
« لم ينسوا القيم الشعبية .. أكل العيش والملح يعنى الأمان .. أن
لا تخن من أكلت معه .. اللصوص الصغار دفعتهم ظروف المجتمع الى
السرقة من أجل أن يعيشوا . لكن اللصوص الكبار .. نجنوم المجتمع ..
غارقون حتى رؤوسهم فى بحار الخيانة .. خيانة الناس .. وخيانة الوطن ،
واستمرت جلستنا حتى الصباح .. يسألون واجيب على أسئلتهم ..
نظراتهم تفيض مودة وحبا .

قال أحدهم :

– يا بيه أنت صحيح بنى آدم ..

قلت ضاحكا ..

– .. هو مش كل الناس ولاد آدم ؟

– لا يا بيه .. فيه ناس ولاد الشيطان .. بيعاملونا زى الكلاب .

– الحكاية مش حكاية ولاد آدم ولا ولاد الشيطان .. انما هى حكاية
الانسان « ووجدت نفسى اتكلم باستفاضة وبأسلوب بسيط عن استغلال
الانسان لأخيه الانسان .. كيف ؟ ولماذا ؟ والطريق الى القضاء على
الاستغلال » .

ويسأل أحدهم :

– والاشتراكية دى يا بيه تدينا الفرصة اننا نعيش زى البنى آدمين ؟

– طبعاً .. الاشتراكية تدى الفرصة لكل انسان أن يعمل وينال حقه

– زى ما عبد الناصر بيقول ؟

– تقريبا ..

تعرفين يا حبيبتي اننى دخلت السجن قبل ثورة يوليو بأسبوع واحد ..
ولم أشهدا الا فى ٤ ابريل ١٩٦٤ .. ولكن كان لى موقف مختلف تماما
عن مواقف زملائى حين كانوا خارج الأسوار وكان مختلفا أيضا عندما
قبض عليهم فى يناير ١٩٥٩ .. وسأحكى لك عن ذلك فى رسائلنى المقبلة .

١٠ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٤

حبيبتي

طلع على صباح يوم ٥ أبريل وأنا مستغرق في حديث منذ العاشرة مساء اليوم السابق مع نزلاء « تخشيبية » قسم شرطة مصر الجديدة . ولقد عرفت « التخشيبية » مرتين ، كانت المرة الأولى في « تخشيبية » قسم شرطة الوايلي يوم قبض على أحمد حلمي رئيس المباحث العامة « البوليس السياسي سابقا » في ١٨ يوليو ١٩٥٢ ، فقد أودعني هناك لحسابه حتى انتقل الى سجن مصر لحساب النيابة العامة . في ذلك اليوم حذر أحمد حلمي مأمور القسم من خطورتى على المواطنين ! وطلب أن أسجن في غرفة انفرادية ! . وأحتار مأمور السجن ، ماذا يفعل ؟ ليس في القسم غير غرفة للرجال وأخرى للنساء ، فأين يضعني ؟ وأخيرا وجد الحل . . . غرفة النساء ليس بها سوى اثنتين وهي تبعد عن غرفة الرجال . . . فوضعتني في طرقة صغيرة تطل على غرفة النساء . . . ولكن ظلت مشكلة هي أنه يمكن الحديث مع النساء المسجونات من شباك واسع لغرفتهن . . . ولم يكن أمامه من حل خوفا على المرأتين سوى أن ينبهما الى خطورتى . وبعد أن أغلق بنفسه باب غرفة النساء . . . وتأكد من اغلاق باب الطرقة . . . وبعد اعطاء التعليمات المشددة للحراس بأن لا يتصل بى أحد والتنبيه الى أى حديث يجرى بينى وبين المرأتين . . . أنصرف مطمئنا !

ويبدو ان تلك الاجراءات والتنبيهات المشددة أثارت فضول المرأتين فبعد دقائق قالت أحدهن :

- أيه الحكاية يا بيه . . . أنت جاي في أيه . . . أنا عمري ما شفت كده .
- وانتى بتيجي هنا كثير ؟
- مرة كل أسبوع . . . مرتين . . . حسب الأحوال .
- لم أفهم ما تقصده . . . فلم أرد عليها . . . فقالت بغضب ،
- أيه يا فندى ما بتردش على ليه . . . مش قد المقام والا أيه ؟
- وتدخلت المرأة الأخرى .
- يا أختى . . . حيلك على البيه شوية . . . ده باين ابن ناس ومش فاهم .
- قلت وابتسامة خفيفة على وجهى :
- الحقيقة مش فاهم .

فالت نفس المرأة :

- مش بانقول - والنبي ده ابن ناس .. شوفى ضحكته يا روحى عليه
فالت الاولى :

- آه والنبي .. ضحكته حلوة .. يحميك لشبابك .

- الله يخليكى .. لكن .. بتبجى هنا كثير ليه ؟

- لما تسحط وما اقدرش ادفع المعلوم

« ويببدو أن وجهى لم يستطع اخفاء الاحساس بالألم والاسمئزاز » .

قلت :

- آيه ابدأ ما فيش حاجة .

قالت بغضب :

- آيه يعنى أحنا ولاد ناس برضه .. بس الزمان اللي حكم علينا ..

ولقمة العيش مرة .

« لقد حسبت المسكينة اننى احتقرتها .. كما يحتقرها حتى أولئك

الذين يستمتعون بها ارضاء لشهواتهم الحيوانية » قلت معتذرا :

- وحياتك يا ستى أنت فهمتى غلط .. انا زعلان علسانك !

وتدخلت المرأة الثانية

- والنبي ماليكى حق يا سبيه .. شوفى صوته فيه حنية قد آيه !

فالت الاولى :

- متأسفة يا بيه والنبي أنت طيب وباين عليك خام قوى .

« عرفت لأول مرة انها اذا نادتنى بيا بيه تكون راضية عنى واذا قالت

با الهدى يكون ذلك تعبيراً عن غضبها .. قلت :

- لا أبداً هفبش داعى للأسف .. أنتو مظلومين .

قالت الاولى :

- أول مرة فى حياتى حد يقول لى أنتى مظلومة .

قالت الثانية :

- والنبي ده خام قوى .. أنت يا بيه جاي فى آيه .

- جاي فى قضية سياسية .

- يعنى آيه يا بيه .. عملت آيه ؟

- بنطالب بأن الناس تعيش كويس ..

- طيب واللى يطالب بكده يحبسوه ؟

- طبعا لأنهم مش عايزين كل الناس تعيش كويس ..

فالت المرأة الثانية

- يعنى البيه عاوز يخلي كل الناس كويسين ؟

قالت الاولى :

- صحيح يا بيه ؟

ظلت :

— كل الناس لازم تشتغل وما فيش حد يكسب من ورا حد
قالت الاولى .

— الله يحميك لنسيابك أنت واللى زيك يا اخويا ..
ومالت الثانية :

— الله ينصرك أنت وزمايلك يا حبيبى ..

« حبيبى !! لم أسمع هذه الكلمة من قبل بمثل هذه الرقة والعذوبة ..
سمعتها كثيرا من زوجنى السابقة ولم انفعلم كما انفعلت هذه المرة ..
هذه المرأة قالت هذه الكلمة لزبائننا وستقولها بعد ذلك كثيرا ولكن هل
ينفعلون كما انفعلت .. بالقطع لا .. وبالتأكيد لم يكن انفعالى حسيا ..
كان انفعالا انسانيا خالصا »

وجاء صوتها ليقطع لحظة صمتى وتأملاتى :

— سوفى يا سنية .. وشه زى الملاك .. والنبي ده بنى آدم .

« رعم الحياة اللا انسانية القى تعيشها هذه المرأة وأمثالها فهى بأى لسة
صادقة تعود اليها انسانيتها المهذرة .. »

كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا .. ووصلت الى اسماعنا اصوات
وشتائم متبادلة بين رجال ونساء ، قالت الاولى :

— الايراد وصل ..

وقالت الثانية :

— الكبسة المرة دى على بيت مين يا ترى ؟

فتح الباب .. وامتلات الطريقة بحوالى ٧ نساء شبه عاريات
وثلاث مخبرين يقودهم رجل مدنى يبدو انه ضابط بوليس الآداب ..
رج المخبرون بالنساء فى الغرفة وسط سيل من اقذع الشتائم .. وبعد
ان اغلق الباب عليهن .. تنبه الضابط الى وجودى .. سأل بغضب .
— انت ايه .. وأيه جابك هنا ؟

قلت بسخرية :

— انا زى ما انت شايف .. واللى جابنى هنا المأمور .

— ليه ما دخلتش حجرة الرجال .

— والله تسأل المأمور فى الحكاية دى .. يظهر انه مش حريص قوى على
حماية الآداب !

قال بغضب :

— انت بتهزر .. انت جاي فى ايه ؟

— أسأل البكباشي أحمد حلمى رئيس البوليس السياسى .

« وما كاد الرجل يسمع اسم أحمد حلمى حتى ظهر على وجهه الرعب .. »

فأسرع بفتح الباب خلفه نسم نادى على الشرطى لينبيه عليه بأن يمنعنى
من أى كلام مع النساء .

بعد انصرافه . . قال الشرطى محدثا نفسه بصوت عال :
- طيب وازاى اقدر امنعه من الكلام مع الستات . . طيب وليه هو
راح يقول لهم ايه يعنى . . ومهما قال طب ما هو الباب مقفل عليهم . .
انا مش فاهم .
ناديت على الشرطى وفلت له :
- افهمك انا . .

- الله يسترك فهمنى انا عطفى راح بطير . . الظابط النوبتجى قال
خد بالك من الشاب ده أحسن يتكلم مع الستات . . والعسكرى اللى
استلمت منه قال خد بالك الراجل ده خطر قوى على الأمن . . وأنا من
ساعة ما استلمت الساعة ١٢ وأنا سامع كلامكو . . كلامك حلو . .
ما فيش ابدى لا مؤاخذه . . قلة أدب . .
قلت مقاطعا :

- اهو الكلام الحلو ده هو الخطر على الأمن . .
قال :

- أمن مين بس ؟
- أمن الأغنياء اللى بينهبونى وينهبوك . .
- آه فهمت .
- أيوه - فهمت ايه بقى .
- فهمت .

» انصرف الشرطى بعيدا . . ولم يعطنى فرصة كى ابين له الفرق
بين البلد والنظام السياسى للبلد . .
واردت أن أروح فى اغفائة حتى أستطيع مواجهة تحقيق النيابة الذى
لم يبق عليه سوى ساعات . . لكن تعليقات كثيرة من النساء فى الغرفة
المجاورة لم تمكنى من هذه الرغبة . . سمعت احدهن تقول :
- وأنت سفتى سياسيين قبل كده ؟

وترد أخرى .
- آه وحياتك . . بتانى واحد مرة . . ما عملش حاجة . . لكن
ادانى فلوس .
وترد الأولى .

- وعرفتى منين أنه سياسى ؟
- هو قال كده وكان جاى لى هريان من البوليس . . ولما اطمأن
مشى . .
» ربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى . . اغلب الظن انه كان مثلى لم

يستطع بأن يتواصل حسيا فقال ما قاله .. اذكر اننى حتى زواجى
الاول عام ١٩٥١ لم اعرف الجنس .. وذات يوم فى عام ١٩٤٨
حاولت ذلك مع احدى بائعات الهوى وكنت مع بعض زملاء العمل فلم اتمكن
من ذلك .. واذكر اننى مشيت من الجيزة حيث كانت مغامرتى الاولى والاخيرة
حتى منزلى بشبرا وأنا لا أعرف سببا محسدا لهذا الموقف الشاذ فى نظر
زملائى الذين عرفوا القصة من المرأة ، فراحو يتهمون على ويسخرون
من قدراتى ويشككون فيها . ولسنوات طويلة ظننت ان ذلك نقصا فى
تكوينى .. لكن بعد أكثر من ٢٤ عاما عرفت الحقيقة .. عرفت ان لحظة
الاتصال الحسى بالنسبة للانسان السوى لا تحدث الا نتيجة التفاعل
الانسانى والفكرى والعاطفى . وهذه اللحظة هى أصق لحظات
الانسان الحقيقى .. واطن ان مثل هذه اللحظات الصادقة .. نادرة
جدا ندرة الانسان الصادق وسط عالم مزيف منافق .

ورحت فى اغفائه صحوت منها على صوت ينادينى .
شرطيان وضابط بملابسه الرسمية يقودهم البكباشى أحمد حلمى ..
جاءوا كى يصحبونى الى نيابة أمن الدولة .. للتحقيق معى .

كانت هذه هى المرة الاولى التى أرى فيها « تخشيبية » قسم الشرطة
ومنها خرجت الى سجن مصر ثم الى سجون أخرى كثيرة سأحدثك عن
ذكرياتى فيها فى رسائل القبلية . وكانت المرة الثانية التى عرفت فيها
« التخشيبية » هى يوم الافراج عنى بعد ١٢ عاما عشتها فى سجون مصر
المختلفة .

وكل « تخشيبات » أقسام الشرطة تشهد مع صباح كل يوم نشاطا
كبيرا .. اعداد من رجال الشرطة يحملون القيود الحديدية التى توضع
فى المعصمين وهو يستخدم مع « الخطرين » أو جنزيرا طويلا يربطون به
عددا من المتهمين « غير الخطرين » . ومع اشراقة صباح كل يوم عندما
يسمع نزلاء التخشيبية صوت القيود والسلاسل الحديدية مختلطة
بأصوات الشرطة تنادى عليهم يستعدون جميعا للرحيل .. وعادة
يعرف كل واحد اين سيذهب .. هذا للتحقيق معه ثم السجن ..
وهذا لترحيله الى سجن بعد ان حكم عليه .. وهكذا .. كنت انا
الوحيد الذى قضى ليلته فى « التخشيبية » ليفرج عنى فى الصباح .

وعندما نودى على ، تجمع حولى كل من فى « التخشيبية » وعانقونى
فى ود ومحبة وأصر بعضهم على ان يعرفوا عنوانى ليزورونى .. وبالفعل
حدثت صداقة مع عدد منهم لسنوات طويلة بعد الافراج عنى .

وعلى الرغم من اننى خرجت من التخشيبية حوالى الساعة الثامنة صباح يوم

٥ أبريل ١٩٦٤ فأننى لم اغادر قسم مصر الجديدة الا الساعة التاسعة مساء حبث صحبونى الى المباحث العامة ومنها الى المنزل الذى وصلته- حوالى الثانية عشر مساء وخلال تلك الساعات حدث الكثير .. وهو ما سأحكيه لك يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة .

١٢ يناير ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم ٥

حبيبتي

فى الثامنة والنصف صباحا كنت فى مكتب مأمور قسم مصر الجديدة
أعمل الاجراءات اللازمة للافراج عفى • حيانى الرجل بابتسامة عريضة
وودودة وحولنى الى الجاويش المختص بمثل هذه الاجراءات •• وما كاد
الجاويش يبدأ فى تدوين البيانات المطلوبة •• الاسم •• السكن ••
العمل •• النخ حتى دخل رجل بملابس مدنية •

وهمس بكلمات لم اتبينها فى اذن الجاويش الذى تحرك ليتوجه مع
ضابط المباحث الى مأمور القسم •• ثم عاد ليقول لى ان على ان انتظر
حتى تأتى الأوامر بالافراج •

قلت مستفسرا :

- أوامر؟

رد على الرجل بصوت فيه كل رنات الأسى :

- والله يا ابنى ما أنا عارف •

- امال مين اللى يعرف ؟

- المباحث العامة •

ولعب الفار فى « عبي » •• لا بد ان أمرا قد حدث •• طلبت من
الجاويش ان اقرأ صحيفة الصباح •• فناولنى اياها وهو يبتسم
ابتسامة من يعرف ما الذى اريد ان اعرفه من قراءتى للجريدة ••
وبعد ان تصفحت أهرام ٥ أبريل ١٩٦٤ قلت :

- مفيش انقلاب ضد عبد الناصر •• ايه الحكاية آمال ؟

- والله يا ابنى ما يعرف الحكاية الا المباحث العامة •• اصبر شوية
ربنا يفرجها •

ذهبت الى مأمور القسم لاعرف منه الموضوع وقبل ان ادخل مكتبه
قابلت بعضا من أهالى المسجونين الذين ما زالوا فى الواحات ولم يصدر
عنهم قرار الافراج بعد •• وعرفت منهم الحكاية ،

بعد أقل من ساعتين من تحرك السيارات بنا من سجن **الحساريق** **بالواحات الخارجية الى اسيوط** ومنها الى القاهرة للامراج عنا نحن المعتقلين ..
دبرت المباحث مع مأمور السجن **مؤامرة** ضد المسجونين الذين تركناهم في انتظار القرار **الجمهوري بالافراج** عنهم راح ضحيتها الشهيد « **لويس** »

اسحق « وجرح محمد سيد أحمد و د . اسماعيل صبرى عبدالله .
بدأت **المؤامرة** بتحرس **مأمور السجن** بواحد من الزملاء الشبان اتنساء
« فسحة » الزملاء المسجونين .. وكان هذا التحرس هو ساعة الصفر ما ان بدأ
المسجونون يتجهون الى حيث يفق المأمور والزميل حتى انهال **رصاص**
المدافع الرشاشة من وراء الأسوار الخارجية للسجن .. وأسفطت إحدى
الرصاصات الغادرة **الشهيد « لويس اسحق »** واصابت أخرى وجه
محمد سيد أحمد وأخرى ساق د . اسماعيل صبرى عبدالله وكادت تتحول
الى مجزرة بروح ضحيتها عشرات الزملاء لولا تدخل أحد ضباط السجن
الذى صاح بأعلى صوته .

- احذروا هذه مؤامرة ضدكم .
واعطى أوامره للسجانة دون اذن من المأمور وببدو أنه كان يعرف
تواطؤه مع المباحث العامة بالكف عن اطلاق الرصاص .. ونصح
الزملاء المسجونين بدخول العنابر .

وحمل هذا **الضابط الوطنى** برقيات الزملاء المسجونين الى الرئيس
جمال عبدالناصر بوضوح مبيها ابعاد المؤامرة وأهدافها ويطلبون
التحقيق الفورى ويكررون تأييدهم لسياسة الرئيس الوطنية التقدمية .
كما حمل خطابات الى أهالى المسجونين كى يرسلوا برقيات مماثلة
الى الرئيس ويذهبوا الى رئاسة الجمهورية يطلبون التحقيق .
وحتى ساعة متأخرة من ليل يوم ٤ أبريل كان كل أهالى المسجونين
مقسمين بين رئاسة الجمهورية ومنزل الرئيس **جمال عبد الناصر** يعلنون
تأييد أبناءهم للثورة وقائدها ويطلبون التحقيق فى المؤامرة التى
تستهدف الايقاع بين الشيوعيين والثورة وبالتالي إلغاء قرار الافراج عنهم .
ولم يهدأ بال أهالى الا بعد ان سافر بعضهم مع النيابة التى أمر
الرئيس عبد الناصر بسفرها فورا الى **الواحات** للتحقيق . رئيس التحقيق
شهد الضابط الوطنى وبعض السجانة ما حدث من أسوأ مأمور
السجن لأحد الزملاء . وشهد بعض السحابة بأن المأمور أمرهم بالاستعداد
بحمل الرشاشات واتخاذ مواقعهم خلف الأسوار الخارجية للسجن
واطلاق النار على المسجونين عند حدوث مشاحنة بينه وبينهم ، وان
هذه الأوامر صدرت فى حضور واحد من ضباط المباحث الذى كان
قد حضر بعد رحيلنا مباشرة .

وعندما عرض التحقيق على الرئيس عبد الناصر أمر باحالة مأمور السجن الى المعاش والتحقيق لمعرفة من الذى دبر هذه المؤامرة فى المباحث العامة . ويبدو ان نقل حسن المصيلحي من المباحث الى الجوازات والأجنسية كان دليلا على تدبيره للمؤامرة . ولحسن المصيلحي هذا - وهو منذ أواخر عام ١٩٦٤ يملك شركة للتصدير والاستيراد فى جنيف - قصص مع الشيوعيين المسجونين والمعتقلين سأحكىها لك يا حبيبتي فى رسائل مقبلة . وبالطبع كنت انا وبعض الذين لم يخرجوا يوم ٤ أبريل - وقبل ان تصل أوامر المباحث بحجزنا رهائن فى أقسام الشرطة لحساب المباحث العامة - فى انتظار نتائج المؤامرة حتى اذا حققت أهدافها والغى قرار الافراج نعود مرة أخرى الى المعتقل . حتى الذين أفلتوا وخرجوا يوم ٤ أبريل ذهب رجال المباحث الى بيوتهم للاطمئنان على وجودهم للقبض عليهم مرة أخرى عندما تنجح المؤامرة ! غير ان الكثيرين منهم تركوا منازلهم ولم يعودوا اليها الا بعد ان فسلت مؤامرة المباحث العامة . وفى الساعة الثامنة مساء ٥ أبريل كنت فى حجرة الضابط النوبتجى لانتهاء اجراءات الافراج عنى . . . وعلى باب قسم البوليس حبث تجمع حولى الأهل والأصدقاء ، رأيت ضابط مباحث القسم وعلى وجهه ابتسامة مسطحة . . . هنأنى بالافراج . . . وبأدب رجال المباحث المعروف طلب منى أن أصحبه فى سيارته لمقابلة حسن المصيلحي . انهال عليه أخى « رحمه الله » بالشتائم وصرخت زوجته السابقة ورفض الأصدقاء ان اصحبه .

قال ضابط المباحث فى برود شديد

- لك مطلق الحرية فى ان تحضر أولا تحضر . . كل ما فى الأمر ان سيادة اللواء « حسن المصيلحي » يريد أن يتحدث معك قليلا . « تملكتنى رغبة شديدة فى الذهاب الى حسن المصيلحي كى اسمع ما سيقوله عن المؤامرة التى دبرها من مكتبة فى القاهرة قلت للضباط بسخرية :

- سأحضر معك من الواجب ان أشكر الرجل الذى استضافنا واكرم

ضيافتنا !

قال :

- انتو مش فاهمين . . احنا موظفين بنفذ أوامر عليا .

- ومؤامرة المحاريق . . كانت أوامر عليا أيضا ؟

امتقع وجه الرجل ولم يجب ركبت معه ومعى أخى وبعض الأصدقاء فى عربته . . ولحقت بنا ثلاث سيارات أجرة تحمل الأصدقاء . . استقبلنى أحمد صالح داود رئيس قسم مكافحة الشيوعية وكانت هذه هى المرة الثالثة التى أقابل فيها هذا الرجل . كانت المرة الأولى فى سجن مصر عندما رحلت اليه من

سجن الحاريق بالواحات حيب كان من المفروض ان يفرج عني في ابريل ١٩٦٢ .
غير ان المباحث العامة استضافتني عامين آخرين كما سبق ان اخبرتك
يا حبيبتي في رسالة سابقة . في ذلك اليوم كان معي زميل في قضيتي
نفسها وزميل آخر في قضية أخرى ، أنا وزميلي الأول فبض علينا في يوم
واحد وحكم علينا بعقوبة واحدة ، أما الزميل الآخر فكان حكمه
٣ سنوات وسيفرج عنه قبلنا بأيام . وفي صباح اليوم نفسه الذي خرج
فيه الزميل الثالث وبعد أقل من ساعتين ، اهتزت جدران السجن . .
انتباه . . انتباه . . انتباه . يصيح بها السجانة بصوت عال جدا
حين تصل الى السجن شخصية خطيرة مثل شخصية أحمد صالح داود .
دقائق وكان هذا الرجل الخطير ومعه ثلاثة من ضباط المباحث ومأمور
السجن وعدد من الضباط والسجانة قد ملأوا الزنزانة الضيقة
التي تحتويني وزميلي صاح سجان بصوت عال :

- تفتيش . . تفتيش . .

الذعر يملأ مأمور السجن وضباطه . . تلتقي نظراتهم بعيني التي
ترسل اليهم نظرات مطمئنة معناها بلغة السجون .

- لا يوجد شيء ممنوع . اطمئن . .

والتقت نظرات أحمد صالح داود وضباط المباحث الذين معه بعيني فلم
يجدوا بهما سوى تساؤل ساخر عن سر مقدمهم المفاجيء . وبعد دقائق
معدودة كان كل شيء واضحا . الغرض الذي أتى من أجله ضباط المباحث
لم يتحقق . . لم يجدوا علبة السلمون !

لا تضحكي يا حبيبتي . . أقسم لك انهم جاءوا من أجل علبة سمك
سلمون ! لكنهم لم يجدوها ولم يجدوا حتى « الكوز » الفارغ !
قال أحد الضباط بغضب :
- فين الأكل اللي كان معاكو .

قلت بسخريه . .

- قصدك علبة السلمون ؟

ازداد غضبه ولوح بيديه .

- أيوه فين هيه . . ؟

- اظن كان فيه علبة هنا واخذها معاه زميلنا الذي خرج

اليوم اسألوه عنها . . لعله لم يزل عندهم بعد في الانتظار .

خرج ضباط المباحث وقد امتلأت وجوههم بالحقد والغضب . . لقد
فشلت مؤامرتهم لتلفيق قضية جديدة لي وزميلي من أجل استضافتي
عشر سنوات أخرى .

كان معنا بالفعل علبة سلمون .. تركها معنا الزميل الثالث الذى ترك السجن فى صباح ذلك اليوم طالبا منا ان نعطيها لاحد زملائنا فى سجن القناطر الخيرية الذى سنذهب اليه انا وزميلي الثانى قبل اعتقالنا من جديد أو الافراج عنا من هناك . لا أدري لماذا ساورنى الشك فى الزميل الثالث ربما لأنه مكث طول الليل يكيل لى المديح والثناء كيلا الى الحد الذى جعلنى اشك فى أنه يدبر شيئا . وحتى صباح اليوم التالى كانت علبة السلمون فى حوزته .. واعطاها لى قبل ان يترك سجن مصر بدقائق .. ولم تمض دقائق بعد أن ترك الزنزانية الا وكانت العلبة مفتوحة .. لم يكن بها سمك السلمون اللذيذ .. وانما كانت محشوة بالأوراق . بعضها مكتوب بخط اليد .. وبعضها مطبوع على الرونيو .. وبسرعة أحرقت وزميلي كل الأوراق فى « جردل البول » وتصادف ان جاء موعد « الفسحة » .. والفسحة معنا ان يخرج السجن الى دورة المياه ليقضى حاجة ولبلق « الحاجة » التى تجمعت فى الجردل طول الليل وساعات النهار التى تغلق فيها الزنزانية .. وفى دورة المياه ازال زميلي الثانى أى أثر للورق المحروق واعطى الكوز لاحد المساجين الذى فرح به كثيرا فان له استعمالات عديدة فى السجن . مأمور السجن فهم هذا كله دون ان انطق بكلمة .. وكان سعيدا سعادة لا حد لها .. وعند انصراف هذا الجمع الحاشد الذى جاء لضبط علبة السلمون .. تأخر المأمور خطوات ليشد على يدي شاكرا ممقنا فلو ان المباحث وجدت علبة السلمون لنكلت به وبكل ضباط السجن وسجانيه .

تسألين .. لماذا يا حبيبتي ؟ .. سأقول لك .

عند دخول أى سجن الى السجن أو خروجه منه لاى غرض .. التحقيق معه . أو العلاج .. الخ يجرى تفتيشه بدقة شديدة حتى لا تدخل معه أو تخرج ممنوعات . والممنوعات كثيرة جدا .. تبدأ من الشاى والسجاير والمخدرات وتنتهى بالمنشورات « الشيوعية » . وكل المنوعات بما فيها المخدرات لا تساوى شيئا الى جانب « المنشورات » ! ويا ويل المسجون السياسى الذى تضبط معه ورقة مكتوب بها أى كلام أو حتى نظيفة فهى دليل على أنه ينوى كتابة أفكار « هدامة ومستوردة » ولكن اذا وجدت مخدرات مع مسجون فلا بأس .. فالجميع يمكن ان « ينبسطوا » !

وعادة يقوم ضباط السجن بتفتيش المسجونين الخطرين أمثالنا بحثا عن منشورات أو أوراق نظيفة بوصفها « مشروع منشورات » . وفى حالتنا هذه لو ان المباحث وجدت علبة السلمون أيامها وما بها من أوراق لانهت الدنيا على مأمور السجن وضباطه وسجانيه لأهمالهم وعدم

بفظتهم وبالنالى يضع رجال المباحث أرجلهم فى السجن بشكل واضح
 رعو ما درمضه صباط السجن حيب يخدمون فى هذا ندخلا فى عملهم ،
 مفانون السجون لا يسمح لضباط المباحث بدخول السجن والتفتيش وإذا
 حدث فبكون ذاك باذن من وزير الداخلية ، حدث ذلك فى حالتنا هذه وفى
 حالات اخرى نادرة جدا . لم أعرف ماذا حدث « للزميل » الثالث
 حين عاد ضباط المباحث بخفى حنين . لكنه أفرج عنه على أى حال
 وعدت وزميلي الى سجن القلعة تم المحاربين معانين . وحين أفرج
 عنى فى أبريل ١٩٦٤ وجدت هذا الزميل الثالث يكتب فى الصحف والاذاعة
 والتليفزيون ويؤلف الكتب الكثيرة ، فى النقد والادب ، وحتى السياسة !
 وهو حتى كتابة هذه السطور كاتب « كبير » ينسار اليه بكل أصابع
 اليدين والرجلين ! كانت هذه هى المرة الأولى التى أقابل فيها
 أحمد صالح داود . . . وكانت المرة الثانية يوم ان ذهبوا بى من سجن
 التناظرية الى المباحث العامة . . لعفالى . . أو للافراج عنى .
 يومها لم أسك لحظة فى اننى سأعتقل . . وما كنت أشكر فيه هو
 اننى سأعقد كثيرا من امتيازات المسجون . . سأخلع الحذاء وامشى حافيا . .
 لن يسمح لى بالزيارة كل مدة كما تقضى لائحة السجون . . لن أستطيع
 شراء نساء من الكانتين . . الخ . . الخ . . والبدلة « الملكى » التى ألبسها هذه
 ستجد طريقها مرة أخرى الى مخازن السجن الى زمن لا أعرف مداه . .
 لم ألبسها قبل عشر سنوات الا أياما قليلة خلعتها مره أخرى كى
 ألبس « بدلة » المعتقل !! ما كنت ادخل باب المباحث العامة حتى وجدت
 زوج اختى « رحمه الله » ومعه احد اخوتى الكبار . هجم على وهو يكاد
 بختنق من البكاء ويقول :

— اخنك فى انتظارك . . راح تموت لو ما طلعتش . .

ويقول اخى :

— ذنب اخنك فى رقبتك . . اعمل اللى يقولوا لك عليه . .

لم أجب عليهم وطلبت من الضابط أن ينهى الاجراءات المطلوبة . . .
 يشول وعلى وجهه ابتسامة باردة . . باهتة . . خبيثة . .

— مستعجل ابيه . . خليك شوية مع اهلك . . يا أخى هما مش واحشيناك
 الا ابيه ؟ .

أب بغضب والألم يهرعنى

— من اهنى المواقف الانسانية نى ؟

وتعهد هذا الوحش فى زى الانسان ان يتركنى مع زوج اختى الذى يبكى
 كالأطفال واخى الذى يلح على أن أكون واقعيًا ! واكتب لهم ما يريدون .
 أكثر من نصف ساعة لم أستطع ان احبس الدموع التى طهرت من عيني !
 ولم اتكلم كلمه واحدة .

(م ٣ - الرسائل)

وفى مكتب أحمد صالح داود كان كل شيء قد اتضح قال :

- أنت عارف أيه هيه طريقة الخروج ؟

قلت بهدوء :

- طبعا عارف .

- وأيه رأيك ؟

- انت عارفه .

وتوجه الرجل بحديثه الى أهلى قائلاً .

- ما فيش فايده .. أنا قلت لكو .

وانصرف أهلى يبكون .. وذهبت انا الى سجن القلعة .. ومكثت به عشرة أيام فى زنزانة مغلقة لم أخرج منها سوى مرتين ، مرة لمقابلة أحد ضباط المباحث الذى جاء يقول لى ان اختى فى خطر ولن ينقذها سوى خروجى .

- وهل امتنعت عن الخروج ؟

قال :

- كلمتين تكتبهم وتخرج ..

قلت بغضب :

- انت عارف الاجابة ؟

يومها قضيت أسوأ ساعات عشتها فى حياتى .. كان سؤال يطن فى رأسى . هل أنا مسئول عن موت أختى ؟ . المسكينة التى مرضت يوم اعتقلونى قال لها الأطباء ان سفاءها يتوقف على صدمة مماثلة ولكن مفرحة .. لا لست مسئولا .. حياتى نفسها أقدمها ثمنا لما اعتقده . والمرة الثانية التى خرجت فيها من زنزانة سجن القلعة كانت لترحيلى الى سجن المحاريق بالواحات الخارجية . بعد يومين قرأت فى الأهرام فى مكتب مأمور السجن اسمى فى نعى اختى رحمها الله . قدم لى الرائد «.....» مأمور السجن العزاء . وكانت تربطنا بهذا الرجل بعد تجربة مريرة علاقات طيبة وانسانية سأحكيها فى رسائل المقبلة .

والمرة الثالثة التى قابلت فيها أحمد صالح داود كانت فى مساء ٥ ابريل ١٩٦٤ بعد الافراج عنى من قسم شرطة مصر الجديدة . ما ان رآنى أدخل عليه فى مكتبه حتى هب واقفا .. ابتسامة عريضة مصنوعة على وجهه ، ويده ممدودة بالتحية .. وقال :

- ارجو انك ما تكونش زعلان .

- ودى مسألة تهمة سيادتك ؟

- طبعا تهمنى .. خصوصا الآن .

- ولماذا الآن بالذات ؟

- من أجل الثورة والتطور الاشتراكي .
- ومؤامره أمس ضد زملائنا .. كانت من أجل ذلك ؟
- ويرد الرجل بخيب سديد :
- عبيكه يا شيوعيين انكو بتحطوننا في كفة واحدة . انا ليس
- لي علاقة بما حدث أمس والتحقيق اثبت ذلك .
- فهمت ما بفصده .. ولم أعلى .. وعند انصرافى قال للضابط الذى
- يرافقنى .
- اللواء **حسن المصيلحي** عاوز يشوف الأستاذ ..
- وجدت الرجل « مهذباً » أكثر من اللازم الى درجة أنه استقبلنى
- على باب مكتبه ثم رفض ان يجلس حتى اجلس أنا ! قال :
- ارجو ان تفهموا موقفى على حقيقته ..
- موقفك بالذات معروف لنا تماماً .
- قال بأدب متجاعلاً سخرينى
- موقفى ينبع من أرضية فكرية .
- ولحساب من هذا الموقف .. الذى تسميه فكرياً ؟
- بلغ الرجل كلماتى .. ومد يده محبياً .. انصرفت الى منزل أخى لأول
- مرة بعد ١٢ عاماً . وبعد أيام نفل حسن المصيلحي الى ادارة الجوازات
- والجنسية .
- والمرّة الثانية التى قابلت فيها حسن المصيلحي كانت فى صيف عام ١٩٦٨ !
- فى خلال استراحة احد المسارح وكان معى **المرحوم الدكتور محمد الخفيف**
- وجرى حديث بينه وبين **حسن المصيلحي** وكنت صامتاً . وادرك الخفيف
- اننى لا اتذكر حسن المصيلحي .. فقال من خلال ضحكته العالية المشهورة
- عنه ..
- أنت مش عارف الأستاذ والا ايه ؟
- قلت وانا اتأمله محاولاً تذكره ..
- والله مش واخد بالى .
- حسن المصيلحي .
- و
-
- ضحك حسن المصيلحي وقال :
- لا خلاص .. انا دلوقت رجل اعمال .
- وأكمل **الدكتور محمد الخفيف** بخفة دمه المعروفة .
- شركة استيراد وتصدير يا أستاذ .. فى جنيف .. امال .. عقبال
- أملكك .

- أمل عدوبنك يا دكتور .
 وبقول المصيلحي ..
 - ليه بقى .. والسفلة دى فيها أبه كمان .
 قلت بسخرية :
 - يعنى .. ترقية .. السفلة بقى على مستوى عالمي .
 قال :
 - يعنى انت لسه عند رأبك .. طيب دلوقت لحساب دبن ؟
 قلت ضاحكاً :
 - لحساب كله .. عالمي با أسناذ .
 قال :
 - على أى حال أنا ضد الشيوعية .. من موقع فكرى .
 قلت والخفيف فى نفس واحد بسخرية :
 - واضح .. واضح جداً .
 فى ذلك اليوم حكى الدكتور محمد الخفيف ما دار بينى وبين حسن
 المصيلحي مساء يوم ٥ ابريل ١٩٦٤ :
 حبيبتي
 هذه هى الرسالة السادسة اليك .. ومازلت عند احداث يوم الافراج
 رأيت ان ابدأ بها . فربما تعطبك فكرة عن بعض ما تريدين معرفته
 عنى . أما عن ذكرياتي خلال ١٢ عاماً من السجن والاعتقال فموعدهما
 رسائل المقبلة .

١٤ يناير ١٩٧٧
 بغداد

الرسالة رقم ٦

حبيبى

بعد ذاك الابله المديرة التى قضيتها فى « تخشبية » قسم بوليس
الوايلى ، أخذنى البكباشى أحمد حلمى « رئيس قسم مكافحة الشيوعية ،
ومتخذ الى النيابة العسكرية ، فقد كانت الأحكام العرفيه معلنه منذ
حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ . كانت السهور التى نلت حريق الفاسره
تشهد ازله النظام الخائفة وعجزه عن الاستمرار بالأساليب التقليدية
بما دينا الأحكام العرفية ذاتها وكانت الدوره تفتح الأبواب ، ولكن لم
يكن هناك التنظيم الجماهيرى القادر على القيام بثوره شعبية تطيح
بالنظام الملكى . ومن هنا كان موقفنا عو التحدير من انقلاب فاشى
والنضال من أجل عودة حكومة الأغلبية ، حكومة الوفد . كانت السلطة
الحقيقية هى للبوليس السياسى ، وبالتالى كان البكباشى أحمد حلمى
هو الحاكم الفعلى وبد الاستعمار الأمريكى الذى بدأ منذ الخمسينات
على وجه الخصوص يوطد نفوذه فى البلاد . حين بدأ رئيس النيابة
العسكرية النحفيق معى بجاهل بما طلبى بعدم حضور أحمد حلمى التحقيق
ولما كررت طلبى القانونى هب واقفا من على مقعده وقال بغضب كلاما
لم اتبينه . وحين طلبت أن يثبت فى المحضر حضور أحمد حلمى . . رفض
أيضا بغضب . . ملت بهدوء :

— طيب على الأقل . . واحتراما للسلطة القضائية . . هل تأمر بفك
القيود الحديدى من معصمى ! اختلطت حمرة الغضب بحمره الخجل ليكسو
وجهه لون غريب جسد كل ما يعانىة الرجل من مذله ومهانته .
بعد نتره صمت قصيرة ، تدخل أحمد حلمى وأمر بفك القيود من
بىدى !

كسرت سريعا وسيرا فلم تدارى أى شئ مانونى يثبت
تهمه تأسيس « إدارة وتنظيم » الحزب الشيوعى . حتى تقارير
البوليس السياسى لم تكن تعرف اسمى الحفيقى فحتى يوم القبض على
فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ كنت موظفا بالحكومة لذلك كنت قد قررت قبل
بدء التحقيق أن استفيد من موفى القانونى فى القضية وهذا ما نصح به
الحامون بعد ذلك . ولم يكن فى القضية سوى وزميل آخر مارسوا معه
كل أنواع الضغوط ليعترف على فلم يرضخ . انتهى التحقيق فى أيام وبقينا

فى سجن مصر فى انتظار فرار الاتهام ثم المحاكمة وخلال تلك الايام أكد المحامون بان النيابة سوف تفرج عنى حيث لا دليل واحد عندها ضدى .

وخلال شهر أغسطس صدرت تصريحات من فتحى رضوان وزير « الارشاد القومى » نفيد بان كل المسجونين السياسيين الذين اعتقلوا قبل ٢٣ يوليو سوف يفرج عنهم فورا . وخلال زيارات الاهالى لنا فالوا ان فتحى رضوان أكد بان السبوعيين الذين اعتقلوا فى العهد الملكى سوف يفرج عنهم وجاءنا من قيادات المنظمات المختلفة بان خروج كل الذين اعتقلوا قبل ٢٣ يوليو وكان عددهم لا يتعدى اللانين أمر لا شك فيه وبعد أيام خرج الاخوان المسلمون والمنهمون فى الاغتيالات السياسية وفى مؤامرة حريق القاهرة ، ثم صدر قانون يعطى الحق للذين يرون أنهم سياسيون ولم يفرج عنهم بتقديم تظلمات أمام محكمة خاصة شكلت لهذا الغرض . وتقدمنا بتظلمات نظرت أمام هذه المحكمة وقدم المحامى أحمد شوقى الخطيب مذكرة هامة أورد فيها نصوصا من الدستور المصرى والقوانين المصرية وأحكام القضاء المصرى فضلا عن دساتير معظم دول العالم المتحضرة تؤكد حقنا فى الافراج عنا . وبعد عدد من الجلسات أصدرت المحكمة حكما برفض تظلماتنا وقالت فى حيثيات الحكم ان الشيوعيين ليسوا سياسيين وإنما هم اقتصاديين وأنهم يصبحون سياسيين فى حالة ، احده فقط هى حالة استغلالهم على السلطة !!

قبل نظر قضية التظلمات السياسية كان قرار الاتهام قد وصلنى فوجدت نفسى أنا وزملى مصطفى كمال خليل ، الذين اعتقلنا قبل ٢٣ يوليو فى قرار واحد مع ٢١ آخرين قبض عليهم بعد ٢٣ يوليو والاتهام الموجه للجميع هو قلب نظام الحكم . . اثنان متهمان بقلب نظام الحكم الملكى والباقي متهمين بقلب نظام الحكم الجديد !!

بعد أيام من رفض تظلماتنا سحبنا قضيتنا من امام محكمة الجنايات العسكرية وأعضائها من مستشارين كى بنظرها مجلس عسكرى أعضاؤه من العسكريين وبرئاسة القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن ونائب أحكام عسكرى وباجراءات مجلس عسكرى . وكانت هذه أول قضية شيعية يشكل لها مجلس عسكرى خاص .

وقد نشرت روز اليوسف خبرا يقول بان الدوائر الامريكية ارتاحت لتشكيل مجلس عسكرى خاص لمحاكمة الشيوعيين . وظللنا أياما قبل بدء المحاكمة نسأل باى قانون سوف نحاكم ؟ هل بقانون صدقى الذى أقصى عقوبة فيه هى ١٠ سنوات أشغال شاقة ؟ أم بقانون محاكم الثورة الذى تصل أحكامه الى الاعدام ؟

وأصبح قانون صدقى الذى صدر عام ١٩٤٦ غير الدستورى لانه صدر

مى عبه البرلمان حلمنا ننمناه " ومضت أبام لم نصننا اى اجابة على
عدا السؤال حتى المحامين الذين وكلوا للدفاع عنا لم يعرموا احابة على
عدا السؤال " أكثر من ذلك لم تكن نعرف ولا المحامين يعرمون أين
سنحاكم " .. هل مى احدى قاعات **المحاكم الجنائية** أم مى أحد **معسكرات**
الجيش ؟ ووصلتنا اساعات تفول بأن الفبة نجه الى عمل محاكمات سريعة
مى أحد **معسكرات الجيش** واصدار عدد من الأحكام بالأعدام وتنفيذها
فوراً رهيا بالرصاص !

وعكذا عسنا أكثر من عشره أبام نهياً للاساعات والاخبار المصاربه ، غير
ان الروح المعنويه للغالبية العظمى من الزملاء المدمين الى هذه **المحاكمة**
الاستثنائية كانت عالية للغاية ، وتغلبت روح - **الاستشهاد فى النهاية**
وكسافى نهار كل يوم نغفد الاجتماعات لتقوية الروح المعنوية ، وفى
المساء بعد قفل الزنازين ننشد الأناشيد الوطنية .

ولم نعرف موعد المحاكمة ومكانها الا فى صباح نفس اليوم الذى
خرجنا فيه للمحاكمة ، ولم نعرف وفق أى قانون سنحاكم الا من نائب
الأحكام البكباشى حسن سرى قبل ان تبدأ أول جلسة للمحكمة .
وبدأت محاكمتنا لتستمر أكثر من شهرين ثم توقفت لبدأ محكمة
جديدة برئاسة **اللواء فؤاد الدجوى** بعد أن قبض على **رئيس المحكمة**
الأولى أحمد شوقى عبد الرحمن .

وكانوا يريدون لهذه المحاكمة أن تكون ارهايا لنا ولكل زملائنا فى الخارج ،
وإكنا حولنا الى مهزلة حين تحدينا اربابهم وحدثت أبناء محاكمتنا أمام
المحكمين قصص طريفة .. موعدها معك با حببتى فى الرسائل المقبلة .

١٥ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٧

حبيبتي

كان يوم ٨ يوليو ١٩٥٣ يوما غير عادي في سجن مصر . فمن المعتاد ان تفتح زنازين كل عنبر حوالى الثامنة صباح كل يوم « لتنظيفها » ولكي يفضى المساجين « حاجتهم » في دورات المباش ، ثم ينزلون الى فناء السجن في « طابور » صباحي ، بعدها ينسلمون وجبه الغذاء ، ثم تغلق الزنازين . لكن في ذلك اليوم لم تفتح الزنازين في الموعد المعتاد . الزنازين التي كان بها الزملاء المتيمون في القصصه الاولى المقدمة الى المجلس العسكري برئاسة القائم مقام أحمد شوقي عبد الرحمن هي فقط التي فتحت تحت اشراف مأمور السجن وضباطه ! ووسط صيحات السجانة وتساؤلات المساجين !

نزلنا من الطابق الثاني عنبر ب في سجن مصر وهتافاتنا تهز كل جدران السجن . . . عاش نضال الشعب المصري . . . تحيا مصر حرة مستقلة وكان زملاؤنا من المنظمات الأخرى ينشدون . . . بلادى بلادى ويلوحون لنا بأيديهم مشجعين .

وفي غرفة المأمور كان هناك عدد من الأطباء الضباط لاجراء الكشف على قلوبنا . . . لا أدري لماذا ؟

بعد الكشف على قلوبنا ووضع القيود الحديدية في معاصمنا خرجنا من باب السجن العمومي لنجد أربع سيارات وقد امتلأت برجال الشرطة . . . الأسلحة الرشاشة في أيديهم مصوبة نحونا . . . وعربتان مغلقتان تماما مثل الزنازين ، وفي مؤخرتها شرطيان يمسكان بالدافع الرشاشة . كانت المنطقة المحيطة بالسجن خالصة تماما . . . الدكاكين مغلقة . . . لا باعة . . . ولأهالي فقد منعت الزيارة في هذا اليوم . ومن الطريف أن قائد الحرس كان لا يعرف شيئا عنا فسألني .

– أبة الحكاية يا ابني انتو متهمين بأيه ؟

– سيوعبة .

– طيب ولبه الهيصه دى كلها ؟

قلت بسخرية :

– ببسو ان احنا خطرين قوى . . .

وأردت أن أعرف منه أين سنحاكم وكانت مفاجأة مذهلة حين قال لي

أنه لا يعرف بعد !

– أمال راح تودينا فين ؟

قال الرجل الطيب :

– ادينى مستنى الأوامر ..

وعرفت من البكباشى رئيس الحرس أنه استدعى مساء أمس من قنـ^ة حيث يعمل هناك – فى مهمه سرية جدا وعليه أن يتواجد فى سجن مصر يوم ٨ يوليو ١٩٥٣ !

بعد حوالى نصف ساعة تحرك الموكب المهيـب .. سيارتان فى المقدمة ورشاشات تحملها الشرطة مصوبة الى امام العربيتين اللتين نركبهما .. وسيارتان خلفنا والرشاشات مصوبة الى الخلف ..

نادانى مأمور الحرس لأجلس الى جانبه ... بعد دقائق فأت صاحكا :

– أيه العظمة دى كلها !

رد على الرجل وكان التأثير بادبا على وجهه .

– يا ابنى انت فى أيه والا أيه بس !

– با سبدي ولا ييهمك .. لكن احنا راح نتحاكم فين ؟

– فى محكمة الاستئناف بباب الخلق

صحت فرحا وأعلنت الخبر للزملاء .

تعجب المأمور وسألنى فى اندهاش

– أيه الحكاية مبسوطين قوى كده ليه ؟

قلت :

كنا فاكربنا اننا رابحين أحد معسكرات الجبش ... نتحاكم هناك

زى خهيس والبقرى ...

علق الرجل وقد ازداد اندهاشه .

– ليه يا ابنى وانتو عملتوا أيه ؟

كان الموكب قد وصل الى ميدان باب الخلق .. هذا الميدان المزدهم

الذى لاتجد فيه موطأ لقدم .. كان خاليا تماما .. من السيارات

وعربات الكارو .. ومن كل الناس . وقفت عربات الموكب ، وعلى طول

السلام والطرق المؤدية الى قاعة المحكمة .. اصطفت اعداد هائلة من

الجنود يحملون أسلحتهم ، ووسط هذا الحشد الهائل من الجنود .. سرنا

نرفع ابدينا المقبدين بالقيود الحديدية نحى أهالينا الذين وقفوا على

مبعدة منا وننشد .. بلادى .. بلادى .. لك حبي وفؤادى ..

وبعد أن ادخلونا قفص الاتهام .. دخل الأهالى والمحامون الى قاعة

المحكمة . جاء عدد كبير من المحامين التقدميين والوطنيين . كان من

التقدميين أسماء لامعة ولعت أكثر فى الستينات .. وكنت اعرفهم

جميعا .. للأسف كان موقفهم مخزبا .. واحد منهم تنحى عن الدفاع

عننى وآخرون تنحوا أيضا .. ولما سألت عن السبب قالوا :

- اصل ما فيش فايذة .. الأحكام صادرة .. صادرة ..
يؤسفنى أن أقرر اننى اسقطتهم جميعا .. واحتقارا لشأنهم لم اعلق ..
الذين دافعوا عنا كانوا متطوعين كان من بين **الوفدين** .. **سليمان غنام** ، **أحمد الحضري** ، ومن بين رجال المحاماة البارزين **موريس أرقش وعادل أمين** وغيرهم .. حتى المحامين الذين انتدبتهم المحكمة للدفاع عنا كان موقفهم عظيما .. اذكر منهم **الدكتور مدحت** الذى جاءنى فى قفص الاتهام يطلب منى فى شبه رجاء أن أقبل انتدابه للدفاع عنى مع **الاستاذ سليمان غنام** .. قال :

- رغم اننى لست محامى جنايات لكنى قرأت كل التحقيق .. وأنت ١٠٠٪ براءة ..

- ١٠٠٪ براءة ؟ سيادتك متفائل قوى ..

قال الرجل ورنه صوته تحمل كل الثقة ..

- التهمة الموجهة اليك قلب **نظام الحكم الملكى** ..
قلت مازحا :

- طب ودى فيها أيه ؟

- ما أهو **الضباط** قلبوا **نظام الحكم الملكى** فعلا الى انت متهم بمحاولة قلبه ..

- ده كلام منطقى يا دكتور .. لكن ..

- ما أهو يا تطلع انت براءة .. يا **الضباط** دول بيجوا هنا السجن معاك ..
لمحت على باب القاعة **الاستاذ سليمان غنام** فادما نحوى .. سمع الجملة الأخيرة **للدكتور مدحت** فقال مبتسما :

- يا دكتور مدحت .. ما تزعلش .. روق دمك ..

ورأيت الدهشة على وجه **الدكتور مدحت** .. وراح يخطب يده باليد الأخرى ويقول كلاما لم اتبينه ..

قال له **الاستاذ سليمان غنام** مبتسما ..

- بعدين افهمك يا دكتور مدحت ..

قال لى **الاستاذ سليمان غنام** « رحمه الله » :

- موقفك فى القضية سليم جدا .. لو طبق القانون فالحكم بالنسبة لك سيكون براءة ..

قلت ضاحكا :

- هل للسبب نفسه الذى يسوقه الدكتور مدحت ؟

قال ضاحكا :

- انا باقول القانون .. مش المنطق .. ليس هناك دليل واحد عليك ..
قلت :

- يا استاذ غنام .. أنت موكل للدفاع عن الديمقراطية والحريات السياسية .. كل ما نريده هو أن يسمع الراى العام دفاعك عن الحرية ..

وصاح الحاجب :

- محكمة .

- دخل القائمقام أحمد شوقي عبد الرحمن رئيس المحكمة .. وضابطان برتبته صاغ .. بعدهما دخل حسن سري نائب الأحكام .. بسم على نور الدين « المدعى » .

فقبل أن يجلسوا .. وقف أعضاء المحكمة ووضعوا أياديهم اليمين على المصحف ورددوا المسم .. وبدأت المحاكمة .
نادى رئيس المحكمة .. المتهم الأول (...)

- عل لك اعتراض على المحكمة ؟

- اعترض على تسكيل المجلس العسكري .. ولبس لي اعتراض على اشخاص المحكمة .

وأعلن كل المتهمين اعتراضهم على تسكيل المجلس العسكري
وتقدم المحامون .. سليمان غنام .. أحمد الحضري .. مورييس أرقش،
عادل أمين يطلبون تأجيل المحاكمة حتى ينظر مجلس الدولة في المذكرة
التي تقدموا بها بطعنون في دستورية تشكيل المجلس العسكري .
ورفعت الجلسة للمداوله .

وانعقدت المحكمة بعد نصف ساعة وأعلن الرئيس

- قررت المحكمة الاستمرار في نظر القضية المعروضة عليها حتى يصدر
مجلس الدولة قراره بشأن اعتراض الدفاع على تسكيلها ..
واستؤنفت المحاكمة .. جلسات صباحية ومساءلية واستمرت شهرين
كاملين .. وقبل ان تصل اجراءات المحاكمة الى نهايتها بأبام .. قبض
على أحمد شوقي عبد الرحمن رئيس المحكمة وعلى المرحوم الاستاذ سليمان
غنام ! كيف بدأت المحاكمة .. وكيف انتهت بالقبض على رئيس المحكمة
وعلى الحامي الذي بدافع عنى ؟

سأحكي لك ذلك يا حبيبتي في الرسالة المقبلة .

١٦ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٨

حبيبتى

ما يقرب من شهرين استمرت محاكمتنا أمام المجلس العسكرى برئاسة
القائمقام أحمد شوقي عبد الرحمن . وكانت الجلسات تعقد صباحا ومساء،
وبعد أيام قليلة أصبحت المحاكمة بالنسبة لنا فرصة للقاء الأهل والاصدقاء
وتناول الأكل « البييتى » الذى حرمننا منه مدة طويلة . كميات وافرة
من اللحوم والدجاج التى لم نتذوقها منذ دخلنا السجن . كنا نأكل
فى المحكمة ونأخذ معنا أيضا . حدث مرة أن أعترض ضابط السجن
(. . .) وكان معروفا بصلته بالمباحث العامة . على ادخال ما نأخذه
معنا من طعام الى السجن . شكونا لنائب الأحكام حسن سرى فأمر الرجل
بأن يدخل كل الطعام الذى نأخذه معنا للسجن ، كما كان بعد انتهاء حساب
المحكمة يسمح لنا بالجلوس مع اهالينا بعض الوقت فى قاعة المحكمة .
قلت له يوما :

- تجدو انسانا . . خلاف ما يدل عليه مظهرك . . ودورك فى المحاكمة
ابتسم وقال :

- وعلام يدل مظهرى ؟

قلت ضاحا :

- فاشى

ضحك وقال :

- وهل تأخذ بالمظهر ؟

- أرجو أن نفاخ لى فرصة معرفة الجوهر :

ورئيس المجلس العسكرى تكونت بيننا شبه صداقة . اذا شكونا له
من سوء معاملتنا فى السجن نادى على ضابط السجن ليناقشه ثم يأمر
بمعاملة حسنة وفق اللائحة .

ورئيس الحرس . . نشأت أيضا معه علاقة طيبة ، قال يوما :

- لقد تعودت عليك وعلى الحديث معك . . سأسرع بنقص فى حياتى
بعد انتهاء المحاكمة .

قلت ضاحكا :

- بسيطة . . دعنى أمرب . .

قال :

والله يا ابني لولا الولاد لكنت ساعدتك على الهرب .. لكن أنا عارف
انك راح تخرج براءة .

- ومنين عرفت ؟ ..

- لقد سمعت رئيس المحكمة يهنئك .. عندما انتقلت المحكمة لمعاينه
واقعه انقبض عليك .

وحقيقة .. لقد هنأني رئيس المحكمة .. كما هنأني على نور الدين
المدعى العام وحسن سري ناذب الاحكام واليك ما حدث .

حين بدأت المحكمة فى سؤال شهود الانبئات .. تضاربت أقوال
الشهود ، واحد منهم قال أنه قبض على وأنا أطرق باب زمبلى مصطفى
كمال خليل مساء وكان مد مبض عليه صباحا .. والآخر قال اننى بعد
ان صعدت بعض درجات السلم لاحظت وجود مخبرين فجريت عاربا وجرى
خلفى وهو يصبح :

- حرامى .. حرامى ..

وعلى الاستاذ سليمان غنام ساحرا .

- ما هو لو كنت قلت شيوعى .. كانت الناس ضربتك .

وقبل أن يطلب الاساذ غنام انتقال المحكمة لمعاينه واقعه القمص على
كان رئيس المحكمة يقرر انتقال المحكمة الى المنزل ..

وبالفعل انتقلت المحكمة الى منزل مصطفى كمال خليل وهو يقع فى حارة
درب البرابرة بالموسكى .. منزل قديم لا ندخله الشمس ايدا .. ويفجع
فى ظلام دامس الى حد ان المرء لا يستطيع أن يرى أبعد من متر واحد
فى حوشه أو على السلم فى وصح النهار .

بعد أن نزل أعضاء المحكمة من منزل زمبلى وكنت انتظرهم فى
السارح همس غنام فى اذنى .

- المحكمة مقتنعة تماما بدرائتك .

وقال على نور الدين :

- مبـرـوك .

قلت :

- كان المروض أن تقوم النيابة بذلك .

لم يوافق الرجل

والنفت الى أحمد شوقي عبد الرحمن وهائل :

- من الناحية القانونية .. مبـرـوك .

والحقيقة اننا كنا غير قادرين على تفسير موقف أحمد شوقي

عبد الرحمن . كان يهتم اهتماما ملحوظا بكل الجوانب القانونية . ورعم ان

المدعى طلب مرات عديدة أن نعقد الجلسات سرية فقد رفض

الرجل وكان يصر على علنية الجلسات ويطلب نشر ما يدور بها

فى الصحف • وبالطبع لم تكن الصحف تنشر شيئاً فيما عدا
جريدة المصرى التى كانت تتحايل على نشر بعض ما يدور فى
جلسات المحاكمة • ويومياً وطوال مدة المحاكمة كنت أقول
للاستاذ غنام أن الصحف لا تنشر شيئاً • • وكان يطلب من المحكمة ضرورة
أن تنشر الصحف ما يدور فى المحاكمة • • وكان أحمد شوقى عبد الرحمن
يثبت فى محضر الجلسات أن الصحف عليها أن تنشر ليكون رأى العام
رقيقياً على ما يدور • • وكان يطلب يومياً من نائب الأحكام الاتصال
بالصحف وأن يطلب منها النشر • • وكثيراً ما لام مندوبى الصحافة الذين
يحضرون الجلسات •

وهكذا تحولت المحاكمة ما يقرب من الشهرين الى نزمة • • فيها ما فيها
من الطرائف • •

وفى أحد الأيام ذهبنا كالمعتاد الى المحاكمة • • وقبل ان ندخل قاعة
المحاكمة خرج رئيس الحرس ليصدر تعليماته للحرس بإعادتنا الى
السجن •
سأله • •

- ماذا جرى ؟ هل أجلت المحاكمة ؟

لم يستطع الرجل أن يغالب الضحك وقال :

- أيوة أجلت • •

- ليسه ؟

- لأن القاضى «لقى القبض عليه» !

وعدنا الى سجن مصر لنمكث فيه شهراً فى انتظار محاكمة جديدة حتى
شكلوا مجلساً عسكرياً جديداً برئاسة اللواء فؤاد الدجوى •

ومع الدجوى كانت حكايات طريفه • •

موعدهما معك يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة •

١٧ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (٩)

حبیبتی

بعد القاء القبض على « القاضي » أحمد شوقي عبد الرحمن مكثنا في السجن أكثر من شهر ونصف . وبدأت محاكمتنا من جديد أمام مجلس عسكري برئاسة اللواء فؤاد الدجوى في أكتوبر ١٩٥٣ .

لم تبدأ محاكمتنا من حيث انتهت المحاكمة الأولى كما يحدث في المحاكم الجنائية . وإنما بإجراءات المجلس العسكري الذي يلغى كل إجراءات المجلس السابق ويبدأ من جديد . بعد أن أفسمت المحكمة اليمين ونادى رئيسها على :

- المتهم الأول .. عبد الرحيم عثمان - هل لك اعترض على تشكيل المحكمة ؟

- أعترض شكلا وموضوعا .

- المتهم الثاني (...)

- أطلب التأجيل حتى ينظر مجلس الدولة في الدعوى المرفوعة أمامه بعدم دستورية تشكيل هذا المجلس .

- هذه محكمة وليست مجلسا عسكريا .

- بل هو مجلس عسكري .. وأحكامه جاهزة .

ويعلو صوت « الدجوى » يهدد ويتوعد .. وترتفع هتافاتنا .. الدستور .. الدستور ويطلب المحامون تأجيل الجلسة حتى ينظر مجلس الدولة الدعوى المرفوعة أمامه . ويتداول « القاضي » مع نائب الأحكام .. ويقول :

- قررت المحكمة الاستمرار في نظر القضية .. المتهم الثالث (...)

- تشكيل هذا المجلس غير دستوري وأعترض عليه .

ويستأجل « الدجوى » :

... ..

... ..

- لماذا تعترض ؟ .. سنحكمم بالقانون .

- لا تملكون .. الأحكام جاهزة ..

ويصرخ الدجوى . يهدد مرة أخرى ويقول :

- كل الضمانات مكفولة بالقانون المتهم الرابع (...)

- هذا النوع من المحاكمات لا يقدم ضمانات .. لا للقاضي .. ولا للمحامي

ولا للمتهم ..

ويعاود الدجوى صراخه .. وتتوالى تعليقات الزملاء :

- أين القاضي السابق ؟
 - أين أحمد شوقي عبد الرحمن ؟
 - وأين الدفاع عن المتهمين ؟
 - أين الاستاذ سليمان غنام ؟
 - فبين هيه الضمانات ؟
 - الدستور هو الضمان .
- وترفع الجلسة .. وبعد خمس دقائق تعود للانعقاد . يهدد مرة أخرى ثم ينادى :
- المتهم الخامس (٠٠٠)
 - نرفض التهديد .
 - جاوب على السؤال .
 - نرفضكم شكلا وموضوعا .
- ويعترض المتهم السادس . ثم المتهم السابع .. وكنت أنا المتهم الثامن .. أقول :

- أين الاستاذ سليمان غنام ؟
- ويصرخ الدجوى ..
- جاوب على السؤال .
- سأجاوب .. ولكن في حضور المحامي الموكل عني .
- محامي لم يحضر .. المحكمة مالها ؟
- المحكمة تعرف لماذا لم يحضر ؟
- ويتقدم محامي من مكتب الاستاذ غنام .. يقول :
- الاستاذ سليمان قبض عليه .. وهو يطلب السماح بحضوره للدفاع عن المتهم .

ويلتفت « الدجوى » الى المدعى العام :

- على النيابة أن تقوم بعمل اللازم ..
- ويقول لي :

- جاوب على السؤال .
 - لما يحضر الاستاذ غنام .
 - المحكمة ستنتدب محاميا آخر .
 - وأنا أرفض أي محام تنتدبه المحكمة ومصر على الاستاذ غنام .
- (صمت)

ثم ينادى على المتهم التاسع .. و .. والثالث والعشرين .. الجميع يعترضون على تشكيل المجلس العسكري من حيث الشكل والموضوع . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ترفع الجلسة لتتجدد في صباح الغد . في مساء اليوم نفسه ناقشت مع الزملاء خطتنا في المحاكمة وقررنا

أن نحمل منها مظاهره سياسية نطالب بالديمقراطية والحريات السياسية والدستور . ومع أننى اتفقت مع الزملاء على أن أقوم بعمل دفاع سياسى . إلا أن الزملاء فى الخارج رفضوا ذلك . بحجة أنه لا يجب التفريط فى موقفى القانونى فى القضية ، خاصة وأن « القاضى » السابق كان قد أبدى رأيا ببراءتى . واتفقنا على أن أقوم الزميل سعد باسيلى بعمل هذا الدفاع السياسى وكنت قد انتهيت من اعداده قبل أن يلقى سعد باسيلى بومنت كاف حبيب أرسلناه للزملاء فى الخارج لطبعه ونوزيعه أثناء المساء فى المحكمة . وبالفعل بينما كان سعد باسيلى يلقى دماغه السياسى كان زملاؤنا فى الخارج يوزعونهم وكانوا قد أرسلوه الى القاضى وأعضاء المحكمة وكل المحامين .

وكان مشهدا طريفا . . سعد باسيلى يلقى دفاعه السياسى من ورق مكتوب بخط اليد . . وعدد من المحامين يستمعون اليه . . ويقرأون ما يسمعون فى كتيب « مطبوع » . الصمت يلف قاعة المحكمة وأعضائها وصوت سعد باسيلى يسمع .

وفوالى المحامون يقدمون دفاعهم عن التهمين وقد ركزوا على الجانب السياسى فى القضية ولم يكن الجانب القانونى يحتل فى دفاعهم سوى القدر الضئيل جدا واستمرت المحاكمة أكثر من شهر ونصف . بعدها سمعنا اشاعات قوية تقول بأن القضية سوف تحول الى محكمة النورة . وقد ازعجتنا هذه الاشاعات ، بفانون صدى « غير الدستورى » أقصى عقوبة ينص عليها هى عشرة أعوام أشغال شاقة ، بينما قانون محكمة الثورة يصل الى الاعدام . وفى أحد الأيام همس نائب الأحكام لنا :

— اطلبوا من المحامين الاختصار فى الدفاع .

— لماذا انها مرصعة لرؤية الأهل وشم الهواء .

قال الرجل بجديّة .

— هناك انجاه قوى لتحويلكم الى محكمة الثورة .

واستمرت المحاكمة عدة جلسات ، ثم رفع الجلسة وأعلن رئيس المحكمة انتهاء المحاكمة فى النصف الثانى من نوفمبر عام ١٩٥٣ . وبقينا فى سجن مصر ننتظر اعلان الأحكام ، فالمجلس العسكرى لا يعلن أحكامه فى قاعة المحكمة وإنما بعد التصديق عليها من رئيس الجمهورية .

ومى ١٢ يناير ١٩٥٤ أعلن حاله الطوارئ فى السجن كله وفى كل المنطقة المحيطة به . . لسبب لم نعرفه ولم يعرفه احد الا بعد ان وقف ٢٣ زميلا فى طابور لينلو ضابط كبير فى الجيش الحكم الصادر عليهم وكان يوما مثيرا ساحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٣٠ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٠)

حبیبتی

کتبت جريدة المصری فی يوم ١٣ يناير ١٩٥٤ وصفا للطريقة التي اعلنت بها الاحكام علينا فی ذلك اليوم ، وكانت هي الصحيفة الوحيدة التي انفردت بذلك ، وبالطبع لم يكن ذلك مجرد سبق صحفي قام به الأستاذ محمود مراد الذي كان مسجوناً ويعالج فی مستشفى السجن واستطاع ان يرى من احدى نوافذه ما یجرى فی فناء سجن مصر ، وانما كان تعبیراً عن موقف حزب الوفد من الحريات السياسية والديمقراطية . فی ذلك اليوم ظلت زننازین السجن كلها مغلقة حتى حوالي التاسعة صباحاً وهي عادة تفتح فی السابعة . السجناء یقفون خارج الزننازین لا یعرفون السبب . والمنادی الذي ینادی یومياً علی أسماء المساجین الذين یستحقون الزيارة لم یرتفع صوته كالمعتاد . والاهالی الذين كنا نراهم یومياً حول السجن من شبابیك الزننازین الضيقة لم نجد لای واحد منهم أثراً . الدكاكين والقهاوی المحیطة بالسجن أغلقت كلها . ترى ما الذي حدث ؟ ربما كان انقلاباً جدیداً وفرض حظر التجول منذ الصباح الباكر . سالنا السجناء والحناء فی السؤال ولكنهم صمتوا جميعاً . . . كما یصمت أبو الهول . وفی التاسعة صباحاً . . . فتح باب العنبر . . . ثم سمعنا صوتاً ینادی . . . بعد ان سمعنا ثلاثة أسماء . . . عرفنا انهم ینادون علی زملائی فی القضية وكنت المتهم الثامن فیها . وبعد الاسم الثالث والعشرين سمعنا صوتاً .

— الأسماء دی تجیب حاجتها معها وتنزل .

اذن هی الأحكام !

بسرعة اتفقت مع الزملاء علی الموقف اثناء تلاوة الأحكام .

وقفنا صفا واحد حسب ترتیبنا فی قرار الاتهام . . .

قال الضابط الكبير وكان یمسك أوراقاً فی یده :

— كل واحد یسمع اسمه یتقدم خطوتین الى الامام .

وبدا ینادی . . .

— المتهم الأول . . . عبدالرحیم عثمان .

— ١٠ سنوات أشغال شاقة .

ويهتف الزميل

- عاش كفاح الشعب المصري
- المتهم الثانى ٠٠ (٠٠)
- ١٠ سنوات أشغال شاقة
- عاشت الحرية ويسقط الارهاب

وهكذا ٠٠ كل زميل يهتف بعد سماع الحكم عليه حتى آخر زميل وكان حكمه ٥ سنوات وهو أقل حكم . ولم يصدر حكم واحد بالبراءة . لم يعترض احد من الضباط على الهنافات ٠٠ وطوال هذه العملية ران صمت رهيب فى كل انحاء السجن ولم يكن يسمع به سوى هتاف الزملاء الذين يسمعون الأحكام . ثم ارتفعت أصوات زملائنا فى الزنازين المغلقة وهم يرددون نشيد ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى .

كنت انا ومعى ١٠ زملاء حكم عليهم بالأشغال الشاقة ١٠ سنوات . وتراوحت أحكام الزملاء الباقين بين ١٠ سنوات و ٥ سنوات سجن وكانوا قد اعدوا سيارات السجن التى ستنقل المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة الى الليمان . وبدأت اجراءات تحويل ١١ زميلا من مساجين تحت التحقيق يلبسون الملابس العادية الى محكوم عليهم بالأشغال الشاقة يلبسون بدلة زرقاء ٠٠ ممزقة ٠٠ بالية . بها اعداد كبيرة من حشرات « القمل والبق » ٠٠ ويحق فى كل قدم حلقة بها سلسلة من الحديد تتصل بالحلقة الأخرى ووزنها ٤ كيلو جرام ٠٠ وتعلق فى الوسط بواسطة حلقة أخرى تعلق فى حزام جلدى . ويقضى الحكم بأن يظل المحكوم عليه بالأشغال الشاقة مقيدا بهذه القيود لا يخلعها ابدا ٠٠ سواء فى نومه ٠٠ أو فى يقظته ٠٠ أو حتى عند الاستحمام ٠٠

على باب سجن مصر الخارجى كانت تنتظر عربتان ٠٠ انا وخمسة زملاء ركبنا احدها ٠٠ والخمسة الآخرون ركبوا الأخرى . سارت بنا العربة الاولى الى السجن وأبى زعميل واتجهت العربة الثانية الى ليمان طوره .

وعندما تحركت بنا السيارة ٠٠ لمحت على البعد اخى مسعد « رحمه الله » ومع زوجته السابقة يلوحان لى من بعيد ٠٠ كانا قد أتيا الى السجن فقد كان هذا اليوم هو موعد زيارتى ! وخلال الرحلة من سجن مصر الى ليمان أبو زعبل ٠٠ كنا ننشد نشيد (بلادى ٠٠ بلادى) .
وننشد :

أخي ما الحديد إذا البسونا الحديداً
لفد جهلونا إذا حسبونا عبداً

فجأة .. قال وليم اسحق وهو بيقسم وقد أمسك قيوده بيديه
- ألا نولّي با درش .. لما الواحد عايز يستحم يخلع هدومه ازاي ؟
وتبيننا الى مشكلة حقيقية سوف تواجهنا عند الاستحمام .

الحلقتان حول الأقدام ضيقتان جداً بحيث لا يمكن أن يخرج منها
القدم .. وحاولنا جميعاً خلعها دون جدوى .. كل حلقة محكمة حول
القدم .. وتصل الحلقتان سلسلة حديدية ثقيلة لا يمكن الإفلات منها
إلا على يد حداد .. ومتى ؟ بعد ١٠ سنوات !
قلت ضاحكاً ..

- نلّي أي حال يمكن أن نستمبد من خبرة من سبقونا .
قال وليم اسحق ضاحكاً :
- سرّ استفيدوا اننو بمى .. سوف .
كان يرجع قدمه اليمينى الى أعلى .. ويمسك بالحلقة التى اخرجها
منها بيده ..

كان مجدى ضاحكاً :
- يا حنك يا وليم .. عملتها ازاي ؟
قال بزهو :

- ده من بيا أسنك .. امال بنلعب .
كان وليم نحيفاً الى درجة مخيفة .. ويبدو ان الحداد الذى وضع له
الحلقتين فى قدميه ثم جد حلقة أضيق من تلك التى وضعها فى
رجله اليمينى .. فقد كانت اليسرى ضيقة جداً فلم يستطع اخراج
رجله منها رغم محاولاته .

ثم قال وليم ضاحكاً
- انت بمبنى يا وليم ..
- انا مالى ده الحداد اللى يمينى ..

بعد حوالى ساعة .. كنا أمام ليمان أبو زعبل .. على باب
الليمان كان نف المأمور ومعه ثلاث ضباط وأكثر من عشرة سجانة ..
من بعيد سمعنا أصوات قيود مئات المساجين العائدين من « الجبل »
كان موكب العبيد يقترب منا تدريجياً .. وفى الأفق كان شعاع الشمس
الأخير يختفى .. والظلام يزحف مع زحف موكب المساجين العائدين بعد
نهار كامل من الشغل فى تقطيع أحجار البازلت فى الجبل . ويحيط

بهم عشرات الجنود وهم يحملون مدافعهم الرئيسية .. وعدد من الذخائر
يمنطون حبولهم .

وعلى باب الليمان جلس المساجين « ديز » لأجراء التهام .. بعد دقائق
ضرب بروجي « التهام » والتمام في لغة السحور عو مراجعه عدد
المساجين للتأكد من مطابقة العدد لما في دوائر السجن .. وعسى
عملية تجرى يوميا صباحا ومساء عند خروج المساجين للعمل وعدد
عودتهم .

« اذن سنكون من الغد أفرادا في حش العبيد هذا . وهل
يطول بنا العمر عشر سنوات على هذه الحال .. وهل يحتمل هذا
العذاب اليومي ؟ »

وأفقت من تأملاتى على صوت سجان بنادى علينا ان ننبعه . كان
السكون مخبيا تماما على الليمان .. العبيد دخلوا غابرههم .. عدد
من السجناء والضباط يغادرون الليمان الى بيوتهم .. وعلى باب مكتب
المأمور وقف الضابط النوبتجى و٣ سجناءه .. وأمام المكتب ومفنا
صفنا واحد .. ما ان خرج المأمور من مكتبه حتى سمعنا صوتا عاليا
يقول :

- اقعد « ديز » يا مسجون أنت وهو

لم ننفذ .. وظللنا واقفين

عاد الصوت أكثر حدة :

- يا مسجون أنت وهو اقعد

ظللنا واقفين .. وهم احد السجناء بعصاته كى بضربنا .. لكن

احد الضباط منعه .. وقال :

- ليه ما بتنفذوش الأمر

قلت بحد :

- لم نعتد على هذا .

- لكن انتو دلوقت محكوم عليكم بالأشغال الشاقة

ولو

- يعنى ايه ولو ؟

- بعنى ضرورى نعامل بوصفنا مسجونين سياسيين .

كان المأمور في مكتبه يسمع الحوار وفجأة خرج وهو يصيح بصوت

عال :

- انتو هنا في الليمان ولازم اللابحة تنفذ .

- وهل في في اللابحة اهانة المسجونين .

- بلاش فلسفة .. حكاية الشيوعية دي مش هنا .. انقم هنا مساجين .

- مساجين بس سياسيين .

زاد غضبه :

- وايه يعنى .. عايزين امتيازات ؟

- لا .. عاوزين بس تطبيق اللايحه .

ندخل ضابط كان يراقب الموقف صامتا .. كانت فى نظراته مودة نحونا .. همس فى اذن المأمور كلاما لم نقبفه .. ثم جاء الينا وطلب ان نتبعه . وفى مكتبه دار معه حديث ودود .. قال :
- انا طبعا ماليش دعوة بالسياسة .. وانا عمري ما شفت شيوعيين لكن باين عليكو ناس منقفين .. لكن طبعا لازم تنفذوا اللايحه .. فاهمين اللايحه ..

- احنا لا نريد غير تنفيذ اللايحه .

- مضبوط .. يا الله يا سجان خدكم على القاديب ..

قلت محتجا ..

- منين لايحه يا حضرة الضابط . ومنين تودونا القاديب ..

قال ضاحكا :

- تعجبني .. اهو كده ..

ثم تركنا وذهب الى مكتب المأمور .

فى السجون زنازين نسمى « القاديب » يسجن فيها المسجون الذى يرتكب مخالفة فى السجن . وتاديب المسجون هو ان يسجن « انفراديا » وينام على الأسفلت .. ولا يأكل الا عيش حاف وملح الثلاث وجبات ، ولا ولا يخرج من زنزانه أبدا .

وطبعا وضعنا فى هذه الزنازين مخالفة واضحة للائحة السجون . جاء الضابط (..) قائلًا وعلى وجهه ابتسامة خفيفة :

- أصل بقى فيه مشكلة .. انتو شيوعيين والمأمور مش عاوز يخليكو مع المساجين فى العنابر ..

- ليه بقى وهو احنا مش مساجين ؟

ضحك الرجل وقال :

- خايف عليهم من المبادئ الهدامة بتاعتكو دى !

- معنى كده اننا نعيش هنا فى سجن انفرادى .. يعنى اشغال

شاقة وتاديب كمان ..

- دى مسألة مؤقتة

ووجدنا الأمر يصلح للمساومة ..

- طيب كل ثلاثة يقعدوا فى زنزانه ..

مال الضابط :

- أنا عرضت المسألة دى على المأمور .. ووعدنى أنه بعد كام يوم

يخليكو تقعدوا مع بعض كل ثلاثة ..

ونظر الينا الضابط نظرة ودودة وكنا قد ارتحنا اليه حيث

لمسنا منه رغبة جادة في مساعدتنا .. فوافقنا بشرط ان يتعهد
هو بتنفيذ ما وعد به .

وتعهد الرجل بذلك .

في الطريق الى النادي .. قال الضابط (...)

- والله « النادي » ده احسن من العناير .. نضيف ومستقل ..
زى الفيلا تمام ..

ثم صحك وقال .

- وعلى فكرة الفيلا اللي أنا ساكن فيها بتطل عليكو .
قلت ضاحكا :

- يعني جيران .. والجار له على الجار سبع حاجات
قال .

- يا سيدى خليههم عسرة الا حكاية النزاور ..

- على الأقل من جانبك .. تزورنا أنت ..

مال الرجل بود :

- قوى .. كل ما أكون هنا راح أمر عليكو .

فتح السجنان ٦ زنازين .. دخلها الضابط الواحدة بعد الأخرى ثم

- كل مسجون له بطانية واحدة .. وبرش يا افندم ..

قال السجنان :

التفت الينا الضابط ضاحكا :

- شايفين وادينى بقيت برش ..

ثم وجه كلامه للسجان :

- امشى هات لهم كل واحد بطانية زيادة ..

وزنزانة « **التأديب** » يا حبيبتي تختلف عن الزنازين العادية فى

السجون والليمانات . جدرانها من **الأسمنت المسلح** . ونافذتها **الوحيدة**

فى سقفها العالى جدا ، وبابها من **الحديد** . وليس به سوى ثقب صغير

يسمونه فى السجنون « **نضارة** » - أى النى ينظر السجان منها كلما

أراد أن يطهئن على وجود « **ودبعته** » ! بعد أن يحرك قطعة الحديد

التي تدور فى الخارج وينظر منه بعض واحد .. هذا الثقب الذى

لا يزيد .. عنه عن ٥ سم هو الذى له الوحيدة بين السجنون وسجانه

عندما يغلق باب الزنزانة .

واذا حدث مرة أن أراد سجان التحدث مع مسجون وهو داخل الزنزانة

كى يسلى نفسه فهو مسجون مثله داخل اسوار مبنى « **التأديب** » ،

فعليه أن يحرك قطعة الحديد التى تسد الثقب ويمسكها بيده ،

ويضع فمه على الثقب ويتكلم بصوت عال (كذا .. كذا) .. ثم

يسرع بوضع إحدى أذنيه على الثقب ليسمع المسجون (كذا .. كذا)

ومرة ثانية يضع فمه على الثقب ليرد (كذا .. كذا) ثم يضع أذنه

ويسمع من المسجون (كذا • كذا) ، • • وهكذا حتى « يزحق » السجن
أو « يتعب » من طول الوقفة ومن وضع فمه على ثقب الباب تارة ،
ثم إحدى أذنيه تارة أخرى • • مرات يزيد عددها كلما طال
الحديث •

داخل هذه الزنزانة ، وفي ١٢ يناير ١٩٥٤ ، وفي عز البرد ، أمضيت
الليلة الأولى • انتقلت فجأة من مسجون تحت التحقيق ، يرتدى الملابس
الملكية ويأكل الأكل « الملكي » من عند « المتعهد » أو من الأهالي إلى
محكوم عليه بالأشغال الشاقة ، يلبس ملابس السجن البالية • •
ويأكل ؟ • • • يفتح باب الزنزانة • • وأجد « قروانة » بها شيء لم
أنتبه • لم أكن قد جعت بعد فلم أفكر في معرفة « هذا الشيء » !
لكن « القروانة » كانت « سخنة » ويخرج منها « بخار » • وجلست
إلى جانبها • • ربما نبعت بعض الدفء في يدي المرعشتين ! لساعات
أسفلت أرض الزنزانة بخرو « البرش » الذي أجلس عليه ، فأهب واقفا ،
وتحتك السلاسل الحديدية بقدمي العاريتين • • أمسكها بيدي • • أزيحها
عن فمى • • فتمتص الحرارة التي أخذتها من بخار « القروانة » • دمايق
وتتحول « القروانة » هي الأخرى إلى كتلة من الفلج • أفرش بطانيه
مهترئة ، ممزقة ، على البرش ، وأجلس ولكن « أنى » لبرش منسوج من
الليف وعليه هذه البطانية أن بحمى جسمي الذي أحاول تمديده من البرد
القارص • • أنفخ في بدى • • ونبعث أنفاسي فبهما الدفء • • لكن جسمي
كله يكاد يتجمد • • كتفأى • • وظهري • • وصدرى • • وقدمائى •
من أين يأتيهم الدفء • جسم شبه عار • • فنبوه بسلاسل حديدية • •
وبحاصره جدران الزنزانة الاسمنتية « وأرضها الاسفلتية » ، والهواء
البارد بصب على رأسي لساعاته الثلجية من نافذة الزنزانة العلوية هكذا • •
طول الليل • • محاولات بائسه للبحث عن أقل دفء • • أمف تارة • •
وأجلس تارة أخرى • • وأمدد جسمي المنهك مره باليه • • والبرد
لا يرحم • • وأصوات الحراس تطن في أذنى بنى لحظه وأخرى •

- تا • • ما • • م

- تا • • ما • • م

- تا • • ما • • م

أى « تمام » • يتبادل الحراس الذى يقفون على سور الليمان الخارجى
الذء بها طوال الليل • منذ غروب الشمس حتى شروقها ففى صباح
اليوم التالى •

لا أذكر كم دقيقة نمت ، ولا كيف نمت ! وهل كان نومنا ، ام
كان سقوطا فى غيبوبة ؟ كل ما أذكره أننى تنبعت على صوت « زقزقة »
العصافير التى خرجت من أعشاشها على الشجر المحيط بمبنى « التأديب »
تستقبل مولد يوم جديد • شدتنى أصواتها الجميلة وأدخلت فى
نفسى هدوءا سرعان ما بعده صوت البروجى يعلن •

— تما ٠٠ ما ٠٠ م ، تا ٠٠ ما ٠٠ م .

أى طلع الصباح يا مدير الليمان وكله « تمام » ولم بهرب أى أحد من المسجونين ! . السجنان يضع مفتاحه فى باب الزنزانة وأهبط واقفا وفى يدي **جرذل** البول لأذهب به الى دورة المياه ، ولأفصى « **حاجة** » « **حبستها** » طول البيل وسببت لى آلاما جادة . عند عودتى من دورة المياه . وجدت على البرس ملابس سجن اخرى ولكن « أحسن شوية » من هذه التى ارتديتها فى سجن مصر .

سألت السجنان :

— **البسها ازاي ؟**

— أنت باين عليك « **كركى** »

و « **كركى** » معناها فى لغة السجن هو عدم المعرفة بعالم السجن والليمانات !

— أيوه « **كركى** » خالص .

ويبدأ الرجل فى تعلبى كيف أحلح ملابسى !! وكيف البسها !! ورغم أن هذا السجنان وغيره كثيرون شرحوا لى عملية خلع الملابس ولبسها فأننى لا أذكر اننى استقطعت يوما أن أفهم بهذه العملية المعقدة دون مساعدة السجنان قبل كل استحمام وبعده .

أشرح لك يا حبيبتى هذه العملية وأعرف أنك لن تفهمي منها شيئا ! لا صعوبة فى نزع السيور من على « **وسط الجسم** » . وإنما الصعوبة فى خلع الملابس ، ولابد لخلع الملابس من براعة كبيرة وحقق . ان على السجنين بعد نزع فردة السروال اليسرى أن يمررها بين « **الحجلة** » — أى الحلقة — والساق ، وأن يعيد امرارها فى الاتجاه العاكس تحت « **الحجلة** » ، فبذلك تتحرر فردة السروال اليسرى تحررا تاما . ويكون على السجنين بعدئذ أن يهرر فردة السروال اليسرى تحت « **حجلة** » الساق اليمنى ، وأن يعيد امرارها ثانية الى الوراء مع فردة السروال اليمنى . وهذه العملية المعقدة تنتم أيضا عند لبس الملابس !

وبعد أن القى على السجنان هذه المحاضرة . أغلق باب الزنزانة ، وذهب الى كل زبيل . . يفتح عليه وبلقى عليه المحاضر . نفسها ثم يغلق الزنزانة ويذهب الى زميل سان . . وهكذا . . . وفى المسكن المحاضرة نفسها ست مرات . . فقد كانت أوامر مدير الليمان أن لانجتمع نحن « **الستة** » أبدا خوفا على « **أمن واستقرار** » الليمان . وظللنا هكذا ١٢ يوما . . وفى اليوم الثالث عشر قررنا أن نتخذ موقفا . الاضراب عن الطعام . . والمطالب هى . . نقلنا الى ليمان طره فنحن « **سابقة** » أولى ومكاننا هناك وليس فى ابى زبيل الذى يضم « **السوابق** » !

أحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٢٧ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١١)

حببتى

فى اليوم الثالث عشر لوجودنا فى ليماى أبى زعل لم اكن أنا فقط
الذى استيقظت مبكرا على صوت « بروجى » الصبح الذى اختلط بأصوات
زقزقة العصافير الواقفة على أغصان الأشجار المحيطة بغرف
الزنازين .

- صباح الخير يا درش
- صباح الخير يا وليم
- صباح الخير يا مجدى
- صباح الخير يا عبد الرحيم
وكأننا ارتكبنا جريمة لا تغتفر .. جاء السجنان مذعورا يقرع
الزنازين بكل قوته ويصيح ..
- اسكت يا مسجون انت وهو ..
- صباح الخير يا مجدى
- صباح الخير يا وليم
ويصيح السجنان ..
- يا مسجون اسكت .. المامور يسمعكم
- وفيها آيه لما المامور يسمع ؟
- يا نهار أسود .. فيها آيه .. فيها مصيبة .. فيها خصم

١٥ يوما

- ليه كده ؟
ويهمس السجنان
- ده نده على من الصبح وقال لى خد بالك من الجماعة الشيوعيين
دول .. واوعى حد يتكلم مع زميله والا راح اوديك فى داهية ..
- طيب افتح علشان نروح دورة المياه
- المامور قال لى ما تفتحش عليهم الا بوجود واحد من الضباط
- طيب روح انده واحد من الضباط
- أهو حضرة الضابط جه
وسمعا السجنان يشكونا للضابط (...) .. وتفتح زنازنتى وأقول
للضابط .
- صباح الخير يا حضرة الضابط

- يمسكنى السجان من كتفى وينهرنى قائلاً :
- فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
- ويبتسم الضابط ويقول :
- صحيح .. فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
- وارد على ابنسامة بابنسامة خفيفة
- آه والله ما كنتش عارف ان ده مخالف **للائحة** !
- أيوه كده .. خد بالك من اللائحة
- كان يلوح لنا بان لا نتهاون فى تطبيق اللائحة .. ورغم ان الضابط كان يحاول جاهدا أن يبدو فى مظهر « ناشف » أمامنا الا ان السجان كان فاغرا فاه من الدهشة .. كيف يتحدث مسجون مع ضابط بمثل هذه البساطة ؟
- قلت للضابط :
- ممكن أصبح على زملائى
- طيب ما أنت صبحت
- يعنى نفف مع بعض شوية ..
- ما فيش مانع .. بس اجيب اذن من المأمور
- ثم يقول متصنعا الحدة
- يا سجان افتح الزنازين كلها .. وهات المساجين عندي هنا ..
- فتحت الزنازين السنة .. وخرجنا جميعا نسلم على بعضنا البعض بود ومحبة وكأننا افترقنا لسنوات ..
- الضابط يتظاهر بالانشغال فى أمور أخرى .. والسجان يرتفع صوته عاليا
- ما يحدث يكلم حد يا مسجون أنت وهوه ..
- ويتظاهر الضابط بأنه قد تنبه فجأة الى جريمة حديننا مع بعض فبقول بحدة تبدو مفتعلة ..
- أيه ده يا مسجون أنت وهوه .. تعالوا هنا ..
- ونتجمع حوله .. لكن المنظر لا يعجب السجان ويصيح
- أقعد با مسجون أنت وهوه ..
- ويفزع الضابط
- سيبيهم يا سجان .. سيبيهم راققين
- ويستطرد فى سخرية
- دول ما يستاهلوش الرحمة ..
- كان يشير الى ما حدث بالأمس مساء عندما رفضنا أن نجلس « ديز » أمام المأمور ..
- قال الضابط برنة أفهمتنا ان علينا أن لا نقبل أوامر المأمور القسى يقولها ..

- أوامر حصرة المأمور هي .. الحبس الانفرادي ، ممنوع حد يتكلم م
زميله زنزانة واحدة بس اللي نتفتح مرة الصبح ومرة بعد الظهر ولادة خمس
دقائق بس ..

- اذا ضبط أى شىء ممنوع مفيتش عبر الجلد .. سامعين ؟

- دى أوامر ممكن التفاهم فيها ؟

- دى أوامر المأمور .

- طيب بقى نتفاهم مع المأمور

- المأمور منى عاوز يقابل حد

- طيب يبقى فيه طريقة ثانية للتفاهم

- آيه الطريفه الثانية دى ؟

- **أضراب عن الطعام**

ويبدو على وجه الضابط الارتياح ..

- يعنى مصممين على الأضراب ؟

وبابتسامة خفيفة أقول

- مصممين جدا

- طيب .. يا سجان أقفل عليهم .. أنا رايع للمأمور .

ويسمتر أضرابنا عن الطعام ثلاثة أيام .. وكان هذا هو الأضراب الأول

فى ليمان أبو زعل والذى لم يشهد مثله طول تاريخه وخلال تلك الأيام

الثلاثة كان الضابط يأتى إلينا ،

- لسه مصممين على الأضراب ؟

وكنا نفهم من لهجته أن نظل مضربين

وفى رابع يوم جاء الضابط يبلغنا أن النيابة وصلت للتحقيق ..

وفى الطريق لمقابلة وكيل النيابة همس الضابط .

- تمسكوا بتنفيذ الملائحة .

طلب وكيل النيابة لائحة السجون فوجد أن ما يجرى معنا مخالف لما

جاء بها فسأل المأمور عن السبب .

وكانت أجابته

- **الأوامر اللى عندى .. أعمل آيه ؟**

قال وكيل النيابة بغضب

- أوامر مين .. أنت عندك الملائحة تنفذها .

وأمر وكيل النيابة بمنع الحبس الانفرادى . وأقر حقنا فى الطابور

الصباحى وطابور بعد الظهر .

قلنا لوكيل النيابة

- باقى حاجتين .. ان نخرج الى العمل فى الجبل .. وان ننقل الى

ليمان طرة .

- دى بقى حاجات مش فى اللائحة ويرجع فيها الى المصلحة . ووعدنا
برفع مذكرة الى مصلحة السجون .

كانت رغبتنا فى العمل فى الجبل عو الخروج للشمس والهواء ولو
حتى فى موكب « العبيد » فلم بعد نطيق الحلوس فى زنرائه مقفلة نخرج
منها للفسحة فى داخل مساحة صيفة جدا . وكان مطلبنا للنمل الى
لنمان طرة بسند الى أن السابقة الاولى فى حكم الأشغال الشاقة
مكانه ليمان طرة حيث العمل فى الجبل عو تكسر الحجر الجيرى أما ليمان
أبو زعبل فهو مخصص لأصحاب السوابق لأن العمل هناك هو تكسير
الحجر البازلت .

ولم يسمح لنا بالخروج الى الجبل الا بعد شهر . . وكان يوما مثيرا .
أقص عليك أحداثه يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة .

٢٩ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٢)

حبيبتي

شهر كامل منذ جئنا الى **ليمان أبو زعبل** ونحن لا نعرف شيئاً عما يجري في خارج الأسوار . الصحف ممنوعة تماماً ، وليست لنا أى صلة بالمساجين . السجن هو صلتنا الوحيدة بالعالم الخارجى . وعبثاً راحت كل محاولتنا مع سجان الصباح أو سجان المساء الذين لم يتغيرا أبداً فكلاهما صامت لا يتكلم خوفاً من المأمور الذى نبه عليهما مشدداً بعدم الحديث معنا على الإطلاق . وطوال شهر كامل لم ندخن خلاله نفساً من سيجارة . كان عزاؤنا أن **لوليم اسحق** قدرة هائلة على الحديث . . فكنا نقضى ليالى بكاملها نستمع اليه . . حتى أن زملاء الزنزانة الأخرى احتجوا على وعلى **مجدى فهمى** لاننا نستأثر بوليم فاتفقنا أن يبيت ولیم كل ليلة فى زنزانة .

وفى ذات يوم مرض سجان الليل وجاء آخر بدلاً منه كان اسمه **عم على** . . يبلغ من العمر أكثر من ٦٠ عاماً . . أطلق عليه ولیم اسم عم «كاكا» .

- لماذا كاكا يا ولیم ؟

- هو كده مفيش اسم ينفعه الا كاكا . .

فى المساء طلبنا منه سيجارة . . لم يتردد الرجل . . أشعل سيجارة وتناولناها من ثقب الزنزانة . . وعندما وصلت السيجارة الى نصفها بعد أن تبادلناها نحن الثلاثة . . جاء صوت من الزنزانة الأخرى .

- عاوزين نفس يا عالم

وجرى عم كاكا ليعطيهم سيجارة أخرى .

وجرى حديث طريف ، وبعد أن أطمأن لنا الرجل سأل ولیم .

- آيه الأخبار يا عم على ؟

- الحمد لله . . كله كويس

- ما تعرفش حاجة عن أخبار الحكومة

- ما لها الحكومة كويسة . . النحاس باشا راجل عال العالم

- النحاس باشا . . النحاس باشا ما له . . جرى له حاجة ؟

- حاجة آيه ده رئيس الحكومة

- النحاس باشا رئيس الحكومة يا عم على . . ؟

- آيوه طبعا أمال مين . . ؟

وابتعد الرجل بعيدا .. وراحت كل محاولنا عنا من حل أن يعود
ألفنا لفهم شيئا .. ولكن يبدو أن الرحل سمر به تحدث
معنا أكثر من اللازم فرفض بعناد أن يعاود الحديث مرة أخرى ..
ورحنا طول الليل نحلل الموقف السياسي . معقول جدا أن يعود
الوفد الى الحكم .

ليس من المعقول أن عم على مهما كان ابتعاده عن السياسة لا يجرى
ان النقاس باشا بعيد عن الحكم مدد وقت طويل فهل عاد حيا ؟
ومن المؤكد أن عم على يعرف أن هناك سلطة جديدة وحكومة جديدة
منذ أكثر من عام . لا بد أن شيئا جديدا قد حدث .. معقول جدا
أن يعود الوفد للحكم . ربما رضخت سلطه ٢٣ يوليو لضغط الشعب
وتولى النقاس رئاسة الحكومة . ومكثنا طوال الليل نحلل الموقف السياسي
بعد أن تولى الوفد الحكم وكأنه أصبح حقيقه . وبالطبع خرجنا
بنتيجة منطقية هي أن الوفد سيعتمد في حكمه على اطلاق الحريات
السياسية والديمقراطية وبدا أمل الافراج عنا في الامن ثم رحنا
في نوم عميق نحلم بالافراج عنا .. بالحرية .

وفي الصباح الباكر سمعنا صوتا عاليا يطلب أن نستعد للخروج .
صاح وليم اسحق في سعادة بالغة .

— مش قلت لكم .. افراج .. يحيا الوفد

ويقول مجدى فهمي

— أصبر يا وليم لما نشوف أية الحكاية .. أنت دائما متفائل
ويرد وليم

— أنا صحيح فنان ومش سياسى زيكوا .. ولكن عندي احساس

فتحت الزنزانتان وخرجنا منهما .. ليس من أجل الافراج ..

ولكن للعمل في الجبل .

علق وليم ضاحكا ..

— أهوه برضه خروج .. نشم الهواء ونقعد في الشمس

ضحكنا من الاعماق .. لم نفقد الأمل أن يكون النقاس باشا

قد تولى الحكم بالفعل .. وضروري من كام يوم وسوف يفرج عنا .

ولكن أحدا لم يصرح بما في نفسه لزملة .

كان خروجنا الى العمل في الجبل أمرا مثيرا لكل المساجين الذين

سمعوا عنا ولم يرونا أبدا . كنا محور حديثهم طوال الشهر

الذى أنقضى . وكثرت الأحاديث حولنا بين المساجين والسجانة . لاحظنا

هذا عندما وضعونا في مؤخرة طاوور المساجين . رأينا الجمينع ينظر

خلف ظهره ليرى هؤلاء الشيوعيين الذين تفرض عليهم هذه الحراسة المشددة،

أطلقوا علينا اسم « الفرقة المخصوصة » وكان يحرسنا حارسان

وصول وضابط أى أن أربعة يحرسون ستة ، وهذه حراسة خاصة . الى

حاسب الحرسه العامه المكونه من عسرات الجنود والضباط .
سرفنا فى نهايه طابور العبيد فى طريقنا الى الجبل . . ومن حسن
حظنا أن ضابط العمل كان فى ذلك اليوم صديقنا الضابط (. . .) . أفترى .
منا ودون أن يلتفت لنا وهو يركب حصانه قال :

ـ أرى الحال .

ـ الحمد لله . . أيه حكاية النحاس باشا ؟

لم يستطع الرجل أن يمسك نفسه من الضحك .

ـ نحاس باشا مبن . . أنت بنحلم . . ؟

يحدث كل أحلامنا . . كل النحللات السباسبه راحت هبنا . .
جراك الله با عم كاكنا .

ووصلنا الى مكان العمل . . الى الجبل . . حفرة هائلة يبلغ اتساعها
أكثر من عشرة كيلو مترات . . يحيط بها جبل كبير من حجر البازلت والعمل
هناك مقسم ، هذه مجموعه من المساحين تضع الديناميت فى فتحات
الجبل ثم تفجرها . وهذه مجموعه ناسبه تفكك الأحجار الكبيرة بعد
أن تفجر الحفرت . وهذه مجموعه ثالثه تحمل أحجار البازلت الضخمه
الى مجموعات مشرفه من المساحين ليقوموا بتكسيرها بالشاكوش الى
قطع صغيره . وبعداً عن كل المساحين جلسونا فى ركن بعيد . .
يحرسنا السجنان والنصوى والضابط أكثر من نصف ساعة لم نتكلم . .
ننظر الى ما حولنا مندوعين . . كلما حاول مسجون الاقتراب منا
نهره الحراس بنده لببعد خانفا . . ثم جاء الضابط وقال :

ـ دوقت بضى . . كل واحد يكسر ٧ غلقان من الحجر ده .

ـ حجر أبه الى تكسره ده . .

ـ حجر البازلت ده .

ـ ما عندناش خبره بالمستة دى .

ـ كلها يوم ويعرفوا

ننا باصرار .

ـ لا نوم ولا برمن - احنا مكاننا مس عنا . . عاوزين نروح ليمان
طوره .

وظهرت ابنسامه على وجه الضابط

ـ لازم نعملوا الطريجة لغاية ما تروحوا ليمان طوره .

ـ لا طريجة ولا غيره مضربين عن الطعام

وارتاحت أسارير الرجل . . وقال بلهفته التى اعتدناها والتى تعنى

التشجيع . .

ـ يعنى مصرين على الاضراب .

ـ أيوه مصرين .

بعد أن اتخذنا قرار الاضراب عن الطعام . . كان أمامنا مشكلة

ارسل خطاب الى زملائنا فى الخارج . كيف : بمكر عن ضربى واحد من
المسجونين العاديين . ولكن كيف نصل بهم ؟ نحن محاصرون من كل جانب .
نجلس بعيدا عن كل المسجونين ولا يستطع أحدا منهم أن يهرب منا .
والسجان يلزموننا لا يتركنا لحظه . والوصول بأسى الناس نحن
والحين « ينهم » علينا . قلت **لوليم اسحق :**

– تصرف يا ولیم

يمسك ولیم ببذ الزمبل **عبد الرحيم عثمان** ويفرأ له الكف . وكلما
يقول ولیم شبتا يرد عليه **عبدالرحيم** . . مضبوط . . تمام . والسجان
فاغرفاه من الدهمة . . فجأة يقول لولیم . .

– ممكن نشوف كفى ؟

– قوى . . قوى . .

ويسنمر ولیم فى متساعلة السجان وقتا يتمكن خلاله **مجدى فهمى** من
لمح مسجون من حى «بولاق» ويتعرف عليه . .

– أنت مجدى فهمى أخو مصطفى فهمى ؟

– أيوه . .

– أنت شبيه تمام . .

– عاوزين خدمة صغيرة . .

– رفبتى .

ويذهب المسجون (. . .) ويحمل حجرا كبيرا ويأتى به لنا ويضعه
أمامنا .

ما أن يراه السجان حتى يصيح . .

– ايه اللي جابك هنا يا مسجون ؟

– حضرة الصول مال لى أعلمهم ازاي يكسروا الحجارة .

ويقول ولیم للسجان .

– خليك معابا أنت . . ما تبوظش الشغل .

وبواصل قراءة **كف السجان** . بينما ينفق مجدى مع صديقه المسجون

(. . .) على توصيل خطاب كتبه على ورقة صغيرة كانت ملصاة فى بطن

الجبل « **وبعقب** » لم رصاص كان المسجون يخبئه فى ملابسه . يعطيه

مجدى للمسجون (. . .) ويساله .

– امتى بوصل الخطاب ده لأخى مصطفى ؟

– النهارده راح يكون عنده !

فى اليوم التالى لم نخرج الى العمل ولمدة أربعة أيام وصلت خلالها

الى **ادارة اليمان وهصلحة السجن** برقيات من أهالينا تطالب بتحقيق

مطالبنا ونقلنا الى **ليمان طره** . وفى اليوم التالى (الخامس) وصلت

النيابة للتحقيق . كان مطلبنا محدد هو النقل الى ليमान طره فنحن

سابقة أولى . وأن نخرج الى الجبل حتى يتقرر نقلنا الى ليमान طره

من قبل مصلحة السجون ، وحين اعترض المأمور على خروجنا الى الجبل
سأله وكيل النيابة عن السبب . . فقال بغضب . .

– يا بيه دول في أقل من ٤ ساعات اتصلوا بأهاليهم وجت التلغرافات
ترف .

يقول وكيل النيابة :

– شدد الحراسة عليهم .

ويرد المأمور

– أكثر من ٢ سجانة وصول ؟

ورفض المأمور بأصرار أن نخرج الى الجبل ولما هددنا بالاضراب عن
الطعام سمح لنا بالخروج وكنا نعتبر الخروج كل يوم بمثابة نزهة
وخلال هذا الشهر استطعنا أن نحصل على بعض الصحف وأن نرسل خطابات
الى الخارج .

بعدها نقلنا الى ليমান طرة . ولكن في منتصف ذلك الشهر جاءت
عائلاتنا لزيارتنا . فالحكوم عليه بالأشغال الشاقة يستحق الزيارة
بعد ٤٥ يوم . . وجاء أخى مسعد وزوجتى السابقة لزيارتنى . . وهى
زيارة تستحق أن أكتب عنها رسالتى المقبلة با حبيبتي .

أول ابريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٣)

حبيبتي

مضى علينا شهر ونصف لم نحلّ ذفونا كان كل منا ينصّر
بشاعة مطهره حين ينظر الى زميله . الأمواس ممنوعه في السجن . غير
ان ذقون كل المساجين ناعمة تماما . فالجمع عندهم أمواس وبحلمون
ذقونهم . . ولم يكن بوسعنا أن نحصل على أمواس حتى يوم موثنا
بزيارة أهاليّنآ .

نادوا علينا للزيارة وسط حراسة مشددة . والزيارة في السجن تتم
من خلال حاجزين من الاسلاك يبعدان عن بعضهما حوالي متر ونصف .
يفف المسجون خاف الحاجز السلّكي داخل السجن ويفف الزائر
حلف الحاجز الآخر القريب من باب السجن . وبين الحاجزين يفف السجّانة
حتى لا يتكلم المساجين مع أهاليهم كلاما خارجا عن القانون . . أو يقوموا
بتهريب ممنوعات .

كان في زيارتي أخى مسعد « رحمه الله » وزوجتي السابقة .
كما ان علاقة الدم وحدها ليست كافية لقيام علاقة انسانية
حقيقية كذلك فان علاقة الزواج وحدها ليست كافية لبناء علاقة
حب حقيقية . واليوم بعد أكثر من ٢٢ عاما وأنا أحاول أن أستعيد
ماذا كانت عليه مساعري وأحاسيسي حينما أخونى عامة ومسعد خاصة ،
كذا مساعري وأحاسيسي حينما زوجتي السابقة أجد أن علاقتي بأخى
مسعد كانت علاقة انهما ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، بينما
كانت علاقتي بأخوتي الآخرين مجرد علاقة دم . أما علاقتي بزواجتي
السابقة فلم تكن أكثر من علاقة عطف من جانبى ، وحب مريض من جانبها .
وأعود بذاكرتي الى ظروف تعرفى عليها .

ذات يوم من أسام صيف ١٩٥٠ دعاني زميل في العمل الى رحلة
نييلية في القناطر الخيرية ، وقطعت الدعسوة كنوع من التغيير في حياتي
اليومية التي لا تتغير . العمل صباحا ثم الاجتماعات التنظيمية حتى
ساعة متأخرة من الليل ثم أعود الى حجرتي الجرداء من كل شيء .
سوى سرير صغير وبعض الكتب الملقاة على أرض الحجر . . وحيدا لا أجد
من اتبادل معه كلمة .

على سطح السفينة المتجهة الى القناطر الخيرية صدحت الموسيقى
الراقصة وراح الجميع يغنون وأنا جالس بعيدا تتضارب الأفكار في

رأسى . هل يتفق هذا مع القبم النورية ؟ مرة أقول لا ومرة أخرى . . ماذا
فى هذا ؟ وهل برمى النورى ؟ ولماذا لا والوقت الذى بروح فى الرفص والغناء
هل هو وقت ضائع ؟ النورى لا يجب أن يضيع وقته ؟ كل الوقت يجب
أن يكون للنورة . ولكن أليس من حق النورى أن يستمتع أحياسا بمثل
هذه الحياة ؟

بقيت هكذا منره . . لا أجد اجابة واضحة على ما يدور فى رأسى . .
حتى وجدت نفسى محاطا بزمللى فى العمل وصدبقتة ومبمى
صديفتها .

– لماذا لا ترقص ؟

– لا أعرف .

قال زمبلى ضاحكا :

– الرقص لا يتعارض مع السياسة ،
ويسيطرد :

– يا اخى أن لبدنك عليك حقا .

وفالت ممى برقة :

– أعلمك الرفص . . هناك فى مؤخرة السفينة

وبشكل تلقائى وجدت نفسى أرقص معها .

وبعد ملبل صاحت :

– أنت هابل . . تعال بقى نروح « البست »

ومرة أخرى أجد نفسى بين أحضانها نرقص مع الراقصين .

رقصت معها طول وقت رحلة السفينة الى القناطر الخيرية .

كانت هذه أول مرة أذهب فيها الى هناك . وبشكل تلقائى وجدت

نفسى أسبر معها ونجلس على الحشائش وما كدنا نبدا حدث التعارف

حتى سمعت من بصبح عليها . .

– ماما . . ماما . . عاوزين نركب فلوكة .

كانت طفلة عمرها سبع سنوات وطفل لا يزيد عن ٩ سنوات . قالت

وضحكة حزينة تملأ وجهها .

– تيتى . . ولوسى . . أولادى .

يبدو أن تعبيرات وجهى . . كشفت ما فى أعماقى وقتئذ . . ما الذى كان

فى داخلى . كان عمرى وقتئذ ٢٥ عاما ولم تنشأ بينى وبين امرأة أى

علاقة عاطفية أو حسية . فما الذى كان يدور فى رأسى ؟ « .

قالت والدموع تجرى من عينيها :

– ولكنى الآن مطلقة . .

قلت :

– وهل عندكم طلاق ؟

قالت :

- أعلنت اسلامي حتى احصل على الطلاق .
وبدأت تحكي مصقتها والدموع لا تجف في عينيها .
كان أبوها الايطالي الجنسية مهندسا معماريا وسنغل وظنفة كبيرة
في وزارة الأنغال . ولدت في روما وحضرته وهي طفلة مع والدها
وأخوها الذي يكبرها وأختها الأصغر منها . بعد سنوات أصبح
أخوها ملبونبرا من أعمال الماوالاب وبروحت احدها من امريسي وسامرت
معه . ولما توفي ابوها وتزوج أخوها وترك المنزل بعد أن تركه
أختها ، وجدت نفسها وحيدة فقد توفيت والديها منذ زمن . كان عمرها
يوم مات أبوها ١٨ عاما . لا نعرف من العربية الا كلمات قليلة ونعيش
في سعة كبيرة وحيدة الا من مربية عجوز ترعاها . وكانت عائلة لبنانية
تسكن في الشقة المجاورة لها . وفي إحدى الحفلات التي كانت
تقيمها هذه العائلة تعرف عليها ساب لبناني وتزوجته حتى لا تعيش وحيدة .
وفي بيت الزوجية وجدت ما لا ينعق مع فتمها الاحلافه . حملت يقيمها
للزواج وبدعو اليها سحصباب بارره في الدوايه وبعض رجال الأعمال
لعدد صفات . وكنبرا ما كان يخرج ويتركها مع بعض صنفه .

اشتكت اليه مرارا من تصرفات اصدقائه . في البداية كان لا يعلق
على شكواها . ثم انتهى به الأمر ان كان يطلب منها مقابلة بعض
أصدقائه أثناء غيابيه عن المنزل كي يستطيع ان يعقد معهم صفقات
تجارية . ورفضت باصرار وضربها أكثر من مرة . وذات يوم هربت
من المنزل هائمة على وجهها الى ان اسنقر بها المقام مع عائلة مفيرة
في حي القلعة . ومكنت هناك ٧ سنوات نحيك الملابس لاهل الحي
كي تعيش . وحين أعلنت رغبتها في الاسلام وجدت من يساعدها من أهل
الحي . وباعلان اسلامها حصلت على الطلاق وعادت الى أولادها الذين
كانوا في منزل جدتهم حيث لم تستطع البقاء أكثر من شهر . فأجرت
شقة مستقلة ورفض زوجها السابق ان تأخذ أولادها وعاشت معذبة
سنوات أخرى حتى سمح لأولادها ان يعيشوا معها كل يوم احد .
يوم عطلتها حيث كانت تعمل في احد المحلات التجارية .
قالت لها .

- أولادك ينفظرونك كي تركب معهم المركب .

قالت :

- نركب كلنا معا .

وتلقائيا وجدت نفسي مع الام وولديها والمركب تغلف بنا في عرض
النيل . ووجدت الأولاد يتعلقون في رقبتى اقبلهم ويقبلوننى .
وخلال رحلة العودة الى القاهرة والتي بدأت مع مغيب الشمس ، ظلمت

أرقص معها طول الوقت .. ضممتها الى صدرى .. وضمتنى وغبنا
أكثر من مرة فى أكثر من قبلة .

ومن مرسى الباخرة فى روض الفرج ركبنا الترام حتى باب
الحديد ، ومن هناك ركبنا المترو الى مصر الجديدة وكانت ابنتها تمسك
بيدى فترة .. ثم يحتج الابن ويطلب حفه فى ان يمسك يدى ..
حتى أوصلتهم الى بيتهم فى مصر الجديدة .

وجدت نفسى أفكر فى هذا الذى حدث اليوم عندما انفردت بنفسى
فى حجرتى على السطوح فى حدائق القبة . لم أصل الى شئ ، محدد
سوى اننى فى حاجة الى امرأة .. ولكن ليست أى امرأة .. ربما كنت فى
حاجة الى امرأة من أجل علاقة حسية .. لكن تجربتى كشباب
أكدت لى ان ما اطلبه ليس مجرد علاقة حسية .. انما اطلب شيئاً آخر ..
اطلب الحب . ولكن ما هو الحب ؟ حقيقة لم اكن أعرف .. ولم أعرفه
بعد ذلك الا أخيراً وبعد أكثر من ٢٢ عاماً .

فى مساء اليوم التالى كنت انتظرها على باب المحل التجارى الذى
تعمل به . فوجئت بى فلم نكن على موعد سابق . عرضت عليها
ان نذهب الى سينما صيفى فوافقت . وبعد السينما ركبت معها المترو
حتى بيتها . وعندما عدت الى منزلى سألت نفسى مرة أخرى .. ما الذى
أريده بالتحديد ؟ يبدو اننى فى حاجة الى علاقة انسانية .. فى حاجة
الى حنان حرمت منه بعد وفاة أمى التى كانت تحبنى حباً يفوق
كل حبها لاختى . وتذكرت يوم ماتت أمى .. أصرت على ان تضع
رأسها على رجلي وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة .. كانت آخر كلماتها .
- خد بالك من مسعد يا مصطفى .. خليه يكمل دراسته .. مسعد
أمانة فى رقبتك انت با مصطفى .

وعادت بى الذاكرة الى عامين قبل ذلك اليوم . بعد وفاء أمى تحول
المنزل الى جحيم . كانت أمى رحمها الله تعرف اننى كنت أعمل بالسياسة
وكانت تخاف على وعلى مسعد ، ولكنها كانت تحمينا من أبى ومن اخوتى
الكبار ، بموتها فقدت أنا ومسعد الحماية فى منزلنا بشبرا فتركناه
الى غرفة فى العباسية ، واتفقت مع مسعد على اقتسام مرتبى حتى يكمل
دراسته ويجد وظيفة .

ربما كنت فى حاجة الى حنان ؟ ولكن لبس فقط حنان الأم .. انما
حنان المرأة فأننا أريد حقاً ولكنى أيضاً أملك القدرة على العطاء ..
والعطاء بسخاء . حقاً اننى أعطى للنضال الثورى كل ما أملك من حياتى ..
ولكن هل يغنينى هذا عن علاقة خاصة جداً مع امرأة ؟ .. وهل هذه
المرأة هى التى يمكن ان تنشأ معها مثل هذه العلاقة ؟
وظل السؤال بلا جواب حاسم .. وجدت نفسى فى ذات الوقت

كانت توليها لى ، ورغم حنانها وحبها وتفانيها الذى وصل الى حد
تكليفها ببعض الاعمال التنظيمية ، فاننى لم أشعر يوما بان هذه
هى العلاقة التى احتاج اليها .

حبيبتي ..

لقد افضت فى حدينى عن زوجتى السابقة قبل ان القاها فى أول زيارة
بعد صدور الحكم على بالاشغال الشاقة ١٠ سنوات . ربما على محاولة
لتفسير مسلكي الجاف معها فى الزيارة .

ما ان رأتنى حتى راحت تبكى بتتنج ..

واحترت .. هل تبكى حزنا على مظهرى .. الملابس الممزقة .. والقيسود
فى اقدامى .. وذقنى الطويلة ! .. أم تبكى لافتراقنا ؟ قلت لها بلا
أى مقدمات

- انا افضل الانفصال

رفضت بشدة رغم الحاحي وفالت انها تفضل الموت على الانفصال ..
غير أنه بعد ٦ سنوات لم تقم خلالها بزيارتي الا مرات قليلة وصلنى
حكم المحكمة فى الواحات بالانفصال .

الغريب اننى لم افكر فى مسألة انفصالي عنها الا فى الدقائق الاولى
من الزيارة . والاغرب اننى لم أشعر بأى أسف بعد الزيارة ولا بعد ان
انفصلنا . حتى اننى خشيت ان يكون موقفى هذا لا انسانيا . على ان
الاعجب من هذا وذاك هو اننى بعد خروجى من السجن بعد ١٢ عاما ورغم
مقابلتي الجافة لها حين جاءت لمقابلتي فقد تزوجنا مرة أخرى بعد
خروجى بشهرين ثم انفصلت عنها بعد شهر واحد ولم أرها بعد ذلك
ابدا حتى اليوم . وايضا لم أشعر بأى أسف رغم انها قامت بكل
ما يمكن ان تقوم به امرأة من أجل رجل تحبه حبا مريضا .

لكن حصيلة الزيارة كانت انسانية أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة

ياحبيبتي

٣ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٤)

حبيبتي :

رغم شدة القيود التي كانت مفروضة علينا خلال الزيارة ، فقد كانت
الحصيلة كبيرة . الأربعة أعداد الأحرره من «رابية الشعب» جريدة
الحزب والعدد الأخير من « الحقيقة » نسرة الحزب الداخلية . ورسالة من
زملائنا في الخارج ، عرفنا من الرسالة اننا سوف نفتقل قريبا الى لبنان طرء ، وان
حملة كبيرة خارج البلاد من أجل تحسين معاملتنا من قبل الاحزب والقوى
التقدمية في أوروبا مد أحدثت أثرها . وقرأنا أعداد « رابية
الشعب » و « الحقيقة » وكانت لنا عليها بعض الاعتراضات
أرسلناها للمكتب السياسي للحزب . أما عن حالتنا المعيشية
فقد ارتفعت نسبيا حيث أصبح في مقدرتنا أن نتسرى سجاير وحلاوة
طحينية فقد وضع أهالينا في كائتين السجن ٢ جبهة باسم كل منا .
وهذا شيء عظيم جدا . فقد أصبح في وسعنا ان نتسرى علب سريدين
وسلامون وبعض المأكولات الأخرى . . كانت سعادتنا كبيرة وقضينا
الليل كله تقريبا في القراءة والمناقشة والدراسة واحتلت أخبار الزيارة
جزءا كبيرا من الوقت . . كان مجدى فهمي يملك القدر الأكبر من حصيلة
الزيارة . . حكي لنا كيف تقوم والدته التي تقدم بها السن بنشاط
كبير بين أهالي المسجونين السياسيين . تجمعهم أحيانا كي تذهب بهم الى
مصاحبة السجن لتقديم مذكرة بشأن سوء المعاملة مثلا . وترسل البرقيات
للمسؤولين اذا اضربنا عن الطعام ليطالب النيابة للتحقيق . وحدث حين
وصل إليها خطاب دجدي الخاص باضرابنا الأخير . . رفضت ان تسلمه
الى أحد الزملاء الا بعد ان تأكدت من اخي مسعد بأنه يمكن الاطمئنان
اليه . . ومجدي فهمي أصغر أخوته وهو أقربهم الى أمهم . . لا لأنه آخر
النفود . . ولكن لأنه « حنون » وإنسان كما نقول أهله دائما . . وتكمل . .
خصوصا بعد ما بقى سياسي . . وكانت تخشى ان تقول « شيوعى »
خوفا عليه ، حتى بعد القبض عليه لم تقلها كي لا تكون دليلا ضده
في المحاكمة ، ولكن بعد الحكم عليه لم يعد هناك ما يمنعها من ذلك ،
وزوجات أخوة مجدى وأولادهم يحبونه كثيرا . عند كل زيارة تحفظ
خناقة بينهم . من الذى يذهب للزيارة ؟

الأم تمسكت بحفها في الزيارة باسمرار .. لكنهم اعدبروا ان هذه انانية . وانفقوا على ان يفوم مجدى بجل المسئلة وكان الحل هو ان تأتي أمه في كل زيارة يصحبها من تقع عليه القرعة بين اليافين الذين لم يزورونه بعد . وفي الزيارة الأخيرة وقعت القرعة على « منى » ابنه أخيه والتي كان مجدى مى سوق شديد لرؤيتها .. فقد جائته مى « الحلم » قبل الزيارة الأخيرة بأيام !

– واخبار الجو أية يا وليم ؟

لم يستطع ان يحفى رنه الاسى فى صونه .. وقال بسخريه :

– جو أية اللي أنت جاي تقول عليه

ويكمل مجدى ضاحكا ..

– وهو « الجو » يعرف برضه معنى الحب ايه ؟

يقول وليم وكل تعبيرات وجهه تنطق بالآلم :

– حب أية .. و « جو » أية .. سيبونا من الحكاية دى .

وليم اسحق فنان عبقرى .. وانسان يفيض رقة وعذوبة .. قدرته على العطاء « هائلة » كانت له تجربة مع فتاة كنت اخشى عليه منها . كان يحبها حبا جنونيا .. رسمها فى أكثر من ٢٠ لوحة ، وكانت كلما تدللت عليه كلما ازداد تعلقا بها . كان يدرك أنها لا تحبه ولكنها لاتتركه لحظة واحدة حين يكون فى رسمه ..

ذات يوم وكنت فى رسم وليم .. لاحظ اننى وضعت عددا من اللوحات التى رسمها لصديقتة (...) ورحت اتأمل فيها قال :

– عاوز تعرف ايه ؟

– عاوز اعرف ما تقوله فرشاتك .. ولا يقوله لسانك

– وهل عرفت ؟

– لم اعرف .. وانما احس

– وماذا تحس ؟

– لم اصل بعد الى مرحلة نقل الاحساس الى كلام .

ويضحك بصوت عال محاولا اخفاء ألمه .

– أنت يا درش .. ذكى جدا .. وغويط خالص .

كنت فى خوف دائم على وليم من أى حديث مباشر عن صديقتة . أنه يعرف ان العلاقة من جانبه هو فقط .. ولكنه كان يهرب دائما من هذه الحقيقة مكتفيا بالجو الانسانى الذى يشعر به عند وجودها معه فى الرسم قال لي فجأة ..

– هيئة قالت لك حاجة

فوجئت بالسؤال . ما دفعنى الى محاولة معرفة شعور وليم نحوها من خلال مقارنة لوحاتها المختلفة ، هو انها قالت لى بوضوح انها لاتحبه.

حيث لا تجد فيه الآخر الذى ترسده وهو بالنسبة لهما فنان كبير وانسان عظيم يملأ جانبنا من حياتها !
قلت

- راح تقول أبه بعنى .. دى معجبة جدا ببيك با وليم
ادركت انى اخطأت التعبير .. وحاولت تصحيح الخطأ .. لكنه أسرع
يقول والالم يكاد يمزقه .
- ما انا عارف .. مجرد اعجاب ..

وساد الصمت دقائق .. ثم جاءت صديقتة (...) .. ورأيت
تعبيرات أخرى على وجه وليم .. تعبيرات طفل عثر على لعبته التى
ضاعت منه .

كان من المستحيل ان يستمر الحديث مع وليم عن صديقتة .. لكننا
فهمنا كل شيء . وتأكد فهمنا بعد ذلك .. بعد القُبْض على وليم دخلت
الفتاة فى علاقة أخرى مع آخر كنت أعرفه ولا ارتاح اليه سياسيا
واضع أمامه علامة اسنفهام .

وسادت فترة صمت رحنا بعدها فى نوم عميق حتى استيقظنا على
صوت « البروجى » وزقزقة العصافير الواقفه على الاشجار المحيطة بمبنى
« **التأديب** » ..

عندما فتح السجنان الزنزانة قال :

- حضروا ملابسكم .. حضرة الضابط حاي .

- ليه خير .. فيه ايه ؟

- والله ما انا عارف ..

عرفنا أننا مرحلون الى ليமான طره .

قال الضابط (...) وهو يبتسم

- والله راح توحشونا با جماعة .. بعنى هبة طره احسن من هنا .
وتبادل الضابط معنا حديثا وديا . شكرناه على حسن معاملته وسعة
أفقه . وتمنى الرجل ان نلتقى به فى ظروف أفضل .

وحتى مأمور السجن الذى استقبلنا عند حضورنا ، طريفة سيئة اعتذر
عن ذلك سيئة الأوامر من **السياسة العليا** . وتأثر الرجل كثيرا حين ملنا
له اسباب يسير موقفه تماما . لنا من جانبنا نعتذر أيضا اذا كنا
قد سببنا له أى ازعاج فقد كان من الضرورى ان يكون لنا موقف منذ
البداية ولكنه ليس موقفا صده .

وكانت مفاجأة أن وجدنا بعض الاعالى على **باب الليمان** فى انتظارنا .
وبدأت المساومات مع الضابط رئيس الحرس حول مقابلتهم والخلوس معهم
قلبلا خلال الطريق الى **ليمان طره** . كان الضابط متأثرا
الى حد كبير يريد ان يحقق لنا **مطلبنا** .. لكنه يخشى
أن يراه أحد من **ضباط الباحث** .. قال بود .

- طيب سيدونى اتصرف ..

وطلب من الاهالى ان يسبقونا وينتظروا فى منتصف الطريق من اليمان
حتى محطة السكة الحديد .. وهو طريق طويل خال من المارة تماما .
وسارت بنا عربة السجن التى تقلنا وعندما مرت بالاهاى وسبقتهم
بحوالى ٢٠٠ متر طلب من السائق ان يتوقف .
قال للسائق ..

- أنا نسدت أوراق فى ظرف على مكتب المأمور .. خذ العربة وروح
هاتها بسرعة .. والحرس ينتظر هنا مع المساجين .
وحتى عاد السائق وكان قد مضى وقتنا لا يقل عن نصف ساعة بحثنا
عن الأوراق الوهمية كنا نجلس مع الاهالى على قارعة الطريق فى زيارة
خاصة أكلنا خلالها لحما وجاجا وأطعمه أخرى دسمة .
وقبل ان نسير بنا السيارة مرة أخرى قال الضابط بسود
- ان شاء الله ممكن نعمل لكم زيارة تانية عند ليمان طره
وخرج دعوات كبيرة من الأمهات ..

- ربنا بحميك لشبابك يا ابنى أنت واللى زيك
وعند ليمان طره تحقق ما وعد به الضابط .. وهكذا زرنا أهلنا
٣ مرات فى أقل من ٢٤ ساعة حصلنا خلالها على كميات من الأكل والنقود
والاخبار .

وفى ليمان طره قابلنا زملائنا الخمسة .. جمعونا فى زنزانة واحدة .
مع الحراسة المشددة .

أحكى لك قصة الليلة الأولى فى ليمان طره فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٥ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٥)

حبيبتي .

لم نسم طول ليلة وصولنا الى ليمان طره . فبعد أكثر من شهرين يلتقى كل الزملاء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة وفي زنزانة واحدة . وكان جمعنا في زنزانة واحدة امنياز كبير لا يحصل عليه الا الذين تفرض عليهم الحراسة المشددة والخطرين الذين يحب ان يعزلوا عن بقية المساجين ، فالزنزانة في ليمان طره تسع ما بين ٢٥ و ٣٠ مسجوناً . وبينما تطفأ الأنوار في الزنازين في ساعة محددة ، فان زنزانة « الخطرين » لا تطفأ أنوارها طول الليل . أيضاً كأجراء من اجراءات الحراسة المشددة . . وكان هذا ايضا امتياز اعطانا فرصة اعادة قراءة المطبوعات التي حصلنا عليها في ليمان أبو زعبل والنبي حصل عليها زملائنا في ليمان طره قبل حضورنا . كما ناقشنا وضعنا الجديد في الليمان على ضوء خبرة زملائنا الذين سبقونا اليه منذ شهور . الفرق بين ليمان طره وليمان أبو زعبل كالفرق بين حي الزمالك وحي بولاق . الأول يضم « وجهاء » « المجرمين » والثاني يضم **حتالانهم** فضلا عن ذوى السوابق الكثيرة . والفقراء الموجودون بليمان طره هو فقط لخدمة هؤلاء « الوجهاء » أو الذين بنوبون عنهم من تجار المخدرات و « جرائم الثأر » وغيرها من تلك الجرائم التي بنفق مرتكبوها مع المسئولين على أن يحل محلهم « فرافير » وكله بنمنه . هؤلاء « الوجهاء » بحكم أوضاعهم الطبقيه وما يملكون من مال ، يملكون ايضا « السلطة » . مهم لا يخرجون للعمل في الحدل ، واذا خرج بعضهم لسبب أو آخر ففى وسعهم ان يستأجروا من الفقراء من يعمل بدلا منهم . والزنازين لا تغلق عليهم طول النهار ولهم الحق في التجول في كل انحاء السجن ، وبأتبهم من بيوتهم أو من « حروبي » أفخر أنواع المأكولات والمشروبات . حتى المنوعة ذاتها . أما رياراتهم فهي تقسم دائما في مستشفى السجن حيث يدخل الرضا إلى جراسيم بلاء . يسمى ويتركون معهم بالساعات تحت سمع وبصر ضباط السجن مع ان مدة الزياره « الخاصة » لا تزيد عن نصف ساعة . و « الجرائم » السناسية يعامل أصحابها حسب نوع « الجريمة » . . **كريم ثابت « المستشار الصحفي للملك فاروق »** . مثلا كان يعبش في الليمان « كباشا » اذا سار بحيط به عدد من الضباط . ويضرب له الجنود « تعظيم سلام » عندما يمر بهم . ولا يمنع هذا ما يعرمونه عن الدور الحقيقي الذي كان يقوم به كريم ثابت خارج السجن .

ويمكن لبعض المسجونين العاديين « الممراء » ان يحصلوا على بعض الامتيازات التي يحصل عليها أصحاب المال اذا كان لهم ضابط « بلديات » هدف اتصالنا بالمسجونين ان هو تنفبد اللائحة .
ووسيلة اتصالنا بهم هي **الجريدة** . لكن هذه الجريدة تحتاج الى انصار . .
يراسلونها . . وبوزءونها في **العنابر الأربعة بأدوارها الستة عشر دورا** .
فكيف تخنارهم في ظروف هذه الحراسة المشددة علينا ؟ . . نحن لا نحتاج في البذابة سوى لاربعة أنصار . . لكل **عنبر** نصدر واحد . لكن اختيار الأربعة يحتاج الى حذر شديد ففي الليمان **جواسيس** رعملاء للإدارة وآخرون للمباحث العامة . وهؤلاء يمكن معرفتهم بسهولة . . حيث سيكلمون بالاتصال بنا لمعرفة « الاخبار » و « الاحوال » . . كما حدث مع بعض زملائنا الخمسة الذين سبقونا الى هذا الليمان . . وبالطبع لم يعرفوا شيئا .

كانت المشكلة الأساسية اذن أمام صدور « **الجريدة** » هي الاتصال بالمساجين . فكيف نتغلب على هذه المشكلة ؟ الزنزانه التي يعيش فيها في الدور الثاني في **عنبر ٤** نفج علينا في الصباح بعد خروج كل المساجين الى العمل في الجبل كي نذهب الى دورة المياه التي **يخلونها** نماما حتى من المساجين الذين يقومون بتنظيفها . ثم نعود الى الزنزانه ، وتكرر هذه العملية بعد الظهر ويغلق علينا باب الزنزانه حتى الصباح . حتى امكانية الحديث مع مسجون من خلال « **ثقب** » الزنزانه معدومة تماما ، فالحارس يقف على بابها لا يفارقها لينمع أي مسجون من الاقتراب منها .

وكان قرارنا في تلك الليلة هو تكليف وليم بعمل ماكيت **الجريدة** . وتكليف الزميل الذي اذهب يوميا مع الحارس لاحضار الغداء والعشاء من المطبخ ان يستفيد من هذه الامكانية الوحيدة ومحاولة خلق صلة صداقة عادية مع المسجونين الذين يعملون في المطبخ أو الذين يترددون عليه لاختيار من يصلح مندوبا للجريدة .

وبعد حوالي شهر صدر العدد الأول من « **الطريق** » شعارها **حمالة سلام** وقد مزقت القيود الحديدية برجليها وهدفها « تطبيق لائحة المسجونين » .

كيف استجاب المساجين للعدد الأول من « **الطريق** » ؟

وماذا كان موقف الادارة ؟

أحكى لك ذلك في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٨ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٦)

حبيتي :

كان صدور العدد الأول من جريدة « **الطريق** » يعنى بالنسبة لنا علاقة وثيقة بالمساجين ، وعلاقة متوترة بالادارة . كان الليمان كله من رجال الادارة والمساجين يعرفون اننا وراء اصدار الجريدة ، لكن ينقصهم الدليل . وبقدر ما كان استقبال المسجونين للجريدة رائعا بقدر ما كان رد فعل الادارة عنيفا خاصة وانها لم تعرف بصدور الجريدة الا بعد العسدد **السادس** ، أى بعد شهرين ونصف فقد كان تصدر كل ١٥ يوما . وقبل ان يقع العدد السادس فى ايدى رجال الادارة كانوا حائرين فى أمر المسجونين الذين بدأوا فجأة يطالبون بحقوقهم ويهددون بالاضراب عن الطعام وبرسلون الى النيابة شكواهم . الخ . اذكر ان مأمور السجن جاءنا يوما على رأس حملة من السجانة لتفتيش زنزانتنا بعد منتصف الليل وهذا لا يحدث أبدا الا فى حالات خاصة فالمفروض ان الزنزانة بعد التمام لا تفتح الا بأمر من **النيابة العامة أو بأمر مدير مصلحة السجون** . فى تلك الليلة كنت أول من استبقي على صوت مفتاح الزنزانة . ثم صوت عال . . - انتباه . .

و « **انتباه** » نعنى أن يقف المسجونون استعدادا للتفتيش . ما كدنا نقف حتى كانت الغرفة قد امتلأت بالسجانة والضباط **للتفتيش** . . لم يجدوا « ممنوعات » والممنوعات تبدأ من السأى الناشف والأمواس حتى الورق والأقلام والكتب والمختبرات ، وبالطبع لم يكونوا يبحثون الا عن دليل يثبت علاقتنا بالجريدة . وكنا على استعداد لهذه الحملة التى كنا نتوقعها حيث عرفنا أن مأمور السجن (. . .) بدهائه استطاع أن يحصل على نسخة من الجريدة من أحد المسجونين الذى كان يثق به . والواقع أن هذا المسجون كان له العذر حين وثق بالمأمور الذى استطاع بدهائه أن يكسب لبس فقط ثقة عدد كبير من المسجونين ولكن أيضا عدد من زملائنا الذين خدعوا فيه . فقد كان الرجل يطمع فى أن يكون هو مديرا لليمان وكان هذا المنصب خاليا . وسعى الرجل الى كسب ثقة المسجونين والسجانة والضباط بمختلف الطرق حتى شاع بين الجميع بأنه سوف يرقى الى رتبة لواء ويقولى منصب المدير . غير أنه فوجئ كما فوجئ الجميع بتعيين مدير جديد لليمان وكان هذا المدير مكروها من الضباط لأن عسكريته « ناشفة » ومكروها

من المساجين الذين يعرفونه فاسيا عليهم منذ كان ضابطا صغيرا ولم يياس
 المأمور (٠٠٠) بعد قدوم المدير الجديد وراح يعمل على احراجهم أمام
 المسئولين في مصلحة السجون حتى يثبت لهم أنه عبر كفت، لهذا المنصب .
 ومع ان العدد السادس من مجلة « الطريق » لم يكن هو العدد الوحيد
 الذي وصله فقد وصله عن طريق نفس المسجون العدد الخامس . ولما لم
 يحدث شيئا خلال الخمسة عشر يوما بين العديدين ، اطمأن اليه المسجون،
 بل ان بعض زملائه اطمأنوا اليه حتى انهم حين عرفوا بخبر وصول العدد
 السادس له لم يتوقعوا هذه **الحملة التفقيشية** وكانت هذه النقطة محل
 نقاشنا لمدة ساعات قبل الحملة وانتهت بتوقع حدوثها في نفس الليلة
 لاحراج المدير الجديد الذي لم يكن قد مضى على قدومه الا عشرة ايام ،
 وبالتالي اراد أن يستغل الفرصة .
 قال المأمور وهو يدخل الزنزانة على رأس الحملة وقد ملأت وجهه ابتسامة
 خبيثة :

- لا مؤاخذه .. يا جماعة .. اعمل أيه .. أوامر المدير .
- خير ان شاء الله .. أيه الحكاية ؟
- المدير الجديد ياسيدي .. **ضبط المجلة** .. كان جتقوا تاخذوا بالكو
 قال أحد الزملاء بسخرية :
- مجلة آخر ساعة .
- آخر ساعة مين يا راجل .. دي مجلة الحكومة .. مجلة ثانية ..
 شوف ومد الرجل بده نلى .. لاحظت ان كلمة « **العدد السادس** » قد مسحت
 بعناية وكتب « **العدد الأول** » .
- ده العدد الأول .. لحقتوا تضبطوها ؟
- وأدرك الرجل أن أمره قد انفضح أمامنا .. وأن تظاهروا أمامه بالثقة
 فيه طوال الفترة السابقة الى حد أنه خدع بذلك قد انتهى . فقال
 غاضبا وموجها حديثه الى الضباط والجنود وكانوا قد انتهوا من التفقيش
 - واقفبن كده ليه .. فتش كويس
 مال أحد الضباط :
- فتشنا يا أفندم .. مفيش حاجة ..
- قال بغضب أكثر :
- فتش في **الحيطان** .. في الأرض .. في كل حته
 ثم قال لأحد الجنود :
- روح هات **شاكوش** ..
- قلت بسخرية .. بينما الجنود والضباط في دهشة من هذا الطلب الغريب
 - وليه بقى الشاكوش ؟
 ارتفعت نبرات صوته الغاضب

- أذنت عارف كويس .. بلاش اسرهبال

فأت بحسده :

- حضرة المأمور .. فم بمهمك حسب المانون .. ولا نزد .
وكان السجناء قد جاء بالتساكوش .. أخذ المأمور وراح يحقق به
على جميع جدران الزنزانة وعلى أرضيتها .. لكن رجع كل الدقائق كانت
صماء .. كان يحدث من مخبأ في الأرض أو في الحائط ولكن دون جدوى .
كان المخبأ على غير العادة في سقف الزنزانة .. لا أحد ينصور عمل مخبأ
في سقف عال .. فكيف الوصول إليه ؟ لحفر المخبأ ، ثم لاستخدامه
بعد ذلك يوماً .. لكننا لمدة شهر ونصف كان شغلنا الساعل هو عمل
هذا المخبأ .. حفرناه بموس حلاقة ، وكان الزميل الذي يقوم بالحفر بحمله
زميل آخر ويحمل الزميلان زميل ثالث .. وكان العمل يبدأ يوماً بعد منتصف
الليل حتى الفجر .

ولما لم يغير المأمور على ضالته ، أراد بعد اقتضاح أمره أماننا
أن لا يقطع حبل « الود » .. قال ..

- يا جماعة أنا متأسف .. دي أوامر المدير .. تصوروا صحاني من
النوم وأمرني بتفنيصكم بعد ما جاب موافقة مدير مصلحة السجون .
فأت :

- واسمعني أنا بالذات

- متفهمش .. دي المجلة حتى ما فيهاش ولا كلمة سياسية ومد يده
يناولني الجريدة

- حتى خدشوف .. اقرأ

تظاهرت بنصفحتها سريعاً وقلت :

- طيب ما نصرفوا لهم ملابس الصيف

- هو أنا لحقت - المدير الجديد جه من هنا وكل حاجة ومفتش هنا
- وقفت له

- مستنى أوامر ..

ثم استنطرد وابتساماً لئيمة تملأ وجهه .

- والأنيبه !

قلت بابتسامة لها معناها

- لك حق .. وأنت الاحق

وفهم الرجل ما أفصده .. أنه أحق من المدير الجديد بهذا المنصب .
أردت أن أطمئنه فهو وأن اقتضح أمره بالنسبة لنا .. يمكن الاستفادة
من تناقضه مع المدير الجديد المكروه من الجميع ، بشكل أكثر ولمصلحة
كل المسجونين ..

وفي صباح اليوم التالي بعث المأمور في طلبي ودارت مناقشة صريحة
وأن بدأت بالرمز .. قال وابتسامته المصنوعة تملأ وجهه وبعد أن أخلى مكتبه -

واضاء اللبسة الحمراء

- أنا متأسف قوى يا أستاذ .. أنت عارف دى أوامر
- قلت بسخرية
- أمرك يا سيدى !
- قال وقد زالت اتسامته .
- أحسن نكلم بصراحة .
- أحسن .. والمصلحة مشتركة .. على الأقل لفترة
- ضحك الرجل وقال
- وليه لفترة ؟
- لغاية ما تتعين أنت مدير
- ضحك مرة أخرى وقال
- ابدا .. ابدا .. هوه يعنى المنصب راح يغيرنى
- يعنى ..
- يعنى أيه ؟
- ضحكت وقلت
- الهدف راح يتغير ..
- قال بخبث
- وبالتالى التاكثيك
- أهو كده ..
- يعنى ننفق على التاكثيك
- تمام ..
- وفيك من يكتم السر
- فى عاشر بيير ..
- وتعرف كام سر لغاية دلوقت ؟
- سرين .. واحد مؤكد .. والثانى استفتاج حتى اعرف منك .
- آيه هوه المؤكد ؟
- حكاية المجلة
- مضبوط .. والاستفتاج ؟
- مترتب على الاول
- ضحك الرجل بصوت عال
- بראفو انا اللى طلبت من المصلحة اذن بتفتيشكم .
- قلت بابتسامة
- معلش .. طلعت «آوت» المرة دى
- يبقى نتفق ..
- نتفق .. على آيه ؟
- ما أنت فاهم ..
- شيلنى واشيلك ؟

- نعبجنى .
- والضمان ؟
- طلباتك ؟
- كله بوقتته .
- يبقى اتفقنا .

السياسة كما يقولون فن . والشاطر هو الذى يلعب على الننافضات فى صفوف الأعداء . هذا المأمور داهية ذكى ، ناعم ، له بعض القدرات الثقافية وهو يسخر كل قدراته فى معركته ضد المدير الذى « اغتصب » حقه فى منصب المدير . والمدير يتميز بالغباء الشديد مكروه من الضباط والمساجين والجنود ولا يدري أن المأمور يعبىء الليمان كله ضده لإحراجه أمام رؤساءه . ولقد خلقت هذه المباراة ظروفنا موضوعية مواتية لاستمرار صدور الجريدة ولتحقيق أكبر قدر من مطالب المسجونين ، فضلا عن إمكانية أكبر لتحركنا بين المساجين والاتصال بهم وفى المقابل لعب هذا المأمور الداهية لعبته بذكاء ضد المدير الى حد جعله مهزلة أمام كل المسجونين .

أحكى لك واحدة من ألعابه فى الرسالة المفيلة يا حبيبتي .

١١ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٧)

حبیبتی

صدر العدد السابع من مجلة الطريق في وقت كان فيه الليمان في قمة الغليان . المأمور الداهية لم يعد يتصدى لحل أى مشكلة للمسجونين كما كان بفعل قبل قدوم المدير الجديد، وكان ضبط السجن معه بشكل أوبآخر . وبالطبع استطاع المأمور في ظل هذا الجو أن يورط المدير في عدد من الأعمال الاستفزازية ضد جميع المساجين حتى أتى عملا استفزازيا ضدنا وتحديناه باعلان الاضراب عن الطعام الذى استمر ١٨ يوما . كنا نخرج الى الجبل يوميا عدا زميلنا وليم اسحق حيث تعفيه اللائحة من الأعمال الشاقة اذ رأى الطبيب ان صحته لا تحملها . وكان خروجنا الى الجبل بناء على طلبنا وان كنا لا نعمل شيئا حسب اتفاقنا مع المأمور . وفى يوم من الأيام كان وليم يسير فى حوتى الليمان مع حارس ولما رآه المدير أمر الحارس ان يخرج به الى الجبل مخالفا بذلك اللائحة ، وحين اعترض وليم على ذلك سبه وانهال عليه ضربا ، ثم حمله عدد من السجانة الى الجبل . ولم تمض دقائق حتى رأينا المدير على رأس عدد من الجنود وقد أحاطوا بنا من كل جانب تحت سفح الجبل ومعه المأمور وعلى وجهه ابتسامته الصفراء المعهودة . صاح المدير بأعلى صوته :
- يا الله يا مذهب أنت وهوه . . . كله يشتغل
لم يتحرك أحد منا من مكانه .
صاح مرة ثانية وبصوت أعلى ، والمأمور الى جانبه لا يتكلم وتملا وجهه ابتسامته الملبية . . .
- بعد دقيقة واحدة عاوز كل منكم يروح يشيل الحجارة . . . والا راح استخدم القوة .
تقدمت اليه وقلت بهدوء .
- أحسن استعمل القوة
صباح بغضب
- أنت بتتحدانى .
قلت بهدوء أكثر
- لا اتحداك وانما اللائحة هي التي تتحداك .
جن جنون الرجل . . . وابتسامة المأمور تتسع أكثر

- اللائحة .. اللائحة .. كل المساجين يتقول اللائحة .. مالها اللائحة
- اللائحة تمنعك من اخراج زميلنا بالقوة والاعتداء عليه .
- أنا ما اعرفش حاجة اسمها لائحة
- لكن احنا نعرفها ونطالب بتطبيقها ! .
- وازداد جنون الرجل فسب اللائحة اللى مجناه وواضى اللائحة الذين لا يفهمون ، وقال .
- انا أوامرى هي اللائحة
- ونحن ننمك باللائحة .. ونعلن اضرابنا عن الطعام .
- تبك الرجل وازدادت ابفسامة الأمور اتساعا . وهز الضباط رؤوسهم يشجعوننا وجرى عدد من المساجين الى زملائهم المنفشرين تحت سفح الحبل يبلغونهم الخبر .
- وبعد دقائق درت فى صمت . انتحى الأمور بالمدير وهمس فى اذنيه ببعض كلمات قال الأمور بعدها
- سعادة المدير كلفنى انى اتفاهم معاكم
- نحن نفضل التفاهم مع النيابة
- صاح المدير بغضب
- ودخلها آيه النيابة ؟
- قلت بهدوء
- واجبها التحقيق فى أسباب اضرابنا عن الطعام
- قال الأمور بلهجته التى نعرفها
- يا جماعة بلاش حكاية الاضراب دى .. وكل شىء بالتفاهم
- لن نتفاهم الا مع النيابة
- وبخبت شديد وجه الأمور كلامه الى المدير
- يا سيادة المدير .. اتفضل سعادتك وانا راح اتكلم معاهم .
- لوى المدير لجام حصانه ليعود الى الليمان ونظرات الضباط والجنود والمساجين الساخرة تلاحقه .
- همس الأمور فى اذنى
- واضح انكو مصرين على الاضراب
- آيه رأيك أنت ؟ مش فرصة برضه ؟
- وبعدين وياك ؟
- يعنى علشان نأكد لك ان احنا فاهمين بعض .
- كان موعد الغداء قد حل وأصوات تنادى علينا بالذهاب « بالقروانت »
- لاستلام العدس أو الفول الذى كنا نطلق عليه « السوس الفول » بدلا من « الفول السوس »

التفت المأمور الى أحد الحراس وقال
- روح هات لهم الغداء .. ثم التفت الى وقال
- والا أبه ؟

قلت

- آه طبعا هات الغدا أmaal أيه ؟
انمقع وجه المأمور ونعبيرات وجهه نتساءل ، هل عدلنا عن الاضراب ، وقال
- آه طبعا مفيش داعي للاضراب
- احنا مضربين
صاح المأمور بغضب
- أmaal عاوز الغدا ليه ؟
- علشان يا حضرة المأمور تشوف بنفسك ان الغدا جالنا واحنا رفضنا
وتثبت ده في المحضر .. والا أيه ؟
- لك حق .. روح يا سجان هات الغدا بتاعهم ووديهم الليمان في مكتبي ..
وانتو بقى تتفضلوا تروحوا الليمان وبكره انشاء الله نعمل المحضر .
- بكره زى دلوقت .. والا أبه يا حضرة المأمور ؟
قال بلهجة تأكيد

- طبعا . طبعا .. أنا فاهم اللائحة .

تنص اللائحة حين يضرب المسجون عن الطعام يعمل محضر بعد ٢٤ ساعة
من ساعة الاضراب . لكن ادارة السجن عادة لا تنفذ هذا النص الا بعد
مرور ٤ أيام على الأقل . وخلال هذه الأيام تستخدم الادارة كل وسائل
الارهاب حتى يعدل المسجون عن الاضراب وبالتالي لا يثبت في أوراق
السجن ان اضرابا عن الطعام قد حدث . وبالطبع كنا متاكدين ان المأمور
سوف يفتح لنا المحضر في الموعد الذي تنص عليه اللائحة بعد ٢٤ ساعة .
هكذا بدأنا الاضراب عن الطعام وسط عطف المسجونين وعدد كبير من الضباط
والسجانة ، ومع تأكيدنا بأن المأمور سوف يبلغ ادارة السجن بخبر الاضراب
بأقصى سرعة امعانا في احراج المدير . ونحن في الطريق الى الليمان
اقترب مني مسجون - من هيئة تحرير الطريق . وهمس :

- أبه رأيك نصدر عدد خاص من الطريق ؟

- موافق وبأقصى سرعة

- وسنرسل الخبر الى الاهالي وكل الجهات المسئولة

- همتك أنت وزملائك .

- رقابنا .. : انتو بتضحوا وتجوعوا علشاننا احنا الغلابة .

بعد ٢٤ ساعة بالضبط كنت في مكتب المأمور لعمل المحضر . فوجئت
بان المحضر مكتوب بطريقة قانونية تضع المدير أمام مسئولية الاعتداء
على وليم وخرق اللائحة . كذلك سب اللائحة والذين وضعوها .

بعد أن قرأت المحضر قال المأمور :

- أية رأيك .. انا ملت ابتدى أكتب المحضر .. أظن تمام كده ؟
قلت مبتسما ..

- عظيم جدا .. بس شوية اضافات كده

- قوى قوى .. قول .

- يعنى مطالبنا بتحسين المعاملة بوصفنا **مسجونين سياسيين** ، وصرف
استحقاقات المسجونين من **الغذاء والملابس** وغيره
وقام المأمور بآثبات هذه الطلبات .

عدت الى العنبر كى نحمل متاعنا « **البرش والبطانية** » ونذهب الى
« **التأديب** » .. زنازين انفرادية يسجن فيها **المخالف للنظام والمضرب عن
الطعام** . كان المسجونون فى العنابر الأخرى والمتشربين فى الحوش ومكاتب
الادارة والورش يلوحون بأيديهم **تحية** لنا وتشجيعا . ومن استطاع منهم
أن يقترب منا كان يعرض خدماته . وعلى باب التأديب كان هناك من
ينتظرنا كى يعطينا العدد الخاص من مجلة « **الطريق** » . كان هذا العدد
هو الثالث الذى تحرره افلام المسجونين بكامله وبغير أى مساعده منا
كانت افتتاحية العدد الخاص عن حادث الاعتداء على زميلنا وليم ثم
موقفنا من المدير تحت سفح الجبل وعن اضرابنا الذى يستهدف تحسين
معاملة المسجونين جميعا وصرف الملابس والاغذية التى يستحقونها .
وطالبت الافتتاحية فى الختام بمساندتنا والوقوف الى جانبنا وذلك بتوصية
أهاليهم بارسال برقيات احتجاج الى المسئولين والى النيابة لسرعة
حضورها للتحقيق .

أصعب الاوقات التى يواجهها **المضرب عن الطعام** هى الايام الثلاثة الاولى
بعدها تكون المدة قد تعودت على عدم استقبال الطعام ، ثم يبدأ
التعب فى هد الجسم . وعادة يتعجل المضربون عن الطعام حضور النيابة
للتحقيق فى مطالبهم ومن المفروض ان تأتى فى موعد لا يزيد عن ٤٨ ساعة
منذ بداية الاضراب . ومع أن مأمور السجن أرسل التحقيق الادارى الى
المسئولين فى مصلحة السجون التى عليها ان ترسل فى طلب النيابة فقد
مضى **اليوم العاشر** ولم تأت . والعدول عن الاضراب قبل أن تأتى النيابة
للتحقيق يعتبر هزيمة لنا .

كان عدم حضور النيابة شكل من أشكال الضغط التى بدأت
الحكومة تمارسها علينا فقد أنهالت عليها **البرقيات** من عدد كبير
من **الهيئات والمنظمات والأحزاب التقدمية العالية** فضلا عن **المظاهرات
اليومية** التى كان الأهالى يقومون بها عند رئاسة **الجمهورية ووزارة
الداخلية ومصلحة السجون** . وأمام هذا الضغط المحلى والعالمى
رفضت الحكومة أن تبلغ النيابة حتى لا يثبت فى أوراق رسمية ما
يدل على اضرابنا بسبب الاعتداء علينا . أخذت **المعركة طابعا**

سياسيا . وقررنا الاستمرار فى الاضراب عن الطعام مع مضاعفة الحملة
فى الخارج وبين الأهالى .

وفى اليوم الحادى عشر صدر عدد من مجلة الطريق كل مادته
حول استمرار اضرابنا حتى تحضر النيابة للتحقيق باعتباره حقا
لنا تعمل الحكومة على اهداره حتى تبرر موقفها أمام رأى العام
العالى . ونشرت المجلة مفتطات من البرقيات المطولة التى وصلت
الى الصحف المصرية من عدد من الهيئات العالمية ولم ننشرها ،
ومفتطات من البيانات التى أرسلها أهالى المسجونين الى الجهات
المسئولة .

وفى اليوم الثالث عشر ساءت صحة زميلين الى درجة خطيرة ومع
ذلك لم ينقلوا الى المستشفى الا فى اليوم السابع عشر بعد أن أعلن
الطبيب عدم مسئوليته عما يحدث لهما اذا لم يعدلا عن الاضراب
وتناول العلاج الضرورى . فمع انه فى اليوم الثالث عشر بعد أن
كشف عنهما أمر بنقلهما الى المستشفى ، فان ادارة السجن امتنعت
عن تنفيذ توصية الطبيب هربا من أى دليل يثبت اننا أضربنا عن الطعام
وبالتالى امتنع هو الآخر عن الحضور اليهما فى الزنزانة .

وفى مساء اليوم السابع عشر نقل الزميلان الى المستشفى ولكنهما
امتنعا عن تناول العلاج حتى تأتى النيابة لاثبات أسباب دخولهما
المستشفى . وفى صباح اليوم الثامن عشر علمنا أن الزميلين بين الحياة
والموت وأن الطبيب كذب تقريره بذلك ذهب به بنفسه الى ادارة مصلحة
السجون بعد أن أنبت فى دفاتر السجن سبب دخول الزميلين
المستشفى وامتناعهما عن أخذ العلاج الضرورى . وعلمنا أيضا أن
البرقيات مازالت تنهال على الجهات المسئولة تحملها مسئولية موت
مناضلين مصممين على الاضراب حتى تجاب مطالبهم .

وفى مساء نفس اليوم الثامن عشر ، حوالى العاشرة مساء ، فتحت
الزنازين فجأة ، أخبرنا حضرت النيابة ومعها المدير والمأمور وطبيب السجن
وقبل أن يبدأ التحقيق قال وكيل النيابة :

- قبل حضورى الى هنا حصلت على موافقة مصلحة السجون بأن
لا تخرجوا الى الجبل .
قلت :

- قبل هذا كله . . ارجسو ان تثبت النيابة انها حضرت فى اليوم الثامن
عشر منذ بدأ اضرابنا عن الطعام .
قال :

- أنا يا ابنى جيت بمجرد ما بلغونا .
- وهذا هو بالتحديد ما أريد اثباته وهو ما يمليه عليك واجبك .
وجه وكيل النيابة كلامه الى المدير :

- هل اخطرتم المصلحة بالاضراب فى الموعد القانونى . . ؟
- نفقت المدير الى المأمور الذى قال :
- أنا من ناحيتى حولت المحضر لسيادتك .
- قال المدير :
- وأنا أرسلته الى المصلحة .
- سأله وكيل النيابة :
- متى ؟

لم يجب ، وانتحى بوكيل النيابة جانبا واخذا يتهامسان . ورغم الاعياء الشديد الذى كنت اعانيه . كان ذهنى يقظا لكل ما يدور حولى . انتهز المأمور فرصة انشغال وكيل النيابة مع المدير وهمس لى وهو يبتسم بخبث .

- سمع كلامهم الشفوى بالتليفون وعطل ارسال المحضر عشرة ايام وطبعاً هو الذى راح يتحمل المسؤولية .
- عاد وكيل النيابة ومعه المدير وبدأت مساومة ، قال :
- سيادة المدير مستعد لان يجيب كل طلباتكم .
- منشكرين .

- يعنى موافق .
- ازاى ما أوافقش على اجابة كل طلباتنا .
- يبقى اتفقنا .
- طبعاً بعد اثبات حضورك بعد ١٨ يوما . .
- أمال يبقى اتفقنا على ايه ؟
- على تحقيق مطالبنا . .

قال الرجل فى محاولة لاثارة عطفنا على المدير الذى سـيـتـحـمـل المسؤولية .

- وأبـه لـازـمـة المدير يتحمل المسؤولية وكان عنده أوامر ؟
- على من ينصدى لواقع المسؤولية ان يتحمل نتيجة موافقه .

وامام اصرارنا انصرف المدير تاركاً كل شىء فى يد وكيل النيابة والمأمور . ارسل المأمور لاحضار نفاذ السجن كى يثبت عدم مسؤوليته وبالنسبة لى المسؤولية على المدير الذى تاخر فى ارسال محضر بدء الاضراب عن الطعام . وبعد أن اثبت وكيل النيابة ذلك كما اثبت واقعة الاعتداء على زميلنا ولبـم ، حاول المأمور ان يوحى لوكيل النيابة بانهاء المحضر فقلت :

- نتكلم بقى عن مطالب المسجونين ؟
- قال المأمور بغضب :

- أنت مالك بقى ومال المسجونين ؟
- لأنسى مسجون.زيهم .
- وأدرك وكيل النيابة أن فى الأمر شيئاً لا يعرفه . . انتحى بى جانباً وسأل ، فقلت :
- أصل المأمور هو المسئول عن هذا الموضوع .
- وأصر وكيل النيابة على أن يثبت كل مطالب المسجونين .
- ملابس الصيف لم تصرف .
- قال المأمور :
- بل صرفت . .
- سأل وكيل النيابة ؟
- متى ؟
- أمس .
- سأل وكيل النيابة :
- أمس فقط . . الصيف قرب يخلص .
- والتفت الى وقال :
- وأيه كمان . . قول :
- كمية العسل قليلة . . ووزن اللحم أقل من المقرر . . و . .
- وأثبت الرجل كل شيء . وقفل المحضر بانتهاء الاضراب عن الطعام
- وعلامات الغضب بادية على وجه المأمور الذى قال :
- يعنى احنا حرامية يا أستاذ ؟
- ثم اتسار الى خذائمه وقال :
- يا أخى ده أنا جزمته مقطعة .
- قلت بسخرية :
- أظن ده مش دليل كاف
- قال بغضب :
- يعنى بتتهمنى ؟
- الجهة التى تملك الاتهام . . آهى .
- وتدخل وكيل النيابة :
- يا حضرة المأمور أفكر بقى تعمل اجراءات فك الاضراب .
- ولأن المعدة لا تحتل بعد توقفها عن العمل مدة فالمفروض ان تبدأ نشاطها ببعض السوائل .
- وحين أمر الطبيب باحضار عصير قصب ،
- الذى ما كنا نبدا فى تناوله حتى فوجئنا بالدير يأتى ومعه
- سجان يحمل كميات من البرتقال وعصير البرتقال واكواب . وراح
- الرجل بنفسه يوزع علينا كميات البرتقال والعصير ، ولما شكرته
- قال بتأثر :

- يا ابني انتو برضه زى اولادى .

تأثرنا جدا بموقف الرجل وكدنا نطلب من وكيل النيابة أن يعدل المحضر حتى لا تقع أى مسئولية على المدير . ان النورى الذى بحسبه الناس قاسيا ولا قلب له ، فى أعماقه طفل يتأثر بأى عمل طيب أو لمسة انسانية ، والغريب أننا شعرنا بعد انتهاء الاضراب ولاكثر من أسدوع بانه كان يجب أن لا نحمل المدير أى مسئولية وخصوصا وأن المسئولية الحمقيه تقع على **الحكومة** وعلى وجه التحديد **وزير داخليتها** الذى ينفذ سياستها ، لقد ظل تساؤلنا هذا قائما حتى يوم الاجتماع الكبير الذى دعى اليه مدير السجن . فماذا حدث فى ذلك اليوم المشهود ؟

أحكى لك ذلك فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٢٥ أبريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٨)

حبيبتي

في رسالتي السابقة حكيت لك قصة اضرابنا عن الطعام وأسبابه . .
واهدافه المباشرة داخل السجن . غير أن أبعاد هذا الاضراب كانت أكبر
من ذلك بكثير . كانت له ابعاده السياسية داخل البلاد وخارجها
فقد أصبحت قضية معاملتنا كسياسين قضية حياة في أذهان الناس
وعلى عكس ما كان يتوقعه مدير الليمان الذي عطل ارسال محضر
الاضراب الى المسؤولين حيث كان ينتظر مساءته قانونيا ،
فقد أطلقت يده بشكل كبير في الليمان كي يعيد اليه « النظام » ،
الذي « اختل » خلال الاضراب . لكن المدير لم يفهم ماذا تعنيه « أوامر »
اعادة النظام . أما المأمور فقد فهمها جدا . فهم انها مضايقتنا
الى أقصى حد ومحاولة استفزازنا وعزلنا عن المسجونين الذين بدعمت
علاقتنا بهم . واقامة الدليل على أننا وراء صدور جريدة « الطريق » ،
وحتى لا ينفصح أمر المأمور أمامنا وأمام المسجونين عامة راح الرجل
يوعز الى المدير بتطبيق نظام صارم في الليمان كله ليستطيع من
خلاله أن ينفذ مهمته ازاننا .

وبدأت الأوامر تنهال : ممنوع بيع السكر في الكانتين حتى لا يستخدمه
المساجين في عمل الشاي في الزنازين ، فاشعال أى نار تحرمه اللائحة .
لا يصرح لأى مسجون أن يشتري أكثر من ٣ علب سجائر في الأسبوع وبحيث
لا يدخل الا خارج الزنزانة نهارا فالمفروض أن لا يكون مع المسجون
كبريت . وهكذا سلسلة من الأوامر التي راح يصدرها المدير لاعادة
« النظام » بايعاز من المأمور الذي كان يجرى يوميا تفتيشا وهميا
لزننازين بعض المسجونين ، وتفتيشا يوميا لزننازتنا بهدف
استفزازنا .

كانت مجموعة من زملاء « حدتو » قد حكم عليهم بالأشغال الشاقة
ووصلوا الى السجن خلال اضرابنا عن الطعام وبعد صدور حوالى
سبعة أعداد من مجلة الطريق . وكان المأمور بحكم صلاته يعرف
أن هناك خلافا بيننا وبينهم ، وبدأت خطته لتحقيق هدفه بمحاولة
تعميق الخلافات بيننا وبينهم . ومع أن الزملاء كانوا متفهمين الى ذلك

غير ان الرجل استطاع أن يخدعهم لفترة طويلة ، فهو حين يقوم بتفتيش زنزانتهم يشكو لهم منا وكيف اننا لا نفهمه على حقيقته رغم أنه ساعدنا كثيرا ، ويتبادل السعر مع زكى مراد ، ويسمح للدكتور شريف حقائقه بالذهاب الى المستشفى أحيانا للكشف على بعض المرضى أثناء غياب طبيب السجن . لعب الرجل على خلامنا السياسية مع الزملاء بذكاء ومهارة الى حد أسر بشكل بارز على علامتنا معهم . ومع أننا فلنا لهم خبرتنا مع هذا الرجل وعن الاتفاق الضمني الذى جرى معه حتى افترض أمره أثناء الاضراب عن الطعام حين أراد استغلالنا فى صراعه مع المدير الا انهم أرادوا أن يدخلوا التجربة بأنفسهم .

ومع استمرار صدور الأوامر لم يحتمل المسجونين هذا التضيق على حبايدهم ، تكررت لقاءاتهم مع المدير الذى كان دصر على إعادة « النظام » والمأهول الذى كان « يواصل » للتخفيف عنهم ولكن المدير « نظامى جدا » ! . وصدرت « الطريق » تعلن انها ستحتشد المسجونين من أجل الاضراب عن الطعام اذا لم تلغ الادارة أوامرها التعسفية فى موعد أقصاه عشرة أيام . ويبدو أن ما نشرته « الطريق » عن التهديد بالاضراب العام قد وصل الى المدير ، وربما يكون الذى أبغى هذا الخبر هو المأمور الذى أوحى له أن يدعوا الى اجتماع عام لكل المسجونين ليناقشهم فى مطالبهم فبعد يومين وقبل صدور « الطريق » صدرت الأوامر بعدم خروج المساجين الى العمل فى الجبل وفى كل الورش .

حوش اللبمان واسع جدا . تتوسطه منصة عالية نسيمها المساجين « البرج » . كان المأمور الانجليزى يحشد المساجين فى هذا الحوش ويجلس على هذا « البرج » العالى ليتسلى بمنظر السجانة وهم يضربون المساجين بالعصى والكرابيج . . . وبعد أن ينتابه الملل يصدر الأوامر بوقف الضرب وتوزيع التمر والعسل عليهم ! .

كانت هذه أول مرة يستخدم فيها « البرج » منذ أن رحلت الادارة البريطانية عن السجن . حوالى ٤٠٠٠ مسجون يجلسون القرفصاء فى شكل مجموعات . يحيط بكل مجموعة عدد من السجانة يحملون الدافع الرشاشة ، وكان مكاننا فى آخر الصف حيث جلسنا القرفصاء . يحيط بنا عدد أكبر من الجنود المسطحين بالرشاشات وثلاث ضباط على رأسهم أحد مأمورى السجن ، (٠٠٠) الذى كان يقف قريبا منى . . سألته :

— أية الحكاية ؟

ابتسم الرجل الذى كان بالنسبة لنا كنوز شمعة فى ظلام السجن الحالك :

— والله ما أنا عارف . علمى علمك .

كان المدير يجلس منتفخا فى « برجه » العالى والى يمينه يجلس المأمور الأول « اباه » وبدأ أغرب اجتماع شهادته فى حياتى بكلمة من المدير قال :

- انتو عارفين • أنا راجل شديد طول عمرى من يوم ما كنت ضابط ملازم هنا • فاكربن • • وسرت همسات بين المساجين • • قطعها الرجل بصوت جهورى •

- النطافه أهم حاجة عندى • احنا مسلمين ونحب النظافه • تبادلنا النظرات مع (• • •) الضابط المسيحى • • وسرت همهمات بين المساجين المسبحين • • واستطرد الرجل :

- وعلشان كده لازم كل واحد يطالع فرشاه « البرش » « والبطاطين » من الصبح لغاية القمام • • حسب اللوائح والقوانين •

وعلت الهمهمات بين المساجين • • وبدأت علامات الغضب والضيق على وجوههم وطلب أحدهم الكلام • • لكن المأمور طلب منه الانتظار حتى ينتهى « سعادة المدير » من نصائحه وحديثه • • ويرتقم صوت الرجل • - وممنوع الاتصال بالخارج منعاً باتاً • الجوابات • • والاكل الللى بيعجى من بره ممنوع • • العسكرى الللى بياخد ١٠ او ٢٠ قرش من المسجون ده حرامى • •

وبان الضيق على وجوه السجانه • • وسرت همهمات بينهم • • واستطرد المدير •

- والضابط لازم بفرض النظام • • مسألة البلديات دى لازم تنتهى • • الضابط الى يحابى بلدياته لا يقوم بواجبه • • هكذا استطاع المدير « بعبريته » الفذة أن يكون جبهة ضده • • **المسلمون والمسيحيون والضباط والسجانه •**

وعلت الهمهمات بين الجميع • • ووضع السجانه الرشاشات الى جانبهم بعد أن كانت فى وضع الاستعداد • • واختلت صفوف المسجونين المنتظمة • • خرج بعضهم عن الصف • • ووقف البعض الآخر • • وطالب بعض المسجونين بالتعقيب على كلام المدير • • غير أن المأمور بعد أن همس فى اذن المدير وهو يشير الينا • • قال :

- بعد سعادة المدير ما يخلص حديثه راح يسمح لكم بالتعقيب • • ويستطرد المدير :

- وهناك قلة لا وزن لها • • سنضربها بيد من حديد • • وتشعرنا أنه يشير الينا •

- ألفت اللى تبعث برقية تقول فيها ان احنا بنضرب هذه القلة دى تبقى ست (• • •) •

وغلى الدم فى عروقنا .. ووقف سعد باسيلى يقول :

- نحن لا نسمح بهذا الكلام الذى يحاسب عليه القانون .

ووقف الزميل زكى مراد وقال :

- نحن نحتفظ بحقنا برفع دعوى ضدك ، قضية سب على
 لحدى زوجاتنا أو شقيقاتنا أو بناتنا .

ووقف عدد من المسجونين بندد بكلام المدير ويطلب التعقيب ..

وساد الهرج والمرج .. ووقف كل المسجونين يعلنون احتجاجهم ..

ليس دفاعا عنا وعن شرفنا الذين أهين علنا ولكن أيضا عن حقوقهم ..

وارتفع صوت المدير فى محاولة للحديث ، وبعد أكثر من نصف
 ساعة .. تركه المسجونون يكمل .. قال وهو يشير إلينا :

- أنا يا ولادى ما أقصدش حد من قرابيكم .. دى واحدة من
 ايطاليا بتقول انها سكرتيرة منطقة ميلانو .. باعته تحتج ..

ووقف زميل ثالث :

- وهذه أيضا لا نسمح لك باهانتها ..

ووقف مسجون يطلب الكلمة .. قال :

- يا حضرة المدير احنا عارفينك من زمان .. أنت طول عمرك
 شحيد .. واحنا طول عمرنا ضدك .. ومش راح نسمح أبدا بأيام
 زمان تتكرر تانى .

ووقف تان .. وثالث .. ثم وقف الجميع يهتفون ضد المدير وظلمه
 وتعسفه .. لم يقترب منهم جندى واحد .. أو ضابط .. عجز
 المدير عن عمل أى شىء .. وامتلك الأمور الموقف كله .. قال وابتسامة
 صفراء تكسو وجهه :

- يا لالا سجانة كل واحد ياخذ المسجونين بتوعه على العنبر ..

لكن المسجونين لم ينحركوا من أماكنهم .. وقال الأمور :

- سيادة المدير راح يطلب عدد منكم علشان يتكلم معاهم عن مطالبكم

قال مسجون :

- لا عاوزينه يتكلم هنا .. معانا كلنا ..

وقال آخر :

- لازم يسحب كل الكلام الللى قاله

وقال ثالث

- مطالبنا لازم تتحقق ..

وقال رابع :

- الفرش مش راح يطلع بره الزنزانة أبدا .. والكانتين لازم يرجع
 زى ما كان ..

وهتف خامس :

- يسقط الظلم ..

وارتفعت أصوات المساجين تردد وراءه ..

يسقط الظلم .. يسقط الظلم ..

ويقدم الضباط الذين بتعاطفون مع المساجين يطلبون منهم الهدوء ..
ويستجيب المساجين .. وبفول المدير بصوت ضعيف :

- يا أولادي انتم فهمتونى غلط . راح انظر فى مطالبكم .

لم يكثر به المساجين ، قاطعوه ، اختلطت مجموعاتهم ، لم يحاول
السجانة أو الضباط إعادة الضبط والربط ، وبصوت منهوك طلب
المدير من المأمور أن يصرف المساجين . وعاد المسجونون الى عنابرهم فى
شبه مظاهرة لم يشهدها الليمان من قبل يهتفون يسقط الظلم ..
يسقط الظلم . نريد حقوقنا . نريد حقوقنا . هل سيعدل المدير
عن أوامره التعسفة ؟ ، وما العمل اذا لم يعدل عنها ؟ المدير فى
موقف ضعيف ، والمساجين فى الموقف الأقوى ، ويجب الاستفادة من
هذه الظروف . كيف ؟ الاصرار على تنفيذ اللائحة . واتفق على أن
يصدر عدد خاص من « الطريق » ، بعد يومين يتضح خلالها الموقف .
وبعد ثلاثة أيام صدرت الطريق تدعو الى الاضراب العام لكل المسجونين .
ولاول مرة فى تاريخ ليمان طرة يضرب كل المسجونين عن الطعام حتى
تجاب مطالبهم . وبالفعل تحققت كل مطالب المسجونين .

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٣ مايو ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٩)

حبيبتي

في رسالتي السابقة حكيت لك ما انتهى اليه اجتماع مدير الليمان بالمسجونين . كان من الطبيعي أن يسود المسجونين جو من الثقة بعودة الحياة في الليمان الى ما كانت عليه قبل الاجراءات التي فرضها المدير . لكننا كنا نرى غير ذلك . ان تراجع المدير عن الاجراءات التي اتخذها - على الرغم من أنها كانت محل مؤاخضة من رؤسائه - سوف يخلق ظروفًا مواتية للمسجونين لطريق كل بنود اللائحة ، وهو أمر لا يريد بعض كبار الضباط حيث بسد بابا « للرزق » هم حريصون على أن يظل مفتوحا . هذا الدافع الذاتي سيدفع بهم الى اتخاذ اجراءات شاذة « لتطهير » أفكار المسجونين من الأفكار « الهدامة » . وكنا نتوقع أمرين : الأول : عملية تنكيل بالمسجونين الذين تحسدوا المدير اثناء الاجتماع العام ، والثاني : تشديد الحراسة علينا لمحاصرتنا وعزلنا عن المسجونين تماما مع محاولات لاستفزازنا أو فرض معركة للتنكيل بنا . ومر يومان ولم يبد في الأفق ما يشير الى تعديل المدير عن الاجراءات الشاذة التي وعد بالغاؤها . وعبثا راحت كل محاولات المسجونين لمعرفة ما يدور في رؤوس المدير وكبار الضباط في مصلحة السجون الذين كثرت زياراتهم لليمان واجتماعاتهم بالمدير والمأمور .

المأمور الذي كان دائم الصلة بالمسجونين وعلى وجهه ابتسامته التقليدية ، وعلى شفتيه الوعود بتحقيق مطالب المسجونين اختفى تماما . والضباط المتعاطفون مع المسجونين أصبحوا أكثر حرصا في اظهار معارفهم ويبدلون جهدا لاختفاء تعاطفهم ، ولا يقدمون تفسيرات للاجتماعات الكثيرة التي تتم بين كبار المسؤولين في مصلحة السجون وبين المدير ، فهم على الأرجح كانوا لا يعرفون . حتى السجناء كانوا يتوقعون شيئا رهيبا ضدنا بشكل خاص ، وضد المسجونين بصفة عامة . وكنا نرى في عيونهم نظرات العطف ، وأبدى بعضهم استعدادهم لمساعدتنا .

في مساء اليوم الثالث عقدنا اجتماعا لمناقشة كل احتمالات المعركة التي سوف تفرضها علينا الدولة . أرسلنا الى التنظيم تقريرا وافييا عن الوضع واقتراحات بعمل حملة واسعة من البيانات الى المنظمات الجماهيرية والنقابية والمهنية ، وإلى الهيئات اعالية الديمقراطية .

والى الصحف ، والمسؤولين ورئاسة الجمهورية . كما أرسلنا خطابات الى أهاليها لتكوين وفود تذهب الى المسؤولين . وأخرى لتتواجد بشكل دائم خارج السجن لترقب الموقف والتحرك بسرعة اذا حدث شئ ضدنا . وكان فرارنا هو الصمود مهما كلفنا ذلك من تضحيات ، حتى الحياة ذاتها ، بعد هذا القرار ، كان أمامنا فى تلك الليلة مشكلتان : الأولى توصيل ما كتبناه الى التنظيم والى الأهالى بأقصى سرعة ممكنة . والثانية هى الاتصال بهيئة تحرير « الطردى » لاصدار العدد المتفق عليه بعد الاحتماع « اياه » ليدعو المسجونين الى الاضراب العام عن الطعام . كيف يمكن التغلب على هاتين المشكلتين ونحن معزولون فى زنزانة مغلقة ، معزولة عن سجن معزول عن العالم الخارجى ؟ الوقت يمضى بسرعة والأمره بدت خيوطها خلال اليومين الماضيين فى عيون المدير ونظراته الكريهة ، وانحناء المأمور المفاجئ وغير المبرر ، ونظرات العطف والاشفاق فى عيون الضباط الذين لا يعرفون ما يجرى فى مكتب المدير ، وتعليقات بعض السجانة التى تحمل الخوف من المصدر الذى ينتظرنا ، كانوا يعرفون أن المثل الشعبى « وقوع البلاء ولا انتظاره » يعبر أصدق تعبير عن المعاناة التى يعانيتها من ينتظر « البلاء » فيتعجل وقوعه ليتخلص من معاناته وآلامه الأكثر قسوة من آلام البلاء ذاته . ومع أننا كنا نعانى من انتظار « البلاء » الا أننا لم نتعجله أبدا وفضلنا المعاناة الأشد ألما والأكثر قسوة ، ساعدنا على ذلك حالة التحدى التى هيأنا أنفسنا لها مساء اليوم الذى جرى فيه اجتماع المدير بكل المسجونين ، حيث لم نخدعنا الظروف التى نتجت عن ذلك الاجتماع . كذلك لم تكن المسألة بالنسبة لنا مسألة ذاتية ، وانما كانت فى الأساس موقفا موضوعيا .

كان صوت سجان صديق . . تبينا صوته ولكننا لم نعرف من هو . قام مجدى فهمى من على « برسه » ليتحدث مع هذا الصديق من ثقب باب الزنزانة . قال مجدى فهمى بعد أن تبين ملامح وجه السجان بصعوبة .

— أهلا . . أنت « . . . » جيت امتى ؟

تشاء الصدف أن يكون هذا الصديق هو السجان الذى يعرفه مجدى فهمى من حى بولاق والذى قام بتوصيل الخطابات التى أرسلناها الى الأهالى من ليتمان أبى زعبل .

قال الصديق :

— نقلت من ليتمان أبو زعبل الى هنا . . من يومين فقط .

قال مجدى :

— لكن دى الادارة حاطة سجان من بتوعها من ثلاث أيام . . ولم

يتغير ليل ولا نهار . . ايه اللى جرى . . ؟

- ضحك الصديق وقال :
- جاله مغص وخدوه على المستشفى وجيت بداله .
 - أيه الصدفه الغريبه دى ؟
 - قال الرجل بكل الصدق :
 - ده ندبير ربنا .. انتو ناس جدعان
 - قال مجدى فهى بنبرة صوته الودوده :
 - الله يخليك يا « ... » عاوزين خدمة من خدماتك العظيمة .
 - رقبتي يا مجدى .. ان ماكانش علشان انتو رجاله . فعلى
 - الأقل علشانك أنت .. ابن حنتى .
 - أعطاه مجدى التقرير والخطابات وقال له :
 - دول لازم يوصلوا بأقصى سرعة
 - قبل الشمس ما تطلع راح يكونوا وصلوا لأصحابهم .
 - متشكرين جدا .. أنت راجل عظيم .
 - يا مجدى لا شكر على واجب .. أنا متأكد اننى باعمل خدمة
 - لوطنى .
 - ثم يستطرد ..
 - على قد ما أقدر بقى أنا مش زيكو
 - الملى بتعمله ده ما يقلش أبدا عن عملنا .
 - ويستطرد مجدى :
 - بس فيه مهمة ثانية .. يمكن تكون صعبة شوية .
 - مفيش صعب علشانكم وعلشان الشعب ..
 - ويبدأ مجدى فى حديث مع السجان الصديق عن مجلة « الطريق » . ويقاطعه
 - الرجل :
 - أيوه أنا سمعت عنها .
 - قريتها ؟
 - لا .. لكن كل المسجونين بيمدحوا فيها وبيحبوها .
 - ويعلق مجدى :
 - وأظن منتظرين صدورها بكوره .
 - تمام .. تطلب ايه منى ؟
 - ناوله مجدى خطاب موجه الى هيئة تحرير مجلة الطريق .. وقال :
 - عاوزين الجواب ده يوصل لـ **الغبر ٢ للمسجون (...)** قبل السجن
 - ما يفتح .. ممكن ؟
 - صعبة أوى الحكاية دى .. لكن راح اتصرف .
 - ويصيح مجدى :
 - انت عظيم .
 - وكلمة « عظيم » لازمة من لزمات مجدى .

- ويضحك السجنان الصديق :
- هيه كل حاجة عظيم .. عظيم .. فين العظمة دي ؟
- ويضحك مجدى :
- نيب هايل .. بلاش عظيم ..
- يا عم لا هايل ولا عظيم .. أنا فى الخدمة ، ناموا انتو بقى وأنا راح أتصرف ..
- لا مش راح ننام قبل ما نعرف منك ان الجواب وصل لعنبر ٢ ..
- ويقول الرجل بثقة غريبة :
- ماشى .. استنى سوية لغاية ما أرجع لك تانى ..
- لم يكن لدينا أدنى أمل فى أن يصل الخطاب الى عنبر ٢ ، فالسجان الصديق مسجون مثلنا تماما .. الفرق الوحيد بينه وبيننا ، أننا داخل زنزانة بابها مغلق علينا .. وهو داخل عنبر واسع يضم أربع أدوار ، وبابه الخارجى مغلق عليه .. نكية ، يصل هذا الخطاب الى عنبر ٢ ، من الذى سيحمله من عنبر ٤ الذى نعيش فيه ، الى الباب الخارجى لعنبر ٢ ، ثم الى الزنزانة رقم ٣٢ التى يعيش فيها اثنان من هيئة تحرير الطريق ، ؟
- بعد أقل من ساعة سمعنا دقا على باب الزنزانة .. أسرع مجدى لينظر من ثقب الباب ثم سمعنا صوت الصديق يقول :
- كله تمام يا رجاله .. ناموا بقى ..
- ويصيح مجدى بفرح غامر :
- عظيم .. انت هايل ..
- تانى ! .. عظيم وهايل ! ..
- ويسأل مجدى فهمي :
- لكن ازاي وصل الجواب لعنبر ٢ ..
- يا سيدى ده شغلنا بقى ..
- ويلج مجدى على الصديق ليعرف كيف وصل الخطاب بهذه السرعة الى عنبر ٢ - زنزانة رقم ٣٢ ! ، ويحكى الرجل :
- بسيطة قوى .. كان معايا علبة سحاير هوليود « لارج » فكيت الورق « القزاز » بعناية وكذا العلبة .. وأخذت منها سيجارة وخطيت بدالها سيجارة تانية فيها الجواب .. وطلبت من السجنان اللين فى الحوش يوصلها لصاحبى وابن حنتى (...) فى عنبر ٢ زنزانة رقم ٣٢ ..
- ويسأل مجدى :
- لكن أنت متأكد ان العلبة وصلت ؟
- ويجيب الرجل بثقة :
- الا متأكد .. ودى فيها كلام ..

- يعنى

ويقاطعه الرجل ..

- يعنى أياه بقى .. أمال فبن الثقة بالشعب ..

ويرد مجدى بلهجة ودودة :

- لك حق .. متأسف ..

ما كدنا نطفىء أنوار الزنزانة استعدادا للنوم حتى رأينا
خيوط فجر يوم جديد تخترق قضبان نوافذ الزنزانة لتبدد ظلامها
الدامس . وجاءنا صوت مألوف على أسماعنا يؤذن لصلاة القجر .
كان صوت الصديق من هيئة تحرير « الطريق » يخبرنا بان الرسالة قد
وصلته ، وكنا قد اتفقنا معه على أنه فى حالات محددة ، وبعد
أن يبدأ مؤذن الجامع المجاور لليمان بأذان المقطع الأول يبدأ هو فى الأذان .
وتأكدنا من وصول الرسالة ومن أعداد العييد الخاص من « الطريق »
الذى يدعو الى الاضراب العام عن الطعام . وعن هذا الاضراب أكتب لك
رسالتى المقبلة يا حبيبتى .

١٢ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٠)

حبيبتي

الأقنعة الزائفة وان بدا بريقتها يخطف الابصار ، فى لحظة من اللحظات ، لا تستطيع ان تخفى تماما وجه صاحبها القبيح . عين الانسان الصادق تستطيع ان تخترق تلك الأقنعة لتلاحظ اقل تصرف ذاتى وتضع أمامه علامة استفهام ؟ ويبدأ سقوط الأقنعة ، فناعا وراء قناع حتى يتعري تماما وجه صاحبها ، ويبدو على حقيقته ، شريرا ، دنسا انتهازيا يسخر كل شىء وأى شىء من أجل ذاته . الغاية عنده تبرر الوسيلة . ، ذكاء صفة أساسية من صفات الانتهازى تعطيه القدرة على الخدع حيث يستطيع استخدام كل الظروف لصالحه . لكن ، لأنه يفتقد جوهر الانسان يفتضح أمره لكل المخدوعين به عند وضعه فى تجربة انسانية .

المأمور (٠٠٠) الذى حدثتك عنه فى رسائل السابقة ، واحد من انتهازين كثيرين منتشرين بين كل طبقات وفئات المجتمع ، هذا الرجل الذى زعم يوما أنه صديق لنا وللمسجونين وخدعنا فيسه بعض الوقت ، وكنا أكثر ذكاء منه حين استخدمناه لصالح المسجونين ، وبالتالي لم يفضح أمره تماما لكل المسجونين ، سقطت كل اقنعة الزائفة فى لحظة واحدة .

فى ظهر يوم الاضراب العام عن الطعام والذى دخله كل المسجونين - عدانا وباتفاق سابق - وعدا الاخوان المسلمين - فلم يكن لهم أى علاقة بنشاط المسجونين ، أغلقت زنزانتنا - على غير العادة - ، بعدها فنح باب الزنزانة لنجدها فى لحظة وقد امتلأت بعدد كبير من السجانة والضباط وعلى رأسهم المأمور .

قال وعلى وجهه ابتسامة كالحة :

- هما الجماعة دول مضربين ليه ؟

- جماعة مين ؟

- المسجونين .

- مسجونين مين ؟

- المسجونين كلهم .

- لكن احنا مش مضربين .
 - ليه ؟
 - علشان كده .
 - هو القيادة مش لازم تضرب المثل ؟
 - أسأل القيادة ؟
 - طب ما انتو القيادة .
 - عاوز أيه بالضبط ؟
 - عاوز اثبات قانونى .
 - لكل مجتهد نصيب .
 - وأنا مجتهد . . والا أيه رأيكو ؟
 - فعلا . . بس انتهازى .
- ووسط ضحكات الزملاء العالية والساخرة ، وابتسامات على وجوه عدد من الضباط والسجانة ، ارتفع صوت المأمور عاليا :
- يا له يا سجان انت وهو . . فتش كل حاجة . .
- بعض السجانة قام بتهزيق كل ملابسنا ، والبعض الآخر كان يفتش بطريقة شكلية . وتناول المأمور « جاكوش وأجنه » كان يحملها أحد السجانة وأخذ بنفسه يحفر اجزاء من أرض الزنزانة ، ومن جدرانها ، أملا فى أن يعثر على مخبأ يجد فيه الدليل القانونى الذى يثبت صلاتنا باضراب المسجونين . وبعد أكثر من ساعتين ، انصرف المأمور ومن معه وقد تركوا كل ملابسنا ممزقة ، وجدران الزنزانة وسقفها وأرضها وقد امتلأت بالحفر . وبعد أقل من عشر دقائق جاءنا السجان الصديق يحمل لنا رسالة من مسجون صديق أرسلها من « الجبل » . ووقف على باب الزنزانة المغلقة حتى نقرأ الرسالة ونعطيه الرد عليها . وكانت الرسالة تحمل وصفا دقيقا للأسلوب الذى تم به الاضراب ، والدور القذر الذى قام به المأمور ضد المسجونين لتحطيم الاضراب .
- فى صباح ذلك اليوم خرج المسجونون كالعادة للعمل فى « الجبل » ، كان كل شىء طبيعيا . انتظمت الفرق المختلفة وبدأت فى عملها . العمل يبدأ عادة فى الساعة الثامنة حتى نوبة الظهر فى الساعة ١٢ حيث يأخذ المسجونون راحة لتناول الغذاء . وعندما نودى على المسجونين لاستلام وجبة الغذاء ذهبوا جميعا كالمعتاد وفى صفوف منتظمة يحملون « القروانات » . وبدلا من أن يتجمعوا كعادتهم كل يوم فى مجموعات لتناول الطعام ، ذهبوا بنفس الصفوف المنتظمة الى مامور « العمل » وروصوا أمامه كل القروانات ، ثم عادوا الى حيث يجلسون لقضاء فترة راحة الظهرية . ذهب اليهم المأمور ومعه عدد من السجانة يسألهم . .

- آيه الحكاية يا مسجون انت وهو ٠ ٠
- ويقف واحد من المجموعة ويقول :
- مضربين عن الطعام
- ويذهب الى مجموعة أخرى :
- مضربين عن الطعام
- ويذهب الى مجموعة ثالثة ، ورابعة ٠ ٠ الخ :
- مضربين عن الطعام
- لم يفعل الضابط شيئاً ، ولم يعلق ، فهو من جانب يواجه موقف
- لم يحدث في الليمان من قبل ، وهر من جانب آخر متعاطف مع المسجونين
- وارسل الى المدير من يبلغه الخبر الخطير ٠ وبعد أقل من نصف
- ساعة جاء المأمور « ٠ ٠ ٠ » ، يحمل الحصان جسده السمين ، ويحمل
- وجهه ابتسامته الصفراء :
- آيه الحكاية يا جماعة ؟
- **مضربين عن الطعام ٠ ٠**
- لكم حق ٠ ٠ لكن كان لازم تعطوني فرصة ٠
- بقا لنا أربع أيام والاجراءات زى ما هية ٠
- لكن أنا كنت فى إجازة ٠
- وأديك جيت ٠ ٠ حقق مطالبنا
- انتم عارفين ٠ ٠ أنا مش فى ايدى حاجة
- طيب عاوز فرصة ليه ؟
- علشان أتصل بالمستولين
- وكاد بعض المسجونين أن بخدع بقوله ٠ قام مسجون صديق
- وقال :
- على العموم الاضراب مستمر حتى نتحقق مطالبنا ٠
- لكن المسألة تأخذ كام يوم ٠ ٠
- راح نفضل مضربين الكام يوم دول ٠
- طيب تعالى انت ومعك ثلاثة تانيين مغايا نتناقش مع المدير
- والمستولين اللي زمانهم وصلوا الليمان ٠
- وذهب معه أربعة ٠ اثنان من هيئة تحرير « الطريق » واثنان من قادة
- المسجونين الى الليمان ٠ كان فى مكتب المدير عدد من كبار ضباط
- مصلحة السجون وعدد من ضباط الجيش** - قيل انهم من **الخابسات**
- العامة - وحاولت هذه المجموعة من الضباط بالارهاب تارة والترغيب
- تارة أخرى انتزاع أى كلام منهم يشير الى أننا نحن الذين وراء الاضراب ٠
- ولكن عبثاً راحت كل محاولاتهم ٠ قال زميل من زملاء الأربعة :
- احنا مش صغيرين ٠ ٠ مفيش حد وراء الاضراب ٠

- سأله أحد الضباط :
- ومين اللى بيصفر مجلة الطريق ؟
- قال بكل شجاعة :
- أنا المسئول عنها •
- قال الضابط مهتدا :
- ده اعتراف •• أنا راح أقدمك للمحاكمة •
- قال الزميل :
- ليس فى المجلة ما يتعارض مع القانون •
- طيب ليه بتطلعوها بطريقة سرية ؟
- لأن الادارة لم نسمح لنا باصدار جريدة علنية •
- وانتو محتاجين لجريدة ليه ؟
- علشان تدافع عن مطالبنا •
- وأييه مطالبكم ؟
- تطبيق اللائحة •
- تدخل واحد من ضباط الجيش :
- وأييه اللى مش مطبق من اللائحة ؟
- حاجات كتير •• الملابس لا تصرف لنا فى المواعيد المحددة •
- كمية الغذاء من لحوم وعسل وخلافه •• كلها وزنها أقل من الوزن المقرر فى اللائحة •
- وجه ضابط الجيش حديثه الى مدير الليمان والامور :
- صحيح الكلام ده ••• ؟
- قال الامور :
- أبدا غير صحيح ••
- قال الزميل :
- أرجو الرجوع الى محاضر النيابة •
- سأل ضابط الجيش مدير الليمان :
- أييه محاضر النيابة دى ؟ ••
- لم يستجب
- وحين سأل الضابط السؤال •• قال الامور :
- يا أفندم ده قصده محاضر النيابة الخاصة باضراب الشيوعيين عن الطعام • وسادت فترة من الصمت ••
- قال ضابط الجيش موجهها حديثه الى الزملاء الأربعة :
- طيب انتو بقى تروحوا لشغلوكوا •• وتفكوا الاضراب •• وراح نتفاهم
- قال واحد من الزملاء الأربعة :
- أرجو ان تسمح لنا بالاستمرار فى الاضراب حتى يتم التفاهم •

- لكن أنا وعدتك ..
- يا أفندم سمعنا وعودا كثيرة قبل كده ..
- قال ضابط الجيش :
- لكن يا ابنى احنا ضباط اتصال من قيادة الثورة .
- قال زميل ..
- يا أفندم نحن نحترم ونقدر اهتمام قيادة الثورة .. لكن ..
- لكن أيه ؟
- ممكن تصدروا أوامر فورا بإلغاء الإجراءات الأخيرة ..
- طيب روحوا انتو للشغل .. ثم نادى على المأمور وهمس فى
- أذنه ..

وبينما كان الزملاء الأربعة يعودون الى عملهم بصحبة واحد من ضباط السجن وعدد من السجانة .. كان المأمور يتجّه ومعه عدد من ضباط السجن والسجانة الى عنبر ٤ زنزانية رقم ٦٤ حيث يقوم بإجراء التفقيش الذى حدثت عنه من قبل . وفى الوقت الذى كان المأمور فيه يجرى تفقيش زنزانتنا كان مدير السجن فى الجبل يرتكب احدى حماقاته . توجه المدير بنفسه الى هناك تحيط به مجموعة من الضباط والسجانة ورجال « الهجانة » .. هذا يحمل مدفعا رشاشا .. وهذا يحمل بندقية .. ورجال « الهجانة » يمسكون بكرابيجهم المعروفة . كانت مظاهرة عسكرية لارهاب المسجونين . وبعد مناقشة لم تدم أكثر من عشر دقائق صاح المدير بأعلى صوته وهو يشير الى الزميل المسجون الذى كان يناقشه :

- اجلدوا المسجون ده عشرين جلده ..
- أسرع عدد من الساجنة ينصبون « العروسة » .. ويمسكون بالمسجون لربطه عليها لتنفيذ حكم الجلد .. وقبل أن يبدأ التنفيذ همس واحد من الضباط فى اذن المدير بكلام لم يسمعه المسجونون صاح المدير مرة أخرى :

- أجرى يا سجان هات طبيب السجن .

تنص اللائحة على أن لا ينفذ حكم الجلد الا بعد كشف الطبيب على المحكوم عليه بالجلد ليقرر اذا كان يتحمل الجلد أم لا . كذا ! القانون لا يمنح جلد المسجون بالسياط ، ولكنه حريص على أن لا يموت ، لاحبا للانسان ولكن خوفا من المحاسبة ، لا مانع من تعذيب المسجون حتى يصل الى حافة الموت . هذا ما يكفله القانون للطفاة الصغار .. يتسلّمون المسجون حيا وعليهم أن يحافظوا عليه حيا على حافة الموت فقط . أما الطفاة الكبار فلا شىء يحد من طغيانهم .. فهم أصحاب البلد وما عليها من بشر وما بها من ثروات !

جاء طبيب السجن .. شاب حديث التخرج .. عرفناه من قبل . فقد وقف موقفا مشرفا خلال اضرابنا عن الطعام منذ مدة - وقد أشرت اليه فى رسالة سابقة . كان وجهه يجسد كل ما يعانى به من آلام . قبا لهذه المهمة ، هل يحتم شرف المهنة على الطبيب أن يكون صادقا قى مثل هذه الحالة ؟ الواجب يحتم ذلك . وما هو الواجب ؟ كلمة من ستة حروف صاغها الطفلة لارهاب موظفيهم . من ينور ضميره ويتمرد على هذا « الواجب » مصيره معروف .. الفصل من الوظيفة على أقل تقدير . ومن يطرح ضميره جانبا فهذا هو الموظف الجيد ، فهو يقوم بواجب الوظيفة ! ما أفدح الثمن الذى تدفعه نظير صدقك ! أن تكون صادقا مع نفسك ومع الآخرين فانت بطل اسطورى . الصدق فى العالم يا حبيبتى شىء نادر . وهو أكثر ندرة فى عالم الطفلة .

بدأ الطبيب الكشف على المسجون الحكوم عليه بعقوبة القرون الوسطى خلال النصف الثانى من القرن العشرين ! وضع الطبيب الشاب سماعته على صدر المسجون .. وبدأ الارتياح على وجه الطبيب . واتسعت معالم الارتياح على وجهه حين قاس ضغط المسجون . كتب تقريره ، وهم بالانصراف صاح المدير :

- يا لالا سجان نفذ الحكم .

قال الطبيب :

- نفذه على مسئوليتك ..

- كيف ؟

- الضغط واطى .. ونبضات القلب سريعة .

وأسقط فى يد المدير ، انه لم يتعود على مثل هذا الموقف . ان كشف الطبيب بالنسبة له اجراء شكلى ليس الا ، اجراء لاستكمال الشكل القانونى ! فالحكم يجب أن يكون بالقانون ! ، صاح المدير :

- يا دكتور قم بواجبك ..

قال الطبيب بهدوء :

- لقد قمت بواجبى على اكمل وجه .

صاح المدير :

- ساستدعى طبيبا آخر .

قال الطبيب وهو أكثر هدوءا :

- أفعل ما شئت .. ولكنى لن أسكت اذا نفذ الحكم بالجلد .

صاح المدير :

- سأجد طبيبا آخر يقرر ما أريده .

قال الطبيب فى تحد ..

- لن تجد ..

وانصرف

كان هناك أربعة أطباء يشرفون على علاج المسجونين من بينهم هذا الطبيب الشاب . وقضى زملائه الثلاثة عادة الكشف على المسجون .

عاد المدير مع مظهرته العسكرية يحمل خفى حنين ، ازدادت ثقة المسجونين بأنفسهم وبوحدتهم واطمأنوا الى انه حتى فى ظلام السجن وبين أنياب الارهاب سيجدون بين الموظفين من يتعاطف معهم ويقف الى جانب قضايهم العادلة . ما أعظم الانسان هذا الكائن الغريب . انه حتى وهو بين فكى مفترسيه لا يفقد جوهره الانسانى . المسجونون يلتفون حول المسجون المحكوم عليه بعقوبة الجلد التى لم تنفذ . يحتضنونه بحب . يقبلونه ويهنئونهم ، وعدد من الضباط ، والسجانة يشاركون المسجونين عبر نظرات العطف الذى تفيض بها عيونهم . كانوا يكتفون بنظراتهم العظيمة التى تصل مباشرة الى قلوب المسجونين الذين يبذلونهم نظرات الحب والتقدير . كان هذا اللقاء الروحى أقوى من صخر الجبل الذى يحيط بهم من كل جانب . أقوى من الارهاب والتعذيب والسلاسل التى تقيد أرجل المسجونين .

ارتفع صوت البروجى يعلن انتهاء يوم العمل ، اختلطت نغماته بأصوات المسجونين .

ـ الله أكبر على الظالم . . . الله أكبر على الظالم .

وفى سرعة لم يشهدهما « الجبل » من قبل انتظم الجوعى وأشباه الموتى المنهكين فى مجموعاتهم ، رنات مئات السلاسل فى أقدامهم تمتزج بنغمات البروجى وأصوات المساجين الهادرة .

ـ الله أكبر على الظالم . . . الله أكبر على الظالم .

انتظمت صفوف موكب « العبيد » ، يحملون « قرواناتهم » بها وجبة الغذاء من العدى لیسلمونه الى ادارة السجن لعمل محضر اضراب عن الطعام . كانت الشمس تختفى وراء الأفق . يبدد الظلام أشعتها ، ونبضات قلوب « العبيد » فى موكبهم تعلو على رنات قيودهم الحديدية التى تكبل أقدامهم ، تؤكد ثققتها وإيمانها بمولد يوم جديد تشرق فيه الشمس . شمس يوم جديد لا يعرف أمراض مجتمع الاستغلال وضحاياها .

وعلى غير العادة كان مدير الليمان يقف على الباب الكبير لليمان الذى يدخل منه موكب « العبيد » كل يوم بعد العمل الى السجن . وقبل أن ينصرف المسجونون الى زنابزينهم يجرى « التمام » كى تطمئن الادارة على أن احدا لم يهرب . فى ذلك اليوم أمر المدير بان لا يتصرف المساجين بعد « التمام » عليهم ، تحدث اليهم عن مطالبهم وأعلن أنه قد القى كل الاجراءات التى اتخذها ، وأن كل شىء سوف يعود الى حالته الطبيعية . وطلب منهم انهاء الاضراب عن الطعام . وقف

الزملاء الأصدقاء من هيئة تحرير « الطريق » واحدا بعد الآخر وأعلنوا باسم
المسجونين انتهاء الاضراب عن الطعام . كانت هذه أول مرة يتحدث فيها
مسجون باسم زملائه . فالمقروض أن يتكلم كل مسجون باسمه فقط .
وكانت هذه أول مرة يحقق فيها المسجونون مطالبهم خلال معركة جماهيرية .
لكن أمرا كان مبيتا ضد الزملاء الأربعة الذين قادوا المعركة وأمرا
آخر كان مبيتا ضدها ، وحتى يمكن تنفيذ ما دبروه تراجع الحير عن
كل الإجراءات التي اتخذوها .
وفي الرسالة المقبلة ، يا حبيبتي : أحكى لك ذلك .

١٥ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢١)

حبيبتي

هكذا وبالأضراب العام عن الطعام وبوحدة كل المسجونين الرائعة تحطمت كل الاجراءات الشاذة التي اتخذها مدير ليما ن طرة . وصدرت « الطريق » في اليوم التالي من صفحة واحدة ، تحيي وحدة المسجونين باعتبارها الاداة الفعالة لتحقيق مطالبهم . وحذرت « الطريق » من محاولات الادارة التي لن تقوقف لضرب وحدتهم بمختلف الوسائل ، فهي أي « الادارة » اذا كانت قد تراجعت فانها سوف تنتهز أول فرصة مناسبة لها للانتقام من هزيمتها التي لم تحدث من قبل في تاريخ السجون في مصر . ومضى يومان لم يحدث خلالهما ما يشير الى أي شيء ضد المسجونين بل انهم كسبوا مزيدا من المكاسب ، وساد في الليمان جو ودي وأخوي بين المسجونين وضباط الادارة والسجانة ، وكان مدير الليمان يتوود اليهم بطريقة تتعارض مع طبيعة تكوينه الانساني والنفسي ، فضلا عن أنه هزم في معركة كانت موجهة ضده في الأساس . وبذل مأمور السجن جهدا كبيرا بين المسجونين كي يعود الى موقعه القديم قبل أن يفضحوه . حتى نحن ؛ خففت الادارة قيود الحراسة المشددة علينا ، وعاد المأمور يتوود اليها بشكل مبالغ فيه . حتى المدير لم يكن يعترض على بعض مطالبنا التي كان يرفضها من قبل . لم نقابل هذا الجو العام بالارتياح ، فنحن مسجونون في قبضتهم يستيطعون التنكيل بنا في أي لحظة وليس هناك أدنى شك عند الادارة في أننا كنا وراء هذه المعركة التي هزمت فيها . فضلا عن أن المعركة كان لها طابعها السياسي رغم جوهرها الاقتصادي ، وبالتالي فان الدولة لن تقف مكتوفة الايدي ، وأن مؤامرة تدبر ضدها . كان هذا ملخصا للرأي الذي انتهينا اليه بعد مناقشة في مساء اليوم الثالث للاضراب العام .

وتشاء الصدفة أن يصلنا في نفس الليلة ما يؤكد تحليلنا للموقف . كان هناك سجانان يتبادلان حراستنا اثناء الليل بصفة دائمة ، وسجان ثالث يتولى حراستنا خلال النهار . وكان هؤلاء الثلاثة لا يتغيرون خلافا لما يتم بالنسبة لباقي المسجونين ، وذلك كي تستطيع الادارة فرض الرقابة على هؤلاء السجانة وتفتيشهم تفتيشا دقيقا عند دخولهم الليمان أو الخروج منه ، وخوفا من احتمال قيامهم بادخال أو اخراج رسائل لنا . وكان من بين هؤلاء الثلاثة رجل معروف بشراسته

وصلته بالمباحث العامة • كان هذا الرجل بموم كالمعتاد في تلك الليلة بنوبه حراسته علينا التي تبدأ من غروب الشمس - موعد اغلاق الزنزانة - حتى منتصف الليل ، لكننا لاحظنا أن زميله في الحراسة لم يتسلمها منه كالمعتاد ، واستمر هو في الحراسة • في الظروف العادية يمكن أن لا يثير ذلك انتباهنا • وضعنا علامة استمهام وقررنا رغم مقاطعتنا لهذا الرجل الذي كان دائم الاستفزاز لنا أن نجرى معه حوارا نعرف منه سبب استمراره في حراستنا وهل هو أمر عادي ؟ أو هو مرتبط بحملة تفتيش في الصباح ؟ هذا الرجل يأتي باستمرار في كل حملات التفتيش ومهمته الرئيسية هي استفزازنا ، وكان خلال نوبة حراسته لا يترك باب الزنزانة ينظر من ثقبها ليرى ما نفعل ، وإذا غابت عينه اليمنى أو اليسرى عن ثقب الزنزانة فهو لا يستطيع أن يرى بعينه معا من هذا الثقب الصغير - يتصنت علينا ليسمع ما نقول دون أن نراه • وكنا على حذر دائم منه ، ورغم مقاطعتنا له تماما إلا أننا كنا نحفظ بأحد الخيوط معه ، وكان خيطنا هو **وليم اسحق** الذي بدأ حوارا معه ، تبيننا منه أن المسألة لم تكن مجرد تفتيش مفاجيء استفزازي ، وإنما هو أمر أخطر من ذلك بكثير ، صاح وليم ينادي :

- يا شاوبيش (٠٠٠) « اسم الحارس الآخر الذي لم يحضر » •

- عاوز أيه يا مسجون ؟

- الله •• هو أنت • ؟

- لا •• خيالى •

- وهو الخيال بيتكلم برضه ؟

- عايز أيه ؟

- خلاص بقى ، كنت فاكرك الشاوبيش (٠٠٠) •

قال الرجل بضيق :

- لا يا سيدى •• جيت اسلمه قالوا لى ما تسلمهوش واستمر أنت •

- ليه هو • عيان ؟

قال ورنه الغضب في صوته •

- عيان ايه ده زى الطور •

قال وليم وهو يضحك •

- والله ما لهم حق •• بوظوا مشروعاتك •

- مشروعات أيه ؟

- يعنى •

- يعنى أيه يا مسجون •

- يعنى •• أنت برضه لسه متجوز جديد •

اصابت الكلمة الرجل في الصميم • وقال بأسى وحزن :

- وأنا كنت جاهز على الآخر !

- ما هو أنت ممكن تستحمل .. لكن هي بقي ..
- قال الرجل بانزعاج ..
- هي آيه ؟ .. ما هي تستحمل برضه .
- على العموم ، تفكرنيش .
- ما أفكركتي بايه ؟
- لا مالوش لزوم .. أضايقك ..
- تضايقتي ؟ ازاي ؟
- أصل أنا حصلت لى ظروف كده زيك ..
- وبعدين ؟
- فى يوم كده كنت جاهز زيك .. ومراتى منتظرانى .. وما روحتش ..
- اشتد انزعاج الرجل وقال :
- حصل آيه بس .. قول .. ؟
- حصل اللي حصل بقي ..
- ويكمل ولم
- على العموم ما نشيلش هم .. مش كل السقات زى بعض
- آيه بس الى حصل .. ؟
- رأسها وألف سيف لازم تقتطلق ..
- يا ساتر للدرجة دى ..
- أصل ما عندكشى فكرة .. ألت مش زى الراجل .. لما تجهر ..
- لازم يحصل ..
- طب واذا ما حصلش .
- والله بقي .. مش عارف أقول لك آيه .
- يا نهار أسود .. طب دنا مسافر بكره .
- مسافر .. فين ؟
- أنا عارف قالوا لى أعمل حسابك بكره علشان تسافر فى مهمة من الصبح .
- واسمعنى انت يعنى ؟
- فيه سجانة تانيين وضباط .. راح يسافروا .
- همه راح ينقلوا السجن والا آيه ؟
- آيه بتنهر ؟
- على العموم ما تاخذش فى بالك .. راح تتأخر كثير .. ؟
- أنا عارف راح اتهبب قد آيه .. الله يخرب بيت بتوع السياسة ..
- وبتوع السياسة مالهم .. ؟
- ادرك الرجل انه قد استدرج ، عرفنا نحن أننا سوف نرحل فى الصباح الى أين ؟ هذا ما لا نعرفه . هل يعرف الرجل ؟ واستمر وليم فى حوارهِ الطريف معه . وبدأ مجدى فهمي يعاونه الزملاء فى الاستعداد للرحلة

الى الجاهل صباح الغد • أخذوا في تخبئة ممتلكاتنا من نقود وكتب
لأخذها معنا • سلاحنا الدائم معنا هو الكتب • ونحن دائما جاهزون
للرحيل نأخذها معنا أينما نذهب وبوسائلنا الخاصة •

ويستمر وأيم اسحق في حوارهِ مع السجن :

- وراح يودوا الاخوان المسلمين فين ؟
- ما أعرفش • أنا قلت حاجة ؟
- ولا أنا سمعت حاجة •
- أمال بتسأل عن أيه • • ؟
- يا شاويش (• • •) احنا رجاله وانت عارف •
- وأنا مالي • • رجاله ولا مش رجاله • •
- يعني رقبتنا ولا يمكن نقول ان احنا عرفنا منك حاجة
- حاجة أيه ؟ وأنا قلت حاجة ؟
- يعني • • احنا برضه بنفهم • •
- وفهمت أيه ؟
- فهمت اننا راح نترحل بكره •
- وفهمت من مين ؟
- يعني • • الكلام أخذ وجاب معاك • •
- لكن أنا ما قلتش حاجة • •
- يا راجل واذا كنت قلت • • احنا رجاله • • رقبنا يا شاويش (• • •) -
- ويرد الرجل مستعظما • •
- لكن أنا عملت فيكو كثير • •
- يا راجل ما تقولش الكلام ده • • احنا اخوات • •
- ويستطرد الرجل بنادم :
- صحيح يا أخى • • لسانك حصانك ان صنته صانك •
- يا راجل ولا كائنسى سمعت حاجة • • لكن راح يرحلونا قين ؟
- لا ما أقدرش أقول بقى ؟
- على العموم • • يعني راح نعمل أيه لو عرفنا راح نترحل قين ؟
- ويرد الرجل يود لم نعهده من قبل • •
- ريقا معاكو • •
- أهو سجن زى كل المسجون ؟
- ميق عارف • •
- حيكون أيه يعني • • أيو زعيل ؟ • • كنا هناك • •
- يا ريت • •
- قيه الكتر من أيو زعيل ؟
- أيوه قيه • •
- قين ؟

- وراء الشمس •

وانصرف الرجل ، وعبثا راحت كل محاولات وليم لمعرفة هذا المكان الذى يقع وراء الشمس • واخذنا نضرب أخماسا فى أسداس • ربما سنرحل الى معتقل الطور ؟ لكن معتقل الطور يستقبل منذ العهد الملكى أفواجا من المعتقلين وأصبح مثله مثل كل السجون • ولم نصل الى تحديد هذا المكان الذى سنرحل اليه صباح غد والذى بقم وراء الشمس • كان من الضرورى أن ننقل هذا الخبر الى زملائنا فى الزنزانة المجاورة • وصاح وليم بأعلى صوته :

- دكتور شريف حتاته •

وصاح السجنان :

- اسكت يا مسجون •

- يا شاويش عاوز أسأل الدكتور شريف على اسم دوا •

- طيب قول وأنا أسأله •

- أصل اسمه بالانجليزى ••

ويصيح شريف من الزنزانة المجاورة •

- فيه ايه يا وليم •• مالك ؟

ويقاطعهما السجنان :

- اسكت يا مسجون أنت وهو ••

ويقول وليم :

- يا شاويش طيب هات ورقة وقلم علشان أكتب اسم الدوا للدكتور

شريف •

ويطير صواب السجنان ويصيح بأعلى صوته :

- يا نهار أسود •• ورقة وقلم أنت عاوز تودينى فى داهية •

ويقول وليم :

- طيب تعالى أسأله أنت

ويحضر السجنان ليعرف اسم الدواء ويطلبه من الدكتور شريف ، ويقول له وليم كلام باللغة الانجليزية لا يستطيع السجنان أن يستوعب كلمة منه • وأخيرا يقترح وليم أن يطلب من الدكتور شريف أن يقف على «جرذل البول» وسيقول له اسم الدواء أمامه • يقبل السجنان الاقتراح بعد أن يطلب منه بالحاح أن لا يقول له شيئا عن مسألة ترحيلنا • وينقل وليم الخبر الى الدكتور شريف حتاته بالانجليزية ويدور بينهما حوار بالانجليزية ، سريع ولكنه ينتهى الى اتفاق حول ضرورة مواجهة وضعنا الجديد بوحدة تامة لا تسمح بأى فرصة لاستغلال الخلافات السياسية بيننا • كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا وكنا قد أعدنا أنفسنا للرحلة الى الجهول ، الى وراء الشمس كما

وصفه السجن • أخلينا كل المخابيء من ثروتنا الثمينة من الكتب ،
وقصنا بتخبئتها بوسائل خاصة تتبع عند الرحيل • وبدأ دور مجدى
همى المعروف • أخذ يحدثنا بطريقته العبقرية فى رفع معنوياتنا وشحذ
هممنا ، وتأكيدها إيماننا بالقضية العادلة التى وهبنا حياتنا من
أجلها ، قضية مصر الحبيبة وسعها العظيم وترابها المقدس • ثم
أخذنا نردد نشيد بلادى • بلادى • ونغنى أغانى سيد درويش • ومع
الآنسة الأولى لشمس اليوم الذى سنرحل فيه الى **الجهول** كنا نغنى :
طلعت ياما أطل نورها ، شمس الشموسه ، نعم ما أطل نور الشمس الذى يجدد
الحياة حين يعطى إشارة العمل للكادحين • ما أحلاه حتى لنا نحن الذين
لا نعرف حتى هذه اللحظة ، أى مكان هذا الذى سنرحل اليه ، هذا المكان
الجهول الذى يقع وراء الشمس • •

كيف رحلنا ؟ وإلى أين ؟

الى الرسالة المقبلة يا حبيبتي ، ،

٢٠ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٢)

حبیبی

الایمان ، الالتزام ، الیقین ، الانتماء ، كلمات تقداولها كثيرا ادبیات
السیاسة والفكر والایدیولوجیة . والمناضلون هم أكثر الناس ادراكا
وعیا بدلالاتها لأنهم یعیشونها ، لكن المحن المختلفة التي بتعرض
لها المناضلون ، وبصفة خاصة فی السجن تجسد أمامهم كل ما تعبر
عنها من مسئولیة . فان تكون مؤمنا بفكرة ، ملتزما بالنضال من
أجلها ، وعلى یقین من انتصارها ، وتحمل مسئولیة الانتماء اليها
وأنت خارج السجن أمر مختلف تماما عنه وأنت داخله . فی السجن
تجد نفسك أمام اختبار حاسم أما الاستمرار مهما كانت التضحيات ،
أو الانھیار والاستسلام . والثوری انسان تمر به لحظات ضعف
كما تمر بكل انسان ، لكن ما یفرق الثوری عن الانسان العادی ، هو
عدرته على التغلب على تلك اللحظات من الضعف ، بالتغلب على الذات
وهذه هی البطولة .

ولحظات الضعف التي مرت بی وبزملائی خلال الساعات القلیلة التي
سبقت ترحیلنا الى « وراء الشمس » كانت من أقسى اللحظات التي مرت
بنا خلال السنوات السابقة ، فی سجن مصر ، ولیمان ابو زعبل ،
ولیمان طره ، كدنا نصل الى یقین باننا ذاهبون فی مكان لاتمتد
اليه الا ید البطش والارهاب والتعذیب حتی الموت . ولم یكن أمامنا كی
نجتاز تلك اللحظات الرهیبة من الضعف الانسانی الا ان نؤكد من
جديد المعانی العظیمة التي تحملها كلمات الایمان ، والالتزام ، والیقین ،
والانتماء تارة بمخاطبة عقولنا ، وقد تولیت أنا هذه المهمة ، وتارة
بمخاطبة الوجدان ، وتولاها مجدی فهمی بأسلوبه الساحر وتارة باستنارة كل
مكونات الانسان الخیرة وقام بها ولیم اسحق ، ثم بحماس الشباب
واندفاعه وكان محمد خلیفه - عمره یومذاك ١٩ سنة - ونحن نردد
وراء الأناشید الثوریة والوطنیة ، ثم وحتى الدقائق الأخیرة لمعرفة المكان
الذی سنذهب اليه ، باستعادة مواقف بعض الرواد الأبطال الذین عرفتهم
البشریة فی مختلف المیادین السیاسیة والعلمیة والدینیة . هكذا قضینا
الساعات الأولى من صباح یوم ترحیلنا بعد فتح باب الزنزانة ، كان
المأمور على رأس الحملة التي قامت بالتفتیش بطریقة عادیة تماما .

لاحظ المأمور وجود رصاد ورق محروق فى « جردل البول » هز رأسه
وابتسم ابتسامة حبيثة وقال :

- آيه الورق المحروق ده ؟
 - كفا بنعمل شأى .
 - شأى ولا شيوعية ؟
 - ظريفة .
 - عجبك ؟ .
 - تعجب الباشا . .
 - ما خلاص مفيش باشوات
 - كل سنة وأنت طيب
 - قصدك آيه ؟
 - قصدى اللى قلت
 - والمعنى فى بطن الشاعر طبعا .
 - فى أى بطن تعجبك
 - كلام يحاسب عليه القانون .
 - قم بواجبك
 - غلبت وغلب غلبى معاك
 - ولسه
 - وابتسم الرجل ابتسامة مأكرة حاقدة ، وقال بصوت كرىه :
 - كل واحد يلم هدومه راح نرحلكو من هنا
 - هين ؟ .
 - راح تعرف لما توصل
 - وتحرك الرجل بخطوات متناقلة نحو باب الزنزانة ، وقال :
 - سييوهم ياخدوا الورق اللى عاوزينه . . هو مين هناك راح يقرأ
- مجلات** :

- ومسال سجان :
- والكتب يابيه ؟
- ياخدوها معاهم . . مفيش أى خطر منها هناك . .
- ويستلهد :
- وكمان اذا لقيتوا منشورات سييوها لهم . . لاضرر منها هناك . .
- الحظارة بقى تجيبوا غيرها .
- ويسرد عليه مجدى فهمى بتحدى . .
- طول مانيتا نفس . . لن يتوقف نشاطنا .
- ويقتصرف الرجل مسرعا . . بينما يقوم السجانة بتفتيش شكلى . .
- ويهس ضابط صديق :

– الواحات الخارجة ..

ويهمس آخر :

– شدوا حيلكو .. ربنا معاكو ..

الواحات الخارجة ! من هو هذا الغاشي الذي تفتق ذهنه الشرير عن فكرة **نفينا في قلب الصحراء** . كان الفاشست يلقون بالمناضلين الوطنيين الى **أفران الموت** . وهؤلاء الفاشست ، هل بسوقونا الى الموت جوعا وعطشا هل ددروا لنا الموت بسم **الثعابين في الصحراء** . وانخبهنا فجأة على صوت سجان شرير يقول :

– لدغة « **الطريشة** » هناك هسى والقبر على طول ..

وترنسم ابسامة هادئة على وجه **وليم اسحق** ويقول :

– مين عارف .. يمكن أول لدغة « **طريشة** » نكون من نصيبك . وتظهر ملامح خوف على وجه هذا السجان الجبان . لحظة صمت رهيب .. يقطعها صوت **الضابط الصديق** :

– يا جماعة ما تسمعون كلام السجان ده .. مش للدرجة دى . ويصيح في السجانة :

– يالله بقى .. مش خلاص ؟

ويلتفت الينا ويقول بصوت ودود :

– شوية كده .. ارتاحوا .. لغاية ما ننادى عليكو ..

وتمضى أكثر من ساعة ، لم نتوقف خلالها عن الحديث بعد أن أغلقت علينا الزنزانة من جديد . **مجدى فهمي** بأسلوبه البسيط المقنع يؤكد لنا أن النظام أضعف من أن يقوم بعملية إبادة جماعية لنا ، فمثل هذا العمل الاجرامى لايمكن أن يمر بسهولة ليس فى مصر فقط ، وانما ايضا فى العالم التقدمى . ويذكرنا بموقف القوى التقدمية ومساندتها لنا خلال **الاضرابات عن الطعام** التى قمنا بها **وليم اسحق** بصوته الانسانى العميق بحدثنا عن بطولات الذين استشهدوا من أجل أفكارهم وآرائهم . **ومحمد خليفه** بصوته الجمهورى الذى يفيض شجاعة وحيوية ينشد وترتفع أصواتنا وراءه تقول بكل التحدى ..

– نستقونا فى المنافى .. واملأوا منا السجون .

سوف تأنيكم ليالى .. برقها عصف المنون

ثم تنضم أصواتنا الى أصوات زملائنا فى الزنزانة المجاورة ..

بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى .

وتفتح الزنازين .. وتستمر اصواتنا جميعا تردد من الاعماق مصر

انت اليوم حرة .. فوق جبين الدهر درة .

يا بلادى عيسى حرة .. واسلمى رغم الاعادى .

وبين صفين من السجانة الذين يحملون **البنادق والرشاشات** ، تعلو متافاتنا بحياة مصر وشعب مصر ، وبالديمقراطية ، والحريات السياسية ،

اننظار ترحيلهم تمتزج مع أصواتهم التي تردد .. الله أكبر والله الحمد ..
وتصل أصواتنا الى أسمع عدد من **الأخوان المسلمين** الذين سبقونا في
وبالقرب منهم جلسنا نتبادل معهم النظرات الودودة والكلمات الخاطفة
المشجعة (كنا قد نظمنا معهم مناقشات سياسية ساكتة لك عنها في
رسائل مقبلة) ..

وكان **مدير الليمان** يقف منقوسا كالديك الرومي ، يحيط به عدد من
السجانة يحملون **سلاسل حديدية** ، طويلة ، وغليظة ، وعدد آخر يحمل
مطارق وسنادين ، وارتفع صوته المرتعش يقول :

- أي نوع من المقاومة ستقابل **باطلاق الرصاص فورا** .
وترتفع أصواتنا :

- دماؤنا فداؤك يا مصر

ويعود صوت المدير يردد :

- أي خروج على النظام .. معناه عصيان ، والعصيان في السجن

يقابل **بضرب الرصاص فورا** .

ماذا يريد المدير من وراء ترديده هذه الكلمة ؟

هل تبدأ مؤامرة أبادتنا **باطلاق بعض الرصاصات المميته** لبعضنا
لأرهاب من يبقى حيا . ترديد هذه الكلمات اذن هي محاولة لاستمرازنا
وجرنا جرا الى **المؤامرة** . وبسرعة اتخذنا قرارا بالتوقف تماما عن
التهاتفات وترديد الاناشيد . ومضت دقائق في صمت رهيب ساد الجميع ،
المسجونون المساقون الى « **وراء الشمس** » والسجانة الذين يحرسونهم ،
والضباط الذين لا يعرف أكثرهم ما يجري وما سوف يجري لنا . حتى
المدير نفسه توقف عن اصدار الأوامر واطلاق كلمات التهديد . صوت قطار
يأتي من بعيد ببعد هذا الصمت الذي ران على الجميع ، ودخان أسود
كثيف يخرج من مدخنة القطار ليغطي سماء حوش الليمان ، ويتلاشى بسرعة
في أشعة الشمس القوية حين يتوقف نعيق « **قطار الموت** » ويهمس صوت
الضابط الصديق ..

- أرجوكم .. نفذوا الأوامر .. وتوقفوا تماما عن التهاتفات والانشيد .

لقد صبح ما توقعناه اذن . هذا الصوت الودود المخلص نثق فيه .
حياتنا ثمينة ويجب أن نحافظ عليها . كانت هتافاتنا وانشيدنا من أجل
رفع روحنا المعنوية ولقد أدت دورها . سفا ، ان الانسان موقف . لقد
اخترنا بارادتنا موقفنا قبل السجن .. النضال من أجل حرية مصر وحق
شعبها في أن يحيا حياة كريمة . . وهو موقف ازداد اقتناعنا به خلال
للسجن رغم التعذيب والأرهاب ، ولن نحيد عنه حتى آخر لحظة من
حياتنا ، وفي هذه اللحظة لأخرجة التي تتعرض فيها حياتنا للخطر لن
يكون تصرفنا « دون كيشوتيا » . نعم لن نساوم على أفكارنا ، ولن نستسلم

للارهاب • ولكن يجب أن ندرك أن شُعرة واحدة بفصل بين الموقف النورى وبين الموقف المغامر • وقررنا أن ننفذ نصيحة الضابط الصديق • وارتفع صوت المدير فى محاولة أخرى لاستفزازنا وجرنا الى معركة الموت؛

- أكرر مرة ثانية •• أى حركة من أى مسجون ستقابل بضرب الرصاص •

وبلنفس الى حاملى البنادق والمدافع الرشاشة :

- الجنود •• فى وضع الاستعداد ••

ومى لحظة رأينا أفواه البنادق والرشاشات مصوبة الى صدورنا •• ويسود الصمت الجميع •• لكلمة واحدة من أحد •• بل ولا حركة • نحن والاخوان المسلمون نجلس القرفصاء على الأرض • أمواه البنادق مصوبة نحونا • والجنود يحيطون بنا من كل جانب ، والقطار يقف بعيدا عنا ، وفجأة يبدد هذا الصمت الرميب صوت « البروجى » يعلن قدوم « اللواء » مدير مصلحة السجون وبرفته عدد من ضباط الجيش والسجون وعدد من الأفندية ضباط المباحث العامة والمخابرات • يتقدم اليهم مدير الليمان والمأمور •• يلفون اليهم التحية •• ويتقدمون جميعا نحونا • ويرتفع صوت غليظ ••

- انتباه ••

ونقف جميعا صفوفنا منتظمة ••

ويرتفع الصوت الغليظ مرة أخرى :

- أقعد ••

ونعود الى جلسة القرفصاء « الديز »

ويعود الصمت مرة أخرى ، لكن همسا يدور بين أصحاب « الكابسات » الحمراء والنياشين الكثيرة على صدورهم ، و « الأفندية » الذين تبدو عليهم البساطة اذا قورنوا بزملائهم القادمين بصحبتهم ، ولكن الحقيقة انهم هم أصحاب الامر والنهى • ويستمر الهمس دقائق تمر كالدهر ، نشعر خلالها بأن آخر أنفاسنا معلقة بما يدور بينهم من همس • ربما يعنفون مدير الليمان الذى لم ينجح فى تدبير مجزرة يروح ضحيتها عدد منا ؟ ربما يدبرون مؤامرة بديلة ؟ ويناقشون « أفضل » طريقة لاستفزازنا ؟ •• على أى حال لن نستجيب لآى نوع من أنواع الاستفزاز ، دون أى تفريط فى كرامتنا ، كما لن نقبل أى اهانة لافكارنا •

ورأينا على البعد •• واحدا من « الأفندية » يقبل نحونا ، الابتسامة الصفراء تكسو وجهه • يبدو أنه رجل مخابرات خطير ، ويصيح سجان بصوته الغليظ :

- انتباه ••

ونقف صفوفنا فى انتظار القادم • ويهمس الضابط الصديق :

— لا تستجيبوا لآى استفزاز ..

ويذهب سريعاً الى الاخوان المسلمين يبلغهم رجاءه .

ماهوذا « الأفندى » يسير بين صفوفنا فى خيلاء وغطرسة الجبناء ، ينظر لنا ، وبقف بين الحين والحين أمام واحد من الزملاء . واستمر هكذا دون أن ينطق بحرف واحد . لكن ابتسامته صفراء تكسو وجهه الجامد الخالى من أى تعبير ثم عاد الى « هيئة أركان حوب » وراح يتحدث معهم ، وساد لصمت مرة أخرى . التفت الينا الضابط الصديق وتبادلنا معه ابتسامات ودودة ، ثم تركنا واتجه الى حيث يقف الضباط الكبار والأفنديات بعد ن همس لنا :

— أروح أشوف الاخبار .

ما الذى كان يريد ، هذا « الأفندى » ؟ وما معنى صمته التام ؟ أنه سم يوجه الى أحد منا كلمة واحدة لاستفزاز ، فقط كان ينظر الى يونا ، ما الذى كان يريد أن يراه فيها ؟ أنه بالتأكيد لم يره يونا سبباً مما كان يريد أن يراه . لم يره فيها غير بريق التحدى والاصرار . وهؤلاء البشر يا حبيبتي جبناء .. أنهم بكل ما يماكون من دوات البطش والتعذيب والارهاب يجبنون أمام نظرة تحدى واحدة . لقد شهد الرجل عشرات من نظرات التحدى والاصرار ، قهل عدل عن تنفيذ مهمته التى جاء من أجلها ؟ ولماذا ؟ ربما استفظت فحشة نبضه من ضميره الميت فاستجاب لها انسانياً ، وربما جبن أمام نظرات التحدى التى وجدها فى عبوننا . ونرى من بعيد الاجابة على وجه الضابط لصديق القادم الينا من جديد بعد أن أصدروا اليه الأوامر التى لم سمعها . كنا نعرف ما يريد أن يقوله لنا من خلال تعبيرات وجهه ، كنا قد امتلكننا القدرة على أن نعرف ماذا تحمل لنا ابتسامته حين نكون انسانية ودودة . وحين تكون حزينة ، وعرفنا من ابتسامته كل شئ قبل أن يقول لنا :

— اطمئنوا أنا سأسافر معاكم ..

مهما يكن الأمر ، فإن وجود هذا الضابط الصديق معنا سوف يخفف كثيراً من آلام رحلة العذاب الى « وراء الشمس » .

قال لهم : ..

— أريد أن أسألكم كل الأوامر حتى وإنها الشار والسياسات . اتفقنا؟
— اتفقنا ..

وبدأت عملية اعدادنا للسفر الى الواحات ، عملية تستحق رسالة بكاملها . فالى الرسالة المقبلة يا حبيبتي ..

٢٢ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٣)

حبیبتی

فی حديقة الحيوانات ، يضعون الوحوش المفترسة فی أقفاص من الحديد
کی لا تفترس الناس الذين يتفرجون عليها . وفي السجون يضعون **المحكوم**
عليهم بالأعدام فی زنازين تشبه هذه الأقفاص ، ليس خوفا منهم على
الناس ، ولكن خوفا عليهم ! فمهمة الحارس الذى لا يفارق قفص المحكوم
عليه بالأعدام هى أن لا يعطيه فرصة **الانتحار** ! فهل كانوا يخافون على
الناس منا ، أم يخافون علينا حين كدسوننا مقیدین **بالسلاسل الحديدية**
الغليظة فی أقدامنا داخل أقفاص الوحوش المفترسة ، المحقة بالقاطرة
التي جرتها الى **الواحات** ؟ لا هذا ، ولا ذاك بالطبع ، وانما كانوا
يخافون أن نهرب ! **الشیطان** نفسه لا يستطيع أن يهرب لو قيدوه بالسلاسل
كما قيدونا ، ووضعوه فی زنزانة حدرانها من اسباخ الحديد الصلب ، وعلى
كل باب من أبوابها يجاس حارسان يمسكان **بالمدافع الرشاشة** وكل خمسة
أشخاص مقیدون **بمسالة واحدة غليظة** ، اذا تحرك شخص واحد فلا بد
أن يتحرك الأربعة الآخرون معه ، وفوق هذا كله فالقطار یجرى بسرعة
لا تقل عن ٦٠ كيلو مترا فی الساعة !

مازات أذكر بكل التفاصيل الصغيرة عملية اعدادنا للترحيل الى
الواحات . قسمونا الى مجموعات ، كل مجموعة من خمسة زملاء ينشدون
عليهم بالاسم من كشف كان فی بد المير . بعد أن يتجمع الخمسة یحيط
بهم ٤ سجانة وضابط ويذهبون الى ورشة الحدادة فی الليمان حيث یجرى
نق السلاسل فی اقدامهم ، فی سلسلة طويلة ، ثم یذهبون الى « الزنزانة »
فی القطار وفى كل « زنزانة » تكديست خمسة مجموعات . أى ٢٥ زميلا
فی زنزانة لا تزيد مساحتها عن ٢ x ١.٥ متر . جدرانها من أسياخ الحديد
الصلب ، وسقفها الواح سميكة من الحديد كذا أرضيتها العارية تماما الا من
الأوساخ والقاذورات . وبعد أن انتهوا من عملية تكبيل كل **الزملاء والأخوان**
المسلمين وتكديسهم فی « زنازين » القطار ، وقبل أن يتحرك القطار نحو
رحلة « المجهول » شؤنا دن خلال المقضبان مشهدا بشعا ترك فی أعماقی
حرحالن یندمل أبدا .

كان أصحاب الكبابت الحمراء على الرؤوس والنياشين الكثيرة على الصدور .
ومعهم « **الافنديات** » ومدير السجن یقفون بعيدا فی ركن من أركان حوش

الليمان ، وكان عدد من السجانة يحمل « العروسة » - التى تستخدم لجلد المسجونين - وينصبونها فى وسط حوش الليمان . وبعد قليل شهدنا اثنين من زملائنا المسجونين من هيئة تحرير « الطريق » - وقد كبلت أقدامهم وأيديهم بالسلاسل ، يجرحهم السجانة وعلى رأسهم المأمور . وعند العروسة يصدر المأمور أمرا بفك سلاسل أحد الزميلين وإعادة تقييده « بالعروسة » ثم يصدر أمرا بالجلد . أكثر من ربع ساعة كان سجانان يتبادلان ضرب الزميل بالكرباج على ظهره العارى تماما ، ولم تصدر عن الرجل آه واحدة أو صرخة . ثم أعادوا تكبيله من رجليه ويديه بالقيود الحديدية . وتكرر المشهد مع الزميل المسجون الآخر . لو أن هذه السياط نزلت على ظهرى ما تألمت مثلما تألمت فى تلك الدقائق . كنت أرى الألم يعتمر زملائى الذين يشاركونى القيد الحديدى . كنا نتبادل الألم ولا نستطيع عمل أى شيء حتى مجرد تشجيع الزميلين الذين تحملا ضربات السياط بتشجاعة نادرة . وتحدث كبير . كنا نعلم أنهما ينالا جزاء صداقتهم لنا وصلتهم بنا . وتبادلت مع مجدى فهمى الذى كان يشاركنى القيد الحديدى حوارا بالغ الأهمية فى دلالته ..

- انهما يؤديان ضريبة صداقتهما لنا .
- بالتأكيد بعد أن فشلوا فى الحصول على اعتراف منهما ..
- من أين يستمدون هذه الشجاعة النادرة ؟
- انهما وغيرهما ليسا سوى صديقين ؟
- وهما يتعاطفان معنا انسانيا فقط ؟
- ويتدخل ولیم اسحق - وكان فى سلسلة أخرى - :
- وهل لا يكفى هذا ؟ التعاطف الانسانى هو الأساس .
- وهل نفف هكذا مكنوفى الأيدي ؟
- ويضحك ولیم ، ويقول :
- ألسنا مكنوفى الأيدي والأرجل كمان ؟
- وأبادله ابتسامه من بعيد :
- ألسنتنا لم تصل اليها القيود الحديدية بعد
- ويتدخل مجدى فهمى :
- يمكن أن بسكتو « الآن » ، وإلى الأبد ..
- نامة احتجاج على الأنفل ..
- ربما تكون هذه الكلمة الدليل الذى لم يستطيعوا الحصول عليه
- منهما .. ويستطرد ..
- وربما تكون كلمة السر .. بعدها تنطلق ملوامة لأبغضنا كلنا
- أو بعضنا
- معك حق .. ليس أمامنا إلا أن نعتصر الألم ..
- ما يخفف آلام اللحظة .. أن تعايش المستقبل فى الوقت ذاته .

ويأتى صوت وليم اسحق الساخر :

- لحظة ونفوت ولا حد يموت .. ياعم درش .

وتهدأ نغمة التائرة قليلا .. لقد كنت أن ارتكب « حماقة » كنت على وشك أن أصرخ احتجاجا على تعذيب الزميلين هذا التعذيب الوحشى لجسد انهما صديقان لنا . ولو اننى فعلت ذلك فقد كان من المؤكد أن جميع الزملاء كانوا سبحتجون بمختلف الطرق ، الأمر الذى كان سيعطيهم مبررا لاطلاق الرصاص علينا . **مجدى قهوى** بهدوئه وسلوكه الموضوعى هو الذى منعنى من ارتكاب هذه حماقة التى كانت ستكون بالتأكيد إشارة البدء للمؤامرة التى كانوا يدبرونها وفشلوا حين لم يجدوا مبررا لها . وتنتهى عملية **جلد** الزميلين .. ونشهدهما يساقان مرة أخرى الى زنازين « **القنايب** » أيديهم مكبلة بالقيود وأرجلهم مقيدة بالسلاسل ، ومن ورائهم نشهد موكب الضباط الكبار والأفندية يسير ناحية مكاتب الإدارة ، وتزعق صفارة الفاطرة بصوت مزعج بينما تنفث مدخنتها دخانا أسود كثيفا ، يكاد يخفى أشعة الشمس الساطعة ، ايذانا ببدء الرحلة الى ما « وراء الشمس » .

الناس حين يسافرون الى بلاد أخرى يذهبون الى محطات السكك الحديدية أو المطارات .. لكن أمثالنا من البشر تاتى اليهم القطارات حيث يسكنون ، والناس يا حبيبتى مقامات ! لم يكن منظر القطار غريبا علينا ، فقد كنا نراه يوميا فى الجبل يملأ المساجين عرباته بالاحجار البيضاء التى يكسرونها من الجبل بالديناميت ، لكننا لم نر أبدا قطارا داخل حوش الليمان ، لكننا كنا نرى قضباننا ، وأذكر اننا كنا نسال عن سر وجود هذه القضبان التى لا تسير عليها قطارات ، وعرفنا أن الاحتلال البريطانى الذى قام « جنوده » بتشبيد هذا الليمان الضخم كان يستخدم القطار فى نقل الاحجار من الجبل الى موقع البناء ، اختصارا للوقت والتكلفة حتى تم تشبيد الليمان الذى لم يدخله القطار بعد ذلك الا من أجل أن يحملنا الى **الواحات** ! وكانت هذه أول مرة يخرج فيها القطار من الليمان محملا « ببشر » . وكانت هذه أيضا أول مرة يسير فيها قطار خاص فى بطن الجبل عرباته من زنازين ، وليست عربات بضائع فكل القطارات التى اخترقه ، كانت تحمل احجارا وليس « بشرا » ! **هكذا** إكأن الحال منذ **الاحتلال البريطانى** ، وكان هذا هو الجديد ! ومتى بعد الاستقلال وتوقيع اتفاقية الجلاء !

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشر ظهرا حين خرج القطار من بوابة السجن . كان من المألوف عند خروجنا فى موكب السيد اليومى الى الجبل أو العودة منه أن نرى أمام بوابة **السجن** عددا كبيرا من أهالى المسجونين يلوحون على البعيد لنوابهم الذين يلمحونهم خلال زجاجهم أو عودتهم فيطمئنوا الى أنهم ما زالوا على قيد الحياة . وكنا نرى أيضا **الأهالى** الذين

يأتون للزيارة ، ونرى باعة الفاكهة والمرطبات منتشرين فى المنطقة يقدمون للأهالى بضاعتهم • وكثيرا ما كان طابور العبيد ينتظر مرور القطار المتجه الى حلوان أو القادم منها • فمن المعتاد أن يتخطى الطابور قضبان مترو حلوان ، وكنا نألس كثيرا لركاب قطارات حلوان خاصة اذا استطاعت عيوننا أن تلتقط صورا غير واضحة المعالم لامرأة أو فتاة • كنا نرى كل يوم خلال ذهابنا الى الجبل أو عودتنا منه صورا من صور الحياة الشى لانتوقف ، فيزداد حننا للحياة ويزداد نعلقنا بها ، ويتضاعف أملنا فى أن نعود اليها يوما •

لكنهم فى ذلك اليوم حرمونا حتى من هذه الصورة الانسانية ، المنطقة خالية تماما من أى انسان سوى طابور طويل من الجنود يقف على الجانبين يبدأ من بوابة الليمان وينتهى عند بطن الجبل ، يحملون المدافع الرشاشة الموجهة اليها نحن الذين نقبع فى الأقفاص الحديدية وأقدامنا مكبلية بالقيود الحديدية ! وعلى بابى كل « زنزانة » يقف حارسان فى ايديهما المدافع الرشاشة ! والى جوار القطار الذى يسير ببطء شديد تجرى عدد من الخيول التى يمتطيها ضباط السجن ، تبطىء أحيانا وتسرع أحيانا أخرى • وعلى البعد يقف مدير الليمان ومأموره مع أصحاب الكابات الحمراء والأفندية ، ويسير قطارنا نحو المجهول بين قطارين أحدهما قادم من حلوان والآخر متجه اليها وقد أخليا تماما من الناس • ترى كم ساعة تعطلت خلالها أعمال الناس القادمين من حلوان أو الذاهبين اليها ؟ وهل يعرفون أسباب هذا التعطل ؟ ومن الذى يحملونه مسئولية تعطيلهم عن أعمالهم ؟ وتحمل القضبان التى اعتادت أن تحمل قطارات الاحجار قطار زنازيننا الى محطة مصر ، ولكن من خارج القاهرة وليس من داخلها • وهكذا سار القطار من ليمان طره حتى محطة مصر بين رمال كلها صفراء • ونباتات كلها شيطانية على سفوح الجبال ، والتلال • محطة مصر التى لا تتوقف فيها حركة ركاب الوجهين البحرى والتبلى كانت خالية تماما منهم • وعلى رصيف قطار الصعيد كان يقف طابوران من جنود البوليس يمسكون بمدافعهم الرشاشة ومعهم عدد من ضباط البوليس وعدد من « الأفندية » يروح ويجىء على طول الرصيف ، وينتشر هنا وهناك عدد من لابسى الجلابب واللبد الذين يعرف هوبتهم كل الناس ، جميعهم ينتظرون مقدم قطارنا ! على البعد كنا نرى مجموعات مكلسة من البشر ، فى انتظار الانتهاء من هذه الحالة الشاذة ليركبوا قطاراتهم • وما أن يقف « قطارنا » على رصيف الصعيد حتى نسمع صيحة مدوية لامرأة تبعد السكون الرهيب الذى فرضوه على الناس والمكان فى عز الظهيرة •

— الدستور • الدستور •

وكأنما أصابت هذه الكلمة الناس الواقفين فى انحاء المحطة بمس كهربائى.

«واذا بأصوات عديدة تعلو في قوة ، أصوات اهتزت لها مبان محطة مصر .

– الدستور .. الدستور ..

وترتفع أصواتنا من كل « الزنازين » – نحن والاخوان المسلمين في صوت واحد :

– الحرية .. الدستور .. الاحزاب

وفي لحظة واحدة تختل كل اجراءات الامن المشددة .. ولايستطيع البوليس المدجج بالسلاح ولاصيحات « الأفندية » من أن توقف زحف أهالينا والجماهير التي تعاطفت معها نحونا ونحن فابعين في « الزنازين » تنوعت الهتافات .. الدستور .. الديمقراطية ، الحرية للشعب .. وتوحدت أصواتنا بأصوات الأهالي والجماهير وهي تردد نشيدنا الخالد .. بلادي .. بلادى لك حبى وفؤادى ..

امتلات محطة مصر بالجماهير تردد معنا في حماس وقوة نشيد بلادى .. بلادى .. وقد أحاطت بالقطار من كل جانب ، ووقف عدد كبير من الأهالي أمام القطار كي لا يتحرك الا على جثتهم .. وبدأت أغرب مفاوضة في التاريخ بين أهالينا وبين رجال المباحث العامة .. تقدمت زميله يحيط بها عدد من الأمهات والزوجات والاخوات والأطفال للمفاوضة ، قالت :

– نريد فرصة لمقابلة أولادنا ..

ويقول رجل المباحث :

– ولكنى لا أملك ذلك

– اتصل برؤسائك

– عندى أوامر بعدم الاتصال

– الأوامر يمكن أن تتغير ..

– وما الذى يجبرنا على تغيير الأوامر ؟

– لن يتحرك القطار الا على جثتنا ..

وتجلس الأمهات على القضبان الحديدية ، بعضهن يجلسن القرفصاء ومن يحملن أطفالهن وأطفالنا ، وبعضهن يتمددن على القضبان ، وتقول الزميلة :

– فلنكن مجزرة أخرى من مجازركم العديدة ..

وتذهب زميله أخرى الى سائق القطار وتقول له ..

– انت المسئول لو تحرك القطار وقتل واحدا ..

ويرد السائق :

– يا ستنى ما تخافيش .. أروح فين من ربنا !

وتعلو أصواتنا من جديد نهتف بحياة الدستور .. وتنشد : بلادى ..

بلادى .. وتردد الجماهير والأهالي الهتافات والنشيد ، والحوار ما زال

مستمرا بين الزميلة ورجل المباحث الذى يتركها فترة قصيرة ويعود اليها مرة أخرى ويسأل :

- انتو عاوزين آيه علشان القطار يتحرك ؟
- أن نتحدث لبعض الوقت مع أولادنا ..
- ماسى .. نصف ساعة تكفى .
- وان يسمح لهم بأخذ ما اتينا به من اكل وملابس .
- موافق ..
- وأن نعرف أين ستذهبون بهم وكيف يعاملون ..
- الى **الواحات الخارجة** .. وسوف يعيشون فى خيام ..
- وكيف سيعاملون ؟
- ليس أسوأ من معاملتهم فى **الليمان** ..
- ومن يضمن هذا ؟
- هذا مالا أعرفه .. ربما زيارتكم لهم ..
- نريد تصريحاً بالزيارة .. غدا .. أو بعد غد .
- هذا مالا أملكه ..
- من الذى يملك ؟
- ادارة السجن ..
- مدير الليمان موجود ..
- ويهمس رجل المباحث فى اذن مدير الليمان الذى يقول :
- الزيارة حسب اللائحة .. من يستحق سوف يسمح له بالزيارة
- نريد استثناء من القاعدة ..
- ساكتب لك تصريحاً ..
- ليس لى ..
- لمن اذن ؟

وتتقدم احدى الامهات تحمل على كل يد من يديها طفلاً .. تقول :

- **الطفلين دول لازم يشوفوا أبوههم** .

ويطلب المدير ورقة ليكتب عليها اذنا بالزيارة بعد أن يسجل اسم الأم واسم زوجها . ثم أحد زملائنا « **مصطفى كمال خليل** » . كان قد قبض عليه فى نفس الموم الذى قبض على فيه ولم يكن قد مضى على زواجه أكثر من عامين . شهد مولد احدهما ولم يشهد مولد الآخر .

ومضت نصف ساعة أمضيها مع أهالينا فى أحاديث مختلفة ، ومتصلة والجماهير تحيط بهم تنظر إلينا بحب وعطف . ربما لأول مرة تتعاطف جماهير الماركسيين والاكوان حول موقف انسانى ، فنحن والاكوان مكبلون فى زنازين وراحلون نحو **الجهول** ، وربما كان هذا التعاطف الانسانى هو الذى وحد شعاراتنا الدستور ، الحرية ، الديمقراطية . ومن المؤكد

أنه خلق تقارباً بيننا وبين عدد كبير منهم فى النظرة السياسية - كما
سأتناوله فى رسائل القبله .

كان منظرنا غريباً - كقرود أو أسود أو نمور فى أنقاص حديدية -
نتناول الأكل والفاكهة من بين القضبان . المحظوظ منا هو من كانت والدته
أو زوجته أو أخته هى التى تزوره ، فقد استطاع أن يأكل كميات أكبر
من « طبخ » البيت الذى كدنا ننسأه وقبل أن يصادر لصالح الجميع .
ومع أن أخى المرحوم « مسعد » كان قد حضر لرؤيتى وأحضر معه كميات
من الأكل الجاهز ، « كباب » مثلاً ، حيث كان ما زال أعزباً ، فقد
استطاع أن يحصل لى من الاهالى على كميات من « المحشى » الذى لم أكن
قد ذقتَه منذ سنوات ! ودار بيننا حوار سريع لم يتسع سوى لكلمات
معدودة عن أخوتى أو زوجتى ، قال :

- ميمى لم تستطع الحضور .
- مش مزم . لكن لماذا ؟
- لم التق بها منذ مدة .
- والأخوة .
- كويسين . كل واحد فى حاله .
- المهم أنت عامل إيه ؟
- كلفت بالاتصال بكم .
- عندك آخر الأخبار ؟
- ناولنى علبة سجائر هوليود « لارج » وقال :
- فيها كل ما تريحوه .
- ثروة عظيمة ؟
- أعظم ما تتصور .

ومن بين قضبان « الزنزانة » كنت اعانقه . . بينما كانت صفارة القطار
تصرخ تعلن استئناف الرحلة ، ودخان مدخنته الكثيف « يهب » بظلاله
السوداء أروع صورة انسانية شهدتْها محطة باب الحديد . وتحرك القطار
وارتفعت هتافات جميع المسجونين والاهالى بحياة الدستور ، والوحدة
الوطنية ، وما كاد يغادر محطة مصر حتى ارتفعت أصواتنا بتشجيعنا
الحبيب الى بلوتينا : بلادى . . بلادى . .

وحين مرق القطار بمزلقان « السيتية » تبادلت مع مجدى فهمى نظرات
خاصة . هنا فى حى بولاق عاش مجدى فهمى وتناضل مع رفاق أعزاء
من عمال السكة الحديد وشعبا الخيمة ، وهنا ولد وعاش مع أمه وأخوته ،
ومع أهالى الحى الأيسطاء له ذكريات انسانية . وشوارع ايقن الرشيد حيق
نعبر مزلقان السيتية ، فى حارة حيية الحكيمة عشت أجمل مستقوات
حياتى بعد أن اتيت مع لى وأخوتى من بور سعيد عام ١٩٣٦ .

كنت ما زلت طالبا في مدرسة تقع في نفس شارع السبتية . في هذا البيت ماتت أمي مبكرا بعد حضورنا الى القاهرة بأربع سنوات ، وكنت قد انتظمت في صفوف المناضلين من أجل مصر وسعيا . يالها من أيام . . وجدت دموعا تجري من عيني ، وأخرى من عينا مجدى . . قلت له في محاولة لتخفيف آلاما أعانيها ويعانيها هو أيضا :

— فاكرا يا مجدى البنت الطالبة في مدرسة الأميرة فوزية ؟
ابتسم بهدوء وقال :

— وهو حد ينسى احسان . . كانت آية . . !

كانت « احسان » طالبة في مدرسة الأميرة فوزية الثانوية التي تقع أمام الورش الأميرية بجى بولاق . وكانت تسكن مع أهلها في شارع ابن الرشيد على ناصية حارتنا « حارة حبيبة الحكيم » . لم أكن وحدي الذى انتظر نزولها من بيتها صباح كل يوم وهى ذاهبة الى مدرستها سيرا على الإقدام . كان كثيرون غيرى ينتظرون مرورها ، على طول شارع ابن الرشيد حتى مزلقان السبتية ، ثم على طول شارع السبتية وعلى تقاطع ابن الرشيد مع الشارع الذى تقع فيه المدرسة أمام الورش الأميرية كانت فتاة بارعة الجمال ، خدودها كحمر الخوخ ، وقوامها فارغ ، وتقاطع وجهها . . سبحان الخلاق . لم أسعر يوما بأن واحدا من المعجبين بها نطق كلمة واحدة تجرح شعورها ، كان بعضهم يحييها بأدب شديد واحترام كبير ، وترد عليهم التحية وابتساما ودودة تكسو وجهها الجميل :

— يا ترى اين هي الآن يا مجدى ؟ .

— نسيت أسأل أمي

— وأنا نسيت أسأل مسعد . .

— آخر مرة شفتها امتي ؟

— يمكن من خمس سنين (٣ فى السجن و ٢ قبل السجن) .

— أنا أسعد حظا منك . . شفتها قبل القبض على بأيام .

— اتجوزت ؟

— وخلفت .

— ولسه حلوه ؟

— ولا حظي من الأول . .

— لزوم بحربة حب عظيمة ؟

— الحب الحقيقى يضمى على الانسان جمالا .

— مغنويا . . نعم . . لكن بيولوجيا ؟ .

ويبتسم مجدى ابتسامته الودودة :

— طبعا . . الحب يعيد تكوين الانسان نفسيا وبيولوجيا الى حد

كبير .

وتمضى الدقائق .. أصوات الزملاء لا تتوقف ، تردد نشيد بلادى .
بلادى . واختلس أنا ومجدى دقائق للحوار . ونجد أنفسنا فى محطة
الجيزة التى كانت خاليه تماما من ركاب وجه قبلى ، ورجال البوليس الذين
يحملون مدافعهم الرشاشة امتلأت بهم ساحه المحطة . وترتفع ايدى
الزملاء من بين قضبان أقفاصهم الحديدية تلوح للأهالى الذين يقفون بعيدا .
دقائق معدودة ويغادر القطار محطة الجيزة . وما أن يدخل محطة الفيوم،
ثم بنى سويف وباقى المحطات حتى أسيوط ، حتى ترتفع أصواتنا بالهتافات
والأناشيد . كان القطار يتوقف فى كل محطة ما بين دقيقتين وخمس دقائق
على الاكثر . وعلى كل محطة كنا نجد جنود البوليس والمخبرين الذين
انتشروا فى انحاءها . والجماهير الواقفة لترى « ما الحكاية » ربما كان
قطار « تشريفه » ! .. لكن « انفار » التشريفه غير موجودين تبقى
الحكاية مس تشريفه بعضهم دفعة الفضول ليرى بنفسه
لماذا هذا الحشد من البوليس والخفر والمخبرين والضباط ، وبعضهم كان
يعرف « الحكاية » وهؤلاء هم الذين جاؤا مع الزملاء من المحافظات والقرى
والنجوع ، بدليل أننا كنا نجد فى بعض المراكز من يفابلنا بهتافات
معينة عندما يدخل القطار محطاتها . يعلق مجدى فهمى :

- يبدو ان الزملاء نشطين فى الصعيد ..

- ولكن ليس فى نفس المستوى ..

- نرسل اليهم ملاحظاتنا ..

وعندما دخل القطار محطة أسيوط كان الظلام يزحف يبدد أسعة الشمس،
وكانت حناجرنا قد أجهدت الى الدرجة التى جعلتها عاجزة عن تادية
وظيفتها تماما . لقد أدت مهمتها على طول الطريق من القاهرة حنى أسيوط .
حيث يوجد بشر ، وزرع وخضرة وحياة .. فشكرا لها ولندعها لتستريح
بل وتستريح أجسامنا المجهدة المتعبة . فالطريق من أسيوط حتى محطة
المواصله ليس به سوى الرمال والكتبان والنباتات السبطانية المنتشرة على
سفوح الجبال والتلال .

كاد الليل ان ينتصف عندما وصل القطار الى محطة الواحات الخارجة .
لقبدا رحلة السيارات الى جناح حيث يقع السجن الجديد ، كانت ليلة
تستحق الرسالة المقبلة يا حبيبتي

٢٨ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٤)

حبيبتي

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساء حين وصل القطار الى محطة « المواصلات » وهي المحطة الوحيدة التي لم نر فيها جنود « التتريفة » وضباطها الذين شهدناهم على كل المحطات التي مر بها الفطار من القاهرة حتي هذه المحطة التي تفجع في قلب الصحراء . كان في انتظارنا عدد من سيارات الجيش اللوري بها عدد من السجانة وضباط السجون على رأسهم الضابط (٠٠٠) وهو من الضباط الكبار في مصلحة السجون ، استرعى انتباهنا « السوط » الذي يحمله وتوجسنا شرا عاجلا . وحين قال لنا :

— أهلا وسهلا . . . « لم نطمئن لترحيبه فلم نرد عليه » .

كان من الصعب أن نتبين تعبيرات وجهه فالظلام دامس الى درجة كان يصعب علينا أن نرى بعضنا البعض بوضوح . بعد فترة أمضيناها في « الزنازين » جاءوا بعدد من الكلوبات يحملها سجانة حتي نستطيع أن ندبين موقع أقدامنا وحتى نستطيع النزول من « الزنازين » لنركب العربات وبدأت محاولة نزول أول خمسة أشخاص مكبلين بالسلاسل الحديدية ، وكنت من بينهم . سلم « الزنزانة » يبعد عن الأرض بحوالي متر على الأقل ، طول السلسلة الحديدية المقيد بها الزملاء الخمسة لا يزيد عن ثلاثة أمتار ، ولا يزيد طول السلسلة بين كل زميلين عن نصف متر ، معنى هذا أن مجرد برول الزميل الأول من على ارتفاع متر سوف يجر وراءه الزملاء الأربعة ، الأمر الذي يعرض الجميع — على الأقل — لكدمات وجروح ، فمن يضمن أن لا يقعوا على شريط السكة الحديد أو الأحجار التي بجانبه . كان الضابط يقف الى جوار الزنزانة التي كنت بها وأنا أحاول مع زملائي الأربعة النزول منها ، وشهد صعوبة نزولنا ونحن مقيدون بالسلاسل الحديدية ففظفينا اليها حائرا ولم يتكلم . اقترح أحد الجنود أن يأتوا بكرسي فنزل عليه واحدا وراء الآخر ، فقلت بمسخرية :

— كرسي ما ينفعني . . . عاوزين كنبه .

ضحك الضابط . . . بصوت عال وقال :

— أو سرير بسوسته علشان ما حدش ينجرح .

أنست اليه فقلت :

— هو فيه حد مجنون يفكر في الهرب من هنا !

- اقترحك ؟
- تفكروا السلاسل ...
- ما هي دي المشكلة ...
- مشكلة؟ راح بفضل كده على طول ؟
- لا طبعا ... لكن كان لازم يكون فيه استعداد .
- استعداد لأيه ؟
- شاكوش وأجنحة وسندان ، وحداد ...
- ولاول مرة أدرك أن هذه السلاسل الحديدية لاتتك الا بقطعها . السلاسل التي كنا مقيدين بها قبل ذلك بعد أن حكم علينا بالاشغال الشاقة كان فكها لا يحتاج الى كل هذه الأدوات . والقيود الحديدية التي كانوا يقيدون بها أيدينا كانت ثقيل وتفتح بمفتاح خاص يحتفظ به الضابط المسئول عن « الترحيلة » سواء كانت مكونة من فرد واحد أو عدد من الأفراد . وهؤلاء الذين قيدونا بهذه السلاسل كيف كانوا يفكرون ؟ بالقطع لم يفكروا فيما سوف نعانيه خلال هذه اللحظة وهذا من « حقهم » ، فنحن بالنسبة لهم لسنا سوى « بضاعة » مطلوب « شحنها » من مكان الى آخر ، وليس من شأنهم أن تصل سليمة أو مكسرة . ولكن ألم يفكروا في أولئك الذين سيتسلمون « البضاعة » وفي معاناتهم عند استلامها ؟ كان واجب الزمالة يقتضى - على الأقل - أن يفكروا في هذا الأمر . ويبدو أن مأمور السجن الجديد ... كان يفكر بهذا المنطق « الوظيفي » .
- قال وهو يضحك ...
- لكن انتم ازاي عرفتوا تطلعوا عربات القطار ؟
- كانت المسافة بين سلم العربة والارض لاتزيد عن ٢٠ سم
- وطبعا هما مش عارفين الوضع هنا ...
- ويعلق أحد الزملاء بسخرية ...
- تلاقى واحد منهم خطى هنا ...
- ويقول الضابط بمرارة ...
- وأيه اللي راح يجيبهم هنا ... من وراء مكاتبهم ...
- ويقول زميل :
- والا من بيوتهم المكيفة ...
- وثان
- والا من سهراتهم الحمراء ...
- وثالث
- وراح يتركوا صفقاتهم المربية لين ؟
- وتستمر التعليقات الساخرة بين ضحكات الزملاء ويشاركهم الجنود أحيانا .

- ويتنبه المأمور ، فيقول ضاحكا :
- أيه يا جماعة انتو ناويين نحبسوني معاكم ولا ايه ؟ .
- ويقول زميل :
- يعنى .. مفيش فرق كبير ..
- وتصدر عن المأمور تنهيده ويقول :
- والله ما فيه فرق .. المهم عاوزين نحل مشكلة نزولكم ..
- ويصدر أوامره الى بعض الجنود بالذهاب الى « المعسكر » لاختصار حداث
- ومعه الآلات اللازمة لقطع السلاسل الحديدية .
- المسافة بين محطة المواصلة « وجناح » حيث يقع السجن الجديد تقطعها
- العربة فى حوالى ساعة ذهابا وإيابا قضاها المأمور فى التعرف
- على الزملاء . راح ينتقل بين عربات القطار ليتعرف علينا وعلى
- الاخوان المسلمين . وعند كل زميل أو أخ بدور حوار سريع :
- الدكتور شريف حناتة .
- انت قريبى ..
- زكى مراد المحامى ..
- لا انت مش قريبى
- ازاى ابقى قريبك وأنا نوبى .
- محمد شطا .. عامل نقابى ..
- باين عليك خطر ..
- وليم اسحق قناتان
- مغنى ؟
- لا .. رسام ..
- ضمنا صورة بالزيت ..
- وينتقل الى الاخوان المسلمين
- بكباشى فؤاد جاسر
- بوليس
- لا جيش
- صاغ جمال ربيع ..
- طبعا جيش ! ..
- دكتور كمال خليفة
- طبيب ؟
- لا مهندس
- هدوء الصحراء يلف المكان . أى همس يمكن أن تسمعه . وهواء
- الصحراء يلفح الوجوه المتعبة المنهكة ، ونشعر بان الدم يجرى فيها
- من جديد وهى تمتزج بصوت المأمور الودود خلال تعرفه علينا .

ونحنس ببعض الأطمئنان ولكنه مشوب بالحذر . فنحن حتى الآن
لا نعرف ماذا ينتظرنا هناك في السجن الجديد . لقد مضى الكثير . .
وستعرف كل شيء بعد قليل .

تعود العربية التي ذهبت الى السجن الجديد وبها الحداد ومعه
الأدوات اللازمة لقطع السلاسل . . سندان . . ومطرقة . . وأجنة .
يصعد الى زنزانة رقم ١ بالقطار . ينظر قليلا الى السلسلة الحديدية
المعلق بها خمسة أشخاص ويوجه كلامه الى المأمور . .

- أفكم خالص يا بيه ؟

- يعنى ايه خالص . . آمال نص نص ؟

- يا بيه أصل لو فكيتهم خالص راح تأخذ وقت . . يمكن لغاية بكره
بعد الظهر . .

وتبدو على وجه المأمور تعبيرات تدل على عدم الفهم فيقول :

- مش فاهم . .

ويقوم الرجل بشرح « القضية » ، فيقول :

- يا بيه . . فى كل رجل « حجلة » ودى تخينه قوى تأخذ وقت على
ما تنقطع . . لكن السلاسل سهل تأخذ وقت أقل ، نقطع
السلاسل والا نقطع « الحجلة » ؟
ويرد عليه المأمور بضجر . .

- قطع اللي تقطعه . . المهم أنهم ينزلوا من القطر . . ويركبوا
العربات .

- لكن با بيه اذا قطعنا السلاسل . . وبعد كده نقطع « الحجلات »
مش ممكن استعمالها بعد كده . .
ويصيح المأمور بصوت عال :

- والله ما أنا فاهم حاجة . . حد منكم فاهم حاجة يا جماعة ؟

ويضح الجميع بالضحك . . ويتولى أحد الزملاء العمال شرح المشكلة :

- « الحجلة » اللي فى الرجل « مبرشمة » . . ولما يطلع مسمار
البرشام يمكن استعمالها بعد كده بمسمار برشام آخر ، لكن لما يقطع
حلقة من حلقات السلسلة اللي بين كل زميل وزميل ، معناه أولا أن
السلسلة راح تبوظ ، وثانبا ان كل زميل سيحتفظ بقطعة سلسلة
و« حجلة » فى كل قدم من قدميه . . وبعد كده تقطع الحجلة .

- آه فهمت . . يا سيدى قطع السلسلة . .

ويصيح ضابط « الترحيلة » .

- السلسلة تبوظ . . ودى عهده على . .

ويضح الزملاء بالضحك . . ويقول أحدهم :

- واحنا مش عهده . .

ويرد عليه ضابط الترحيلة :

- أنا خلاص سلمتكم لحضرة المأمور .

- لا يا حبيبى أنا لسه ما اسلمتس حد راح اسلمهم فى السجن وأمضى عليهم هناك .

- طب وأيه العمل .. أنا لازم أرجع السلاسل .. دى عهده ما ناس ..

ويعلق أحد الزملاء ساخرا ..

- ببفى مفيتس حل الا اننا نموت هنا ..

- ما انسو برضه عهدة .. لازم أسلمكم أحياء ..

ويعلق زميل :

- والسلاسل ترجع سلبية ..

ويعلق آخر :

- معادلة صعبة .. ازاي نحلها !

ومرة أخرى يضج الجميع بالضحك . هذا المكان الموحش الكئيب لم يشهد من قبل بشر يضحكون . ومن الذى يضحك ؟ المسجون والسجان !

فى لحظة تحولات المأساة الى ملهاة !

كان الأمر يستحق « ثورة ادارية » من أجل القضاء على البيروقراطية . بدأها فى تلك اللحظة مأمور السجن الجديد . قال بحسم وهو يوجه كلامه الى الحداد :

- قطع السلاسل .

ويقاطعه ضابط الترحيلة :

- وأنا أعمل أيه ؟

يرد المأمور وهو أكثر حسما :

- راح أمضى لك على وصل باستلام السلاسل ..

ترتاح أسارير ضابط الترحيلة ويضرب د تعظيم سلام ، وترتفع صيحات الاستحسان من الزملاء والتعليقات الطريفة الساخرة . وقبل أن يبدأ الحداد فى عمله متدثا بالزنزانة رقم ١ .. بأتى صوب عن الزنزانة رقم ٤ .

- أحنأ الأراج .. أحنأ الأول ..

ويرد المأمور

- بالترتيب ..

ويعود الصوت :

- أصل .. أصل .. ويضرب أصابع يده اليمنى بعضها البعض وبضحك المأمور ويقول :

- بى .. بى .. والا كا .. كا !

وترتفع ضحكات المسجونين والسجانة والضباط تبعد هجاء

الصحراء الرهيب ، ويعطى المأمور أوامر الى الحداد بان يبدأ من الزنزانة ٤ . الغريب ان كل زميل بعد فك قيوده كان ينتحى جانبا للتبول ! لقد مضى علينا أكثر من ١٨ ساعة ولم يكن احد بحاجة الى التبول . فلماذا ظهرت الحاجة الى ذلك فى تلك اللحظات بالذات . يا لهذا الانسان .. كائن غريب قادر على التأقلم والتكيف مع كل الظروف !

الحداد ينتهى من عمله بسرعة . ونسير الى العربات كل منا يجر فى كل قدم من قدميه سلسلة معلقة فى « حجلة » . يمسكها وليم اسحق بيده ويقول ضاحكا :

- هيه دى بقى « الحجلة » الرئيسية يا درش ..
- دى مش « حجلة » رئيسية واحدة يا وليم .. دول اثنين .
وتنطلق السيارات وسط صحراء واسعة يلفها ظلام حالك .
سكون رهيب يمزقة بين الحين والحين عواء الذئاب والثعالب ، مصابيح السيارات العالية تخترق الظلام كى ترى طريقها غير المهد الى السجن ، أنوار تبدو من بعيد تحيط بمساحة كبيرة مربعة .. يبدو انها « أنوار » السجن فى لحظة تتجسد أمامى صور معسكرات النازى . الصمت يخيم على جميع الزملاء حتى تكاد تسمع صوت تنفسهم . ما الذى ينتظرنا بعد دقائق ؟ حقا لقد كانت معاملة مأمور السجن الجديد انسانية ولكن ربما لا يدري هو نفسه ما دبروه لنا . أغلب الظن أن هؤلاء « الفاشست » لن يستخدموا نفس الأساليب التقليدية للتعذيب ربما كانت خطتهم تقوم على أساس القائنات فى الصحراء نهبا للذئاب والثعالب والثعابين .. وانتابتنى رعشة شديدة لم تحدث لى من قبل ، رغم ان فكرة الموت سيطرت على مرات عديدة ، ولكن أن أموت بعد كل هذا الصمود بلدغة « طريشة » أمر لا يمكن تصوره . وكيف يصمد الانسان للدغة « طريشة » أثناء نومه أو سيره أو جلوسه ؟ كيف يقاوم سمها الذى يسرى فى جسم الانسان سريان الكهرباء ويموت فى الحال . أى فاشى حقير هذا الذى دبر لنا الموت بهذه الطريقة القذرة الدنسة ؟ ان كل أفران النازى ومعسكراتهم .. كل أساليبهم الوحشية تتوارى خجلا أمام هذه الفكرة الشيطانية الموت بلدغة « طريشة » .. والسبب .. « قضاء وقدر » !!

وتقف بنا السيارات عند باب السجن .. مساحة واسعة من الأرض تحوطها الأسلاك الشائكة .. وأكوام من « الخيام » مكدسة على أرض « المعسكر » . كان فى استقبالنا « .. » مأمور السجن ومعه عدد من الضباط والسجانة ويمسك احدهم « كلوبا » لنتبين موقع أقدامنا . قال المأمور :

- زى ما انتو شسايفين .. مخيمات فى صحراء ..
- ويقول احد الضباط :
- ما حدش يمشي حافى
- ويسال زميل :
- الثعابين كثيرة ؟
- علمى علمك .. لكن ببقولوا ان لدغة « الطريشة » هبة والتمبر
- الله يطمنك ..
- ويتدخل المأمور :
- يا جماعة .. دى مبالغات .. ما تخافوش ..
- ويقول أحد الزملاء بسخرية ..
- وطبعا من يموت بلدغة « طريشة » يقيد « قضاء وقدر » ..
- ويقول آخر :
- يعنى بلا مسئولية على ادارة السجن ..
- ويقول المأمور :
- يعنى .. ما احنا عايشين معاكو ..
- ويسال زميل .
- فى خيم زينا كده ؟
- لا .. فى استراحات فى « جناح » ..
- ويقول الدكتور شريف حتاته .
- وطبعا عندكم كل الادوية اللازمة .
- ويقول المأمور :
- والله يا جماعة .. أنا لسه جاى هنا النهاردة الصبح ..
- الأوامر اللي عندى تباتوا الليلة فى المخيمات .. وانتظر أوامر أخرى بكره
- صباحا .
- ويقول زميل :
- ده اذا شلفنا « بكره » ..
- وبتدخل صلاح حافظ ويقول بحسم ..
- راح تشوف بكره .. وبعد بكره .. ايه الطلب منا يا حضرة
- المأمور ؟
- ويعلق المأمور مبتسما :
- آهو ده الكلام .. كلام من يكتب عن انتصار الحياة .
- ويسرى الحماس بين كل الزملاء وترتفع أصواتهم تردد نشيد ..
- شتقوننا فى المنافى ، واملأوا منا السجون .. سوف تاتبكم ليالى
- برقها عصف المتنون .
- من بعيد يأتى صوت المأمور ينادى على وعلى الدكتور شريف حتاته :

يقول لنا :

- فيه هنا أربع خيام وبطاطين كثيرة .. وسراير خشب .. انصبوا الخيام والسراير ووزعوا البطاطين .
- كم سرير تسع الخيمة ٢٠٠
- حوالي ١٢ سرير ..
- قلت لشريف :

- اذن خيمة واحد تسعنا فنحن ١١ زميلا .
- ونحن أيضا تكفينا خيمة واحدة فنحن ١٢ زميلا .
- والخيمتين الآخرتين نستخدمهما «هيس» للأكل . ويقاطعنا المأمور :
- خلو زملاءكم ينصبوا الخيام والسراير وتعالوا معايا ندبر لكم أكل أحسن زمانكو جعتوا جدا .
- وقام الزملاء بكل همة رغم التعب والاجهاد بنصب الخيام ، وذهبنا مع المأمور لتدبير أمر الأكل فقد مضى أكثر من ١٢ ساعة لم نتناول خلالها شيئا . كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل وفي حجرة من الصباح في طرف من أطراف المعسكر . وجدنا مجموعة من « الحلال » الكبيرة ونصف « عجول » ملقى على الأرض ، وأكوام من « الحطب » ، وشوال من الفاصوليا البيضاء .
- قال المأمور :

- آدى اللحمه اللى قدرت أدبرها النهاردة .. شوف كده با شريف خايف يكون أصابها التلف !
- يتقدم اليها شريف ويشمها :
- لم تتلف تماما .. يمكن أن تؤكل .
- ويقول المأمور :

- يا لله بقى دبروا مسألة الطبخ .. ومعاكوا كام مسجون بساعدكوا .

وانادى على بعض الزملاء الذين يعرفون فن الطبخ . ويأتى عدد من الزملاء والاقوان الذين لهم دراية بالطبخ . ويتعاون الجميع فى اعداد وجبة العشاء . هذا يمسك بالساطور ليقطع اللحم ، وهذا يعد الفاصوليا بعد غسلها فى « جرادل » الماء ، وهذا يشعل الحطب وسط الصحراء . وبعد وضع القدور الكبيرة على النار المشتعلة . يطمئن المأمور فيقول لنا ..

- فاضل مسألة العيش ..

فى مكان آخر أعده المأمور بسرعة لىكون قمرنا بدائيا وجدنا عددا من أجولة الدقيق ، وحوضا من الخشب للعجين ، وعددا من جرادل الماء . ويتكاتف الزملاء مع الاخوان فى اعداد العيش . مجموعة تقولى عجن

الدقيق ، ومجموعة تعد الحطب في الفرن ، ومجموعة ثلاثة تتناوب الوقوف أمام عين الفرن .

بعد أقل من ساعتين كان الجميع يجلسون على البطاطين . كل في يده « قروانة » بها الفاصوليا باللحم ، أما العيش فهو كثير من يريد يأخذ :

- الواحد كان ناسي أنه جعان .
- لم يكن هناك وقت للجوع .
- ده أكل الواحد كله في حياته .
- نعمة يحفظها ربنا من الزوال .
- يا سلام لو كباية شاي . .
- يبقى آخر تمام . .
- بس فين الشاي والسكر ؟
- ويقول المأمور :
- جبت لكم شاي وسكر . .
- وترقع صيحات الزملاء فرحا . .
- بس عمله ازاي ؟
- ونشربه ازاي ؟
- يا أخى عمله وبعدين نفكر نشربه ازاي . .
- تشعل النار من جديد ويضع زميل عليها جردل من الماء . . ويذهب آخر لاختصار أكواب البلاستيك من الخيمة . أربع أكواب فقط . .
- ما تحافوش « جردل » الشاي على النار . . ما حدش راح يشربه بارد .
- المصاروه يشربوا الأول علشان بيحبوا الشاي خفيف .
- والصعايدة يستقنوا للآخر . .
- ويعلق زميل :
- والابحاروه ؟ .
- حول بقى وسط
- ويضح الجميع بالضحك . ما أقوى الحياة ! بل ما أقوى الانسان هذا الكائن القادر على خلق الحياة في أى مكان يتواجد فيه . هذا المكان الخالى الا من الثعالب والذئاب والثعابين والفيران يتحول فى لحظة الى مكان انساني .
- يبدنن صلاح حافظ بأغنية لام كلثوم . .
- سمعنا يا أبو الصلح . .
- ونتخيل صوته فى هذا المكان الوحش كأنه أعذب من صوت أم كلثوم .
- يختلط صوته بصوت محمد شسطا
- أفرش منديك على الرملة .

وتغلب روح الجماعة ويردد معه الزملاء :
- أفرش منديلك على الرملة . .
وينتهز زميل اسكندرانى فرصة ليحذل بصوته .
- يا بنات اسكندرية مشيكم على البحر غيبة . . بدلة الحمام عليكم
خللت العرسان تجيكوا . .
- اى والله الصيف بدا . .
- اسكندرية زمانها مليانة مصيفين . .
- احنا لسه فى يونيو . . يوليو تبقى زحمة . .
ويرتفع صوت المرحوم « خليل قاسم » بأغنية نوبية . برقص
عليها هو وزكى مراد المحامى . لوحة راقصة نوبية لم نشهدهما من
قبل وتشدد أنظارنا وأسماعنا . نصفق بأيدينا ونردد كلمات
أغنية لا نفهم معناها ولكن يطربنا ايقاعها .
ونلمح فى الأفق تباشير فجر يوم جديد ، ونسمع صوت مؤذن الاخوان
المسلمين ينادى على « الصلاة » ، ويعود الهدوء من جديد . ولأول
مرة منذ ما يقرب من ٢٤ ساعة نحس بالأمان ! ونصرف الى النوم ساعات
قليلة تشرق بعدها شمس أول يوم لنا فى سجن « جناح » بالواحات الخارجة .
يوم يستحق أن اخصص له الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

أول يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٥)

حييتسى

رغم احساسى النفسى بالامان مع بزوغ فجر اول يوم لى فى سجن ، جناح ، بالواحات الخارجة ، الا اننى - واحسب ان كل زملائى أيضا لم تغفل عيوننا سوى دقائق . ما أن دخلنا الخيمة واستقرت اجسامنا على الاسرة الخشبية ، وسحبنا البطاطين على اجسامنا ، وبعد تعليقات سريعة ، ساخرة أحيانا ، وجادة أحيانا أخرى ، حتى ساد الصمت بين الجميع . لكن الحوار كان متصلا ، بين كل زميل وبين نفسه وبينه وبين كل الزملاء ، فى صمت وهدير ، يقطعه بين الحين والآخر عواء يأتى من بعيد لثقب أو لثعلب ثم تعليقات سريعة للزملاء . .

- ثقب أو ثعلب ؟

- هل يبعد عن هنا كثيرا ؟

- لا تخافوا . . الذئب والثعلب تخشى النور .

- النور أو النار ؟

- اقترح أن نشعل نارا على باب الخيمة . .

- نور المسكر يؤدى المهمة . .

ويسود الصمت . ثم تعود التعليقات عندما نسمع العواء مرة أخرى . وتقل التعليقات تدريجيا حتى تتوقف تماما حتى مع استمرار العواء . هكذا ، العواء ليس أكثر من عواء ، سواء كان عواء حيوانات مفترسة أو عواء آدميين ، فتأثيره فى الحالتين مؤقت . حتى محاولات الافتراض التى تاتى بعد العواء ، يمكن للإنسان أن يقاومها ويصمد فى وجهها ، لكن ما العمل مع لدغة « الطريشة » التى تحدث فى لحظة ودون أى مقدمات ! ربما تكون خطتهم أن نعامل هنا معاملة عادية ، ونعيش حياة أشبه بحياة المسكرات ، ويترك أمر موتنا للشعابين والحشرات . « الطريشة » مرة أخرى تسرى فى جسمى وعشنة شديدة !

وتنفذ أشعة الشمس القوية من فتحات الخيمة تبعث السدفء فى اجسامنا فننمض البطاطين التى كانت تقينا برد ليل الصحراء .

- صباح الخير يا زملا . .

- صباح الخير . .

- صباح آيه دا ظهر

ويضحك زميل :

- ظهر مين .. أنت لسه شفت الظهر فى الصحراء ؟
ونخرج جميعا من الخيمة على نهار أول يوم لنا فى سجن « جناح »
بالواحات الخارجة . ما زالت فكرة الموت بلدغة « طريشة » مسيطرة
على ، أنادى بصوت عال على الرغم منى ..
- دكتور شريف .. دكتور صلاح ..
يخرج الاثنان من الخيمة المجاورة بسرعة وقد بدأ على وجههما
الانزعاج .

- أيوه .. فيه حاجة ؟
كانا يفكران فيما أفكر فيه وحسبنا أن أحدا قد لدغته « طريشة » .
- ما ميس حاجة .. بس كنت عاوز انكلم معاكم ..
- يا أخى خضيتنا ..
- متأسف .. بس كنت عاوز أطمئن ..
ويرد شريف حقاته بهدوء المعروف عنه ..
- دى بهى مس سياسة .. سيب العيش لخبازينه ..
- وأنت الخباز الوحيد هنا .
ويتدخل صلاح حافظ :
- وأنا مش خباز يا درس ؟
- لا .. نصف خباز بس .
- أحسن من اللى ما يعرفش يخبز خالص .
- فى الطب .. مش فى السياسة .

ويأتى الدكتور شريف حقاته بمذكرة الى المسئولين ، بدءا من
رئيس الجمهورية حتى مدير مصلحة السجون ، والى الصحف والنقابات
الاهنية والعمالية المخلفة ، تستنكر نفينا فى الصحراء ومحاولة اغتيالنا
بواسطة الحيات والثعابين ، وتطلب نقلنا من هذا المنفى ، وحتى
ينسم ذلك يطالب تزويد المنفى بالأدوية الضرورية .

- عظيم يا شريف .. لكن موت يا (...) لا مؤاخذه على ما يجياك العليق ..
- يظهر انها معلنه معاك قوى ؟
وبهدوء الشديد يستطرد ..
- ويا سيدى جبنا معانا .. الادوية واللقاح .. احنا برضا
الد .. وأقاطعه ضاحكا ..

- عارف .. عارف .. انتو القيادة .
- أيوه كده .. اعترف ..
- فى الطب بس .
- وفى السياسة كمان وحياتك .. بكره تشوف .

- ونلمح مأمور السجن ينزل من سيارته على باب السجن فنتجه اليه :
- صباح الخير .
- ويسلمه شريف المذكرة :
- يا صباح يا عليم يا رزاق يا كريم .. لحقتوا تكتبوا مذكرات .. ؟
- واحنا وانا أيه ؟
- يقرأ المأمور المذكرة ويقول :
- حاضر سأرسلها بالبوسنة ..
- لأبوسنة أيه .. دى عايزه مخصوص ..
- وأجيب المخصوص منين ؟
- سجان
- بالقطار طبعاً ..
- ده على كيفه .. ييجى كل أسبوع .. كل أسبوعين ..
- يبقى بالتليفون ..
- أنا راح اتصرف .. اطمئنوا
- نحن مطمئنون .. لكن ..
- ساسلمها للمحافظ وأطلب منه أن يرسلها مع مخصوص فى سيارة .
- ويسأل المأمور أسئلة عديدة عن « الطريشة » وعن أنواع الحيات والثعابين التى توجد فى الصحراء ، وطرق الوقاية منها ، وهل حقاً ما يقال عن المفعول السريع لسم « الطريشة » . ويعطى شريف اجابات مبالغ فيها ، ونرى الخوف يرتسم على وجه المأمور فيقول بخبث :
- لكن أنت حضرتك بعيد عن ده كله ..
- يرد المأمور ورنه الخوف تبدو فى صوته :
- لا بعيد ولا حاجة .. وأيه الفرق بين الخيمة ، والفيلة ؟ ، الاثنين فى صحراء ..
- فعلاً .. مفيش فرق كبير .. احسن تسكن فى شقة عالية .
- يبتسم المأمور ، ويقول :
- لو كان فيها خير ما كان رماها الطير ..
- هو ، الحشافة مش ساكن فى فيلا برضه ؟
- لا يا سيدى .. ساكن فى شقة .. أنا راخر استعجبت سايب الفيلة ليه ؟
- ونسلم صرخة عالية ، واثنان من الاخوان المسلمين يحملون شخصاً ويسرعون به نحو المأمور :
- ادغته طريشة .. ادغته طريشة .
- ويجرى شريف الى خيمته ويعود سريعاً ومعه الحقنة واللقاح .

- قين اللدغة ؟
- مي رجله اليمين .
- مفسس حاجة يا جماعة . .
- ازاي مفيش ده صرخ بأعلى صوته ؟ .
- على العموم نديله حقنه . . لكن مفيش حاجة .
- أنت متأكد . .
- طبعا متأكد . . أنا طبيب . .
- أمال أيه الحكاية . .
- وهم سيطر عليه . . أغلب الظن . .
- الاخوان المسلمون والزلاء يتجمعون في المكان الذي حدثت فيه
- لدغة الطريشة ، ونجه اليهم وفيل أن نصلهم نرى طبيبا من الاخوان
- يمسك بقطعة حبل ويقول :
- توهم أنها طريشة فصرخ .
- الى هذا الحد يعمل الوهم ؟
- واخر من عذا . . الموت ذاته ممكن .
- ونشهد قطعة أرض من صحراء « جناح ، بالواحات الخارجية ، الاخوان
- المسلمون ، والشيوخيون ، وضباط السجن وجنوده ، وهم يجلسون
- عليها كما الى كيف يستمعون الى الدكتور سريف حتاته وطبيب من
- الاخوان يتحدثان عن أساليب الوقاية من الحيات والثعابين بلغة
- واحدة . والجميع يصبغون اليهما نملا الثقة نفوسهم ، بما يقولانه ،
- لا يفرقون بين الطبيب الاخواني ، والطبيب الشيوعي . حتما سيتشهد
- العالم كله يوما مثل هذا اليوم الذي تشهدنه هذه القطعة الصغيرة من الصحراء .
- يوما تصبح فيه السياسة علماسخرا لصالح الناس . كل الناس ،
- وليس لصالح طبقه أو فئة . ليس أملا يستند مقوماته من حتمية
- التطور التاريخي ، وليس حلما يستحيل تحقيقه ، الا بعد وصول
- الانسان الى عصر الحرية . ولكن ما سيعجل به هو ان العالم قد بدأ
- مرحلة خطر فناء البشرية كلها . والامل أن يوحده الخطر الداهم
- متلما وحد الاخوان المسلمين والشيوعيين ، والصباط ، والجنود أمام
- خطر « الطريشة » ذات يوم من يونيو عام ١٩٥٥ ، والحلم أن تكون وحدة
- دائمة ، وليست وحدة مؤقتة كتلك التي حدثت ذلك اليوم ! .
- كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحا حين انتهى الطبيبان ،
- الاخواني ، والشيوعي من حديثهما ، حين انصرف الجميع وقد ساد
- بينهم جو التعاطف والتفاهم وروح العمل المشترك لمواجهة الحياة
- المشتركة في هذا المكان النائي عن كل شيء الا الرمال الصفراء ،
- والحيوانات المفترسة . والثعابين . حقا ، الاخوان المسلمون لهم حياتهم

لخاصة ، ويعيشون معا فى قسم من السجن ، وكذلك الشيوعيون ، ولكن هناك ما يفرض تعاونهم ، الأكل ، والوفائية ، والعلاج ، واتفق على تنظيم العمل المشترك فى المطبخ وفى الفرن . وعلى عمل خيمة كمستشفى يديرها الطبيبان ، الاخوانى والشيوعى ، فضلا عن طبيب السجن الذى يأتى بضعة ساعات فى النهار فقط . ولم يكن من العريب أن تتكون صداقات قوية بيننا وبين عدد كبير من الاخوان المسلمين ، بعضها صمد أمام محاولات كثيرة لضربها حتى وصل الأمر الى حدوث أنقسام بين الاخوان المسلمين فى صورة مؤبدين للثورة ، ومعارضين لها ، وسوف اخصص لهذه المسألة حديثا آخر فى رسائل مقبلة .

كان صباح أول يوم لنا فى سجن جناح مشحونا الى حد أننا نسينا أن أقدامنا ما زالت يحبط بها « الحجلات » وتجر سلاسل حديدية . وكان ولیم اسحق أكثرنا حماسا لسرعة ازالة تلك القيود ، فقدماه النحباتان تحمل « بالعافية » جسمه الهزيل . همس فى أذنى صاحكا . .

— أیه با درش أنت نسيت « الحجلة » (*) الرئيسة ؟

— أبدا يا ولیم . . لكن يبدو أن نلاحق الأحداث جعلنا ننسى . .

— تبقى فقدت الاتجاه .

وأذهب معه الى مأمور السجن نطلب منه سرعة مك بقبة قيودنا . وبعطى المأمور أوامره الى الحداد فى الورشة الصغيرة التى نقع فى أحد أركان السجن . وبعد أن بنتهى الحداد من مهمته نرى أمامنا تలా من السلاسل الحديدية . ويذكرنى مشهد هذا التل الحديدى بمشهد مماثل له فى ليماں طره .

فى مايو ١٩٥٥ — قبل رحيلنا الى الواحات بشهر واحد — أعلن المشير عبد الحكيم عامر فى اجتماع ضخم شهده كل المسجونين فى ليماں طره وأبو زعبل ، وعدد كبير من صباط قيادة الثورة ومصالحة السجن ، إلغاء القيود الحديدية بعد أن قام بحركة مسرحية بقطع سلاسل أحد المسجونين بالطرفه والأحنة . ولم ندع نحن لحضور هذا الاجتماع ، وسعدنا به وما . . بين حلاله . . . فى الحمام العمومى السجناء نستحم . . . كان علينا الدور فى ذلك اليوم . لم نتم فى حياتنا طوال فترة السجن شيئا كما نمنينا ان نخلص عنا هذه المبود الحديدية كباقى خلق الله من المسجونين العاديين ، فقد

(*) هى الحلقة التى توضع حول الصاقين وتربط بهما سلسلة وزنها

٣ كيلو جرام تعلق فى وسط جسم المسجون بحزام .

(م — ١٠ الرسائل)

كنا شبه متاكدين بان قرار تحطيم الاغلال الحديدية لن يشملنا .
كانت أمنية غالية أن نستحم ولو مرة واحدة دون أن نحر الملبود
الحديدية في أقدامنا ، بعد الجهود المضنية التي تبذلها عند
خلع الملابس سم عند ارتدائها بعد الاستحمام .

كنا قد تعودنا على السلاسل الحديدية في أمماننا ، وعلى صوت
رستهة أنباء قيامنا أو جلوسنا أو سيرنا أو حتى خلال نومنا ،
لكننا كنا نعاني عند كل استحمام ، أثناء خلع الملابس ، ثم أثناء
ارتدائها .

عند خروجنا من الحمام **والسلاسل الغليظة** في أمماننا شهدنا
منظرا غير مألوف في اليمان . أعدادا كبيرة من المساجين بجـرون ودمسكون
بأيديهم القيود الحديدية التي كانت في أقدامهم ، يصيحون بفـرح
شديد ويهتفون لصاحب قرار تحطيم القيود .

صاح أحدهم قنبنا :

— لماذا لم تحطموا أغلالكم ؟

— القرار لا يشملنا . .

— هذا ظلم . . ولماذا ؟

— السياسيون لا يشملهم القرار . .

— الاخوان خلعوا القيود .

— الاخوان شملهم قرار الافراج عام ٥٢ بعد الثورة ولم يشملنا .

— الأمر مختلف . .

— هل لديك أخبار ؟

— لا . . ولكنه المنطق . .

— نحن استثناء . .

ويصل لأسماعنا من بعد صوت ودود ، كلما سمعناه ، أحس

بالأمان ، صوت الضابط الصديق (. . .) :

— آيه يا جماعة ما خلعتوش الحديد ليه . . ؟

— هل يشملنا القرار . .

— طبعا . . أنا كنت خائف زيكم . . القرار يشملكم . .

وكانت فرصة كبيرة جربنا الى ورشة الحدادة . بضربة الحداد الماهر
بمطرقته قطع حجلة القدم اليسرى ، وبضربة واحدة أخرى قطع
حجلة القدم اليمنى . ومثل آلاف المسجونين حملنا قيودنا بأيدينا
وجربنا على العنابر ، وقفزنا السلالم قفزا حتى الدور الرابع ، والفينا
جميعا بهذه القيود الكريهة الى أرض العنبر . فيسـد وراء قفسـد
لنجد بعد القاء آخر قيد جبلا من الحديد ، كان يتحرك حتى صباح
اليوم مع أقدام العبيد .

ألم أقل لك يا حبيبتي أننا محظوظون ؟ • قيودنا بالحديد مرتين ، مرة عندما صدرت ضدنا الأحكام ، ومرة عندما رحلونا الى سجن « جناح » ، وخلعنا أيضا مرتين • وعدد شهور السنة في الأحكام القضائية عند كل المسجونين ٩ شهور فقط • أما عندنا فشهور السنة ١٢ شهرا بالتمام والكمال • وكل المسجونين كانوا يخرجون من السجن ، في مناسبات أعياد الثورة ، والفطر والأضحى ، بنصف المدة ، ولم يخرج أحد منا في أى مناسبة من هذه المناسبات • ولأنهم « يعسوقنا » ومغرمون « صباية » بنا فقد كانوا يستضيفوننا سنوات بعد قضاء مدة العقوبة ! وفوق هذا كله فإن المسجونين العاديين - وهم عدد قليل - الذين رحلوا معنا الى الواحات وهم من الصناعات - كانت مدد أحكامهم لا تقل عن ٢٠ سنة ! وأغلب الظن أنهم سيموتون معنا في الصحراء قبل انتهاء مدة عقوبتهم ، وربما يدفنون معنا في الصحراء • هكذا كانوا يفكرون ، ولا من « سمع ولا من درى » !

بعد أن خلعنا قيودنا الحديدية ، وقف بعض الزملاء يتأملون هذا التل من الحديد ، كيف ننظر نحن اليه ، وكيف ينظر اليه الضابط الذى فى « عهديه » هذا الحديد • لقد رمض بكل اصرار أن يأخذ أحد الزملاء مطعة من تلك السلاسل الحديدية ، كي يحتفظ بها ، فهي « عهده » ، ولازم يسلمها •

صوت بصييح من بعيد • •

- الفطار يا زملا • • الفطار • •

ويحمل كل منا « قروانته » لاستلام الفطار •

- فول مدمس • • يا للروعة !

- فول مدمس حقيقى • • مش سوس مفول •

- ده فول مدمس زى بتاع بره • •

هذا الفول المدمس من الذى كنا نأكله قبل السجن ، وليس سوسا مفولا كما كنا نسميه خلال سنوات السجن الماضية • كان الفول مسلوقا وليس مدمسا • وكانت الفولة الواحدة بها عدد لا يحصى من ثقوب السوس • وفى كثير من الأحيان كنا نضبط السوس متلبسا بجريمة استمرارته فى الحساء رغم ندرته لأقصى درجات حرارة غليان المياه ، كان بعض الزملاء يرمون «سوس» بقرف • ، وكان البعض الآخر يأكله « بلذة » • • ويحور الحوار التقليدى عند كل أكلة فول :

- آيه القرف ده يا زميل ؟ •

- ده بروتين • •

- فعلا آيه الفرق بين لحم السوس وأى لحم آخر !

- زى الفرق بين لحم الارنب ولحم القطه •

- وهو فيه فرق ؟
- وكان الحوار ينتهى دائما بجملة نفليديية :
- على أى حال مسألة غير مبدئية يمكن الخلاف حولها .
- بعد أن تناولنا افطارنا السهى من الفول المدمس الحقيقسى ، بالزبته والليمون والكمون ، والخبز الطازج ، سمعنا صوتا يقول :
- الشاى يا زملا ..
- شاى .. شاى .. !
- أليه الحكاية .. ؟
- دى ثورة ..
- ياللهنا ..
- طب ونشرب الشاى فى أليه ..
- صوت حاسم يقول :
- كل واحد يغسل « قروانسه » ويشرب فيها مؤقتا ..
- ويهجم الزملاء على « جرادل » الماء ..
- الميه قليلة جدا .. مستحيل أفرط فيها دى علشان طيبخ.
- الغذاء ..
- شوية صغيرين ..
- ٣٠ شوية صغيرة تخلص الجرادل ..
- يا أخى نجيب غيرها ..
- أمشى ٥ كيلو .. لغاية العين علشان اجيب غيرها ..
- طب وأيه العمل .. عايزين نشرب شاى .. ؟
- مش شائسى .. اتصرفوا ..
- ويأتى الصوت الحاسم مرة أخرى :
- مين بتعهد بملء الجرادل بعد ما تشربوا الشاى ..
- كلنا .. كلنا ..
- استهلك الزملاء الماء المخصص للطبخ فى غسيل القروانات كى يشربوا فيها الشاى ولم يتحرك بعد شرب الشاى لملء الجرادل بالمياه ويعملو صوت غاضب :
- يا زملا املوا الجرادل ميه ..
- بس نستريح شوية ..
- أنت عاوز تضيع طعم الشاى ..
- ويرد الصوت :
- طيب مفيش غدا .. وأنا راح أطبخ ازاي ؟
- لسه بدرى على الغدا .. الساعة لسة ١٢ ..
- ويرتفع الصوت الحاسم مرة ثالثة :

.. عايزين ١٠ جرادل ميه .. كل زميلين ياخدوا جردل يملوه .. من فضلكم ..

ويستعد ٢٠ زميلا اسيرة جلب المياه من العين التي تبعد عن السجن خمسة كيلو مترات . ويسدور حوار خلال المسيرة :
- يعنى علشان الواحد يستحم لازم يمشى ١٠ كيلو متر ذهابا وايابا .

- وطبعاً فى العودة راح يصفى الجردل على النص ..

- يعنى كل اتنين يستحموا بنص جردل ميه ..

ويقول أحد الزملاء ضاحكاً :

- يا ترى مين صاحب نكته « يحموك فى كستبان » .

- دى ما بقتش نكته ..

- لازم نشوف حل لمشكلة المياه دى

- وهيه دى المشكلة الوحيدة ؟

فعلاً لم تكن مشكلة المياه هي المشكلة الوحيدة وان كانت أهم المشاكل التي واجهتنا في السجن الجديد . لقد كان كل هم المسئولين الكبار - بعد اضراب المسجونين في ليما ن طره ، أن ينقلونا فوراً قبل أن « يستفحل » خطرنا . فاختاروا هذه القطعة من الأرض في قلب الصحراء . بعيدة عن مصادر المياه ، واحاطوها بالأسلاك الشائكة ، ثم القوا بداخلها أجولة من الفول والعدس والأرز والدقيق والفاصوليا الناشفة ، وعدداً من الخيام ، وكميات من الخشب والصاج والمواسير ثم قالوا لنا : **ابنوا سجنكم بانفسكم !** لقد حسبوا أننا سنستسلم لقسوة الصحراء ، فتدفننا رمالها ونحن أحياء أو على شفى الموت عطشاً أو جوعاً . وقررنا أن نخوض معركة استمرار حياتنا . قررنا أن نبني في قلب هذه الصحراء واحة ، ليس فقط لناكل فيها ونشرب ، وانما كي نقرأ ونكتب ونتعلم ونرقص ونغنى ، ونمارس كل نشاطات الحياة . وقضينا الساعات الباقية من نهار يومنا الأول في الصحراء ، وجزءاً كبيراً من ليل ذلك اليوم في الإعداد للمعركة ، معركة استمرار حياتنا . وكان اليوم التالي هو يوم بدء المعركة .

أحكى لك قصة ذلك اليوم في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٢ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٦)

حبيبتي

كان السؤال المطروح ونحن نعد للمعركة ، هو : من أين نبدأ ؟ . وكاذب
الاجابة : أن نبدأ بالبنا ، بناء مقومات استمرار حياتنا في هذه
البقعة النائية في قارب الصحراء فهي ليست معركة رفع مستوى المعيشة
داخل السجن ، مثل المعارك التي خضناها خلال سنوات السجن السابقة ،
وانما هي معركة الحد الأدنى للحياة ذاتها ، ومررنا أن نبدأ كما
بدأ الانسان الأول حينه الى جوار الماء . وادا كنا لا نملك حرية
الانتقال الى جانب عين المياه الوحيدة في كل هذه المنطقة من الصحراء ،
فنحن نملك القدرة على نقل المياه اليها . وكيف ؟ ان استمرارنا في نقل
المياه بواسطة « الجرادل » (وبعد مسيرة ١٠ كيلو مترا ذهابا وايابا) ،
لا يجب أن يستمر هكذا . يجب أن تصل اليها المياه بواسطة مواسير ،
ولكن هذا هدف بعيد . يستغرق تحقيقه شهرين على الأقل ، يقوم
خلالهما المواسير ، والخبرة الفنية ، وخلال هذين الشهرين يجب أن يتم
نقل المياه اللازمة لطهي الطعام ، وخبز العيش ، وغسل الملابس ،
والاستحمام ، فضلا عن رى مساحة من الأرض نزرع فيها خضروات ، بأقل
جهد ممكن . اذن لابد من الحصول على « طلمبة » مياه تسحبها من
العين العميقة الذي ينزل الى حافتها زملاء كى يملأوا الجرادل ، ثم يتناولها
زملاء آخرون ، وهؤلاء بدورهم يناولونها الى من يحملها الى السجن .
وعند المأمور بشراء طلمبة مياه خلال أسبوع على الاكبر ونفذ وعده .
وكانت فرحتنا كبيرة حين تم تركيب هذه الطلمبة . وفرنا الجهود
الذي كنا نبذله في النزول الى عين المياه ، ثم الصعود منها ، وزال
خطر الوقوع في العين عند فقد توازن من يقوم بملئ الجرادل ، فضلا عن
اختصار عدد الزملاء الذين يقومون بنقل المياه الى النصف . اذن نستفيد
من هذا النصف الذي توفر بعد تركيب الطلمبة في اعداد براميل لحفظ
المياه بدلا من الجرادل . سرق الزملاء ٤ براميل فارغة من زيت السولار
الذي يستخدم في ادارة ماكينة الكهرباء المخصصة لانارة المعسكر .
وكانت مشكلة عندما اكتشف ملاحظ ماكينة الانارة سرقة البراميل
الأربعة :

- صاحب الملاحظ :

- رحت فى داهية . .
- ليه . . ما هى البراميل موجودة ؟
- ما تنفّش بعد ما قطعتموها . .
- معلّش ندفع ثمنها . .
- مش ممكن .
- ويذهب الملاحظ الى مأمور السجن الذى يأتى لمعاينة موقع الجريمة :
- يا جماعة البراميل دى عهده . .
- تانى ؟ . . البراميل عهده . . والسلاسل الحديدية عهده .
- ويقول زميل آخر :
- وهو احنا مش عهده برضه ؟
- ويرد المدير :
- طبعا أنتم فى عهدتى . .
- والعهده . . ألا تحتاج الى صيانة ؟
- طبعا . . وهو أنا قصرت فى حاجة .
- فى المقومات الأساسية لحياتنا .
- وأيه طلباتكم ؟
- ونضع أمامه قائمة الطلبات الضرورية ، مواسير مياه وحنفيات وعدد من الصهاريج لتخزين المياه . ومطبخ مجهز بالحد الأدنى بأدوات الطهى ، وفرن ، وخيمة كبيرة تستخدم كمستشفى تجهز بالحد الأدنى من الأدوية والأجهزة الطبية والاسرة .
- ويعلق المدير . .
- انتم مش شايفين أنها طلبات كثيرة جدا . .
- دى الحد الأدنى التى تسمح لنا باستمرار الحياة .
- بس تنفيذها ياخذ وقت .
- هل يمكن تحديد هذا الوقت ؟
- طبعا مش ممكن . . سأرسل مذكرة بطلباتكم للمصلحة .
- وطبعا المصلحة تعمل مناقصة . . و . .
- ما انتوا عارفين الاجراءات . .
- لكن ممكن اختصارها . .
- إي ؟
- نحن نثق فى قدرتك على حلها بسرعة .
- طيب ساعدونى . .
- مثلا . . تشتري لنا بعض اللوازم الضرورية . . مثل المواسير والحنفيات .
- والباقي . . ؟

- الصهاريج والطلمبات من القاهرة . .
- راح تاخذ وفن .
- نمترح ان تسافر بنفسك الى القاهرة . . وتوصى . بعد عرض
الوضع على المسئولين . .
- وبضيف زميل .
- لا تنس انك في النهاية المسئول عنا .
- ويضيف آحس :
- واذا حدث شيء . . فسنكون مقصرا في نظرهم . . لانك لم تنبئهم
ولم نطلب منهم شيئا .
- وبقتنع **المأهول** ويوافق على السفر الى القاهرة بعد ان يمشى لنا
عواسير وحفبات في نفس اليوم . ونتمنى معه على حل عدد من
المشاكل . **زيارة الأهالي** . ارسال الخطابات واستلامها . . السماح
لنا بطرود الملابس والأدوية وعلب الطعام المحفوظة والسجائر والسكر
والساي والكتب .
- ويقول المأمور ضاحكا :
- الستات والبنات . .
- لا دول نروح لهم قريبا . .
- ان نماء الله يا أولادى . .
- بقولها الرجل بكل صدق وحب .
- وقبل أن تغرب الشمس ، يسرع الزملاء وعدد من الاخوان المسلمين
لتفريغ اللورى المحمل بالمواسير والحفبات . **الفنيون** من الاخوان
يقترحون عمل وره مباه لنا ، واثنين لهما ، وثلاثة للمسجونين ، ورابعة
للاستخدام العام . وبدأ العمل في فجر نفس اليوم قبل أن تاتهب رمال
الصحراء بانسعه تهمسها القوية . وتخرج مجموعات من الزملاء ، الاخوان
الى **موقع العمل** . وفي نشاط وحيوية يبدأ العمل ويستمر حتى الثانية
عشر ظهرا . أشعة الشمس قوية لم نعد نحملها ، والرمال تحاولنا
الى كتل من اللهب ، تلسع أقدامنا الحافية ، والعرق يتصبب عربيرا من
أجسامنا العارية حتى منتصفها ويأتى صوت **المهندس الاخوانى** الذى
يقود العمل .
- الحمد لله . . لقد انجزنا جزءا لا بأس به من العملية .
- كم من الوقت تسغرقه غلبة مدع مواسير الماء ؟
- هذا يتوقف على استعدادكم . .
- نحن مستعدون للعمل طول النهار والليل .
- عدا فترة الظهيرة - من الساعة ١٢ ظهرا حتى الساعة ٣ بعد
الظهر .

- موافقون . .
- وننتفق على تنظيم ورديات ، كل وردية تعمل ٧ ساعات فيكون مجموع ساعات العمل اليومية ٢١ ساعة .
- اذا نفذنا هذا بدقة نستطيع أن ننجز عملية مد مواسير المياه في أسبوع واحد .
- وهل نستأنف العمل اليوم في الثالثة بعد الظهر . .
- اقترح ان يبدأ نظام الورديات من اليوم بعد الظهر . .
- سنحتاج الى كلوبات للانارة ليلا . .
- ويتعهد زميل كهربائى بتدبير أسلاك كهرباء ولبات وأخذ توصيلة من ماكينة الكهرباء . .
- ويتساءل زميل :
- كيف وأنت محتاج لآلاف الأمتار ؟
- ويضحك الزميل الكهربائى :
- يا أخى المخزن مليان أسلاك .
- وكيف ستحصل عليها ؟
- ده شغلى بقى .
- ويذهب فى نفس الساعة الى ملاحظ ماكينة الكهرباء ويعرض عليه اتفاقا من بند واحد . أن يستعمل اسلاك الكهرباء التى فى عهده لتوصيل الكهرباء الى موقع العمل ، وبعد الانتهاء من عملية مد مواسير المياه ، يتعهد باعادة الاسلاك ويلفها على البكرة كما كانت . ثم يقول ضاحكا :
- هذا والا . .
- ويرد الملاحظ :
- لا يا عم . . موافق . . كفاية حكاية البراميل .
- وعند عودتنا الى السجن يستقبلنا الزميل أحمد خضر « العامل النقابى » ورئيس الطهارة فى السجن عند الباب قائلا :
- تقصروا راح تتغدوا أية النهاردة ؟
- راح يكون أية يعنى ؟ . عدس أو فول ؟
- ويجيبه المذء العادبة فى السجن « أستاذنا » وأما فول . أو كما كنا نطلق على العدس اسم « العدس الزلط » أن العدس الملو زلطا ، وعلى الفول اسم « المسوس المقول » . .
- طب واذا أكلتوا طبيخ . .
- طبيخ !
- طبيخ !
- وده مقول ؟

- وإذا حصل ؟
- ويندفع الزميل مسئول « الحياة العامة » أعطيك علبة سجائر هوليود
- لارج ؟
- لا .. صغيرة ..
- راح تتغدوا .. فاصوليا بالدمعة وأرز وطبعا لحمه ..
- لحمه وفاصوليا ورز .. مرة واحدة ..
- ده حلم ولا علم يا ولاد ..
- ويقف أحمد خضر على أطراف أصابعه في محاولة يائسة ليكون رأسه على ارتفاع معقول ، فهو قصير وبدين ، ويقول بصوته المرسع ولسانه الأدغ :
- يا زمبل أنا لا « أعلف » ، أعرف .. المستحيل ..
- ويرد عليه زملاء .. عالفين « يعنى عارفين » ..
- وأضحك مع الزملاء .. ويقول أحمد خضر :
- طب وانت بنضحك ليه با درش .. الحال من بعضه ..
- الأدغ صحيح .. لكن طولك مرتين ..
- ويجرب الزملاء وراء أحمد خضر الذى يعطى كل زميل نصيبه من اللحمه والفاصوليا والرز . كله على بعضه فكل زمبل لا يملك غير قروانه واحدة يستخدمها فى الأكل وفى شرب الشاى وعند الاستحمام ، بل وفى نقل الرمال من الأرض الى « الفقة » أثناء العمل فى الموقع عند عين المياه .
- بعد قليل يرتفع صوت أليف محبوب ننتظره دائما بعد كل وجبة طعام ..
- الشاى يا زملا .. الشاى ..
- ونجرب نحو نبع الشاى .. وتثور نفس المشكله ..
- مستحيل أفرط فى نقطة ميه .. الميه دى علشان طبيخ العشا
- يا أخى نجيب لك غيرها ..
- ويأتى صوت صلاح حافظ :
- يا زملا نضفوا القروانه بشوية رمل ..
- الشاى « يكرف » من ريحة الطبيخ ..
- الرمل يضيع الريحة ؟
- على مسئوليتك ؟
- جرب .. لن تخسر كثيرا ..
- ويجرب الجميع الى أقرب مكان به رمال ساخنة ينفثون القروان ، ثم يعودون لأخذ الشاى .
- متى نشرب الشاى زى البقى آدمين ؟
- منظر الشاى فى الكباية الزجاج .. رائع ..

- ليه طعم الشاي فى الكباية أحسن من الفنجان ؟
- فعلا .. ليه ؟

الجميع يوافقون • ولكن لا أحد يعرف لماذا ؟

وننصرف لقضاء القيلولة فى الخيام • الاحساس بالراحة بعد العمل
المضنى ممتع • هؤلاء المتخمون بالراحة لا يحسون بها ، يمتصون
دماء الكادحين ويشربون عرقهم وهم فى مكاتبهم المكيفة ، ويعقدون
الصفقات وهم فى أسرتهن الوثيرة ، ويصرفون الآلاف على موائد القمار
دون أن يختلج عرق واحد من عروقهم • حتى عقولهم لا تعمل فقد
استبدلوا بها أموالهم التى يتتقنون بها العقول كما يشتررون الأبدان •
يجب ألا ننام قبل أن نقرأ • • • عذا ما تعودنا عليه • فهل نستطيع
القراءة قبل نوم القيلولة ، وبعد هذا العمل المضنى الذى قمنا به
منذ فجر اليوم حتى الثانية عشر ظهرا ؟ امسكت بكتاب لأقرأ فيه وأنا
ممدد على سريري الخشبي • ورغم جفاف مادة الكتاب فإن ذهني
كان يتجاوب معها بشكل غريب • هل يمكن أن يكون جسمي محدودا
الى هذا الحد ويظل الذهن متوقدا ؟ ورحت أستكشف ما فى داخلي !
أحس بأمان الى حد كبير بعد أقل من يومين من تواجدى فى هذا السجن •
فما هو مصدره ؟ يبدو أن ارادة **التحدى** من أجل استمرار حياتنا بالعمل
الجماعى ، فضلا عما نلاقه من معاملة انسانية من المأمور والضباط ،
كل ذلك أبعد احتمالات تدبير **مؤامرة لاغتيالنا** • حتى لدغة « **الطريشة** »
لم نعد نفكر فيها كثيرا • بل لقد كدنا ننسى خطرنا تماما • حقا
صوت الحياة هو الأقوى • وبقدر ما يرتفع صوت الحياة فى داخل
الانسان بقدر ما يتوقد ذهنه وينشط حتى ولو كان جسمه مجهدا
متعبا مكثورا •

أذكر أن عيني لم تغف أكثر من عشر دقائق ، قمت بعدها وقد دب
النشاط فى جسمي الذى كان متعبا منذ أقل من ساعتين • نداء العمل •
هذا هو أحد أشكال صوت الحياة التى قررنا أن نبنيها بسواعدنا
الفتية • كان النداء • • • دقائق رتيبة على جردل ماء تتوقف لحظة • •
ثم تعود مرة أخرى ، • • • وما أن تتوقف دقائق المرة الثالثة حتى يكون
جميع الزملاء قد انتظموا فى طابور العمل • النداء • • • نظى الشفاه ،
والنحدي يفيض على الوجوه انسانية • كنت أرى كل الزملاء ، وأحس
بهم ، من خلال ما أراه فى نفسي وأحسه • عاندا أراهم أكثر نشاطا
وحيوية ، وأكثر احساسا بالأمان • أغلب الظن أن ما دار فى ذهني
خلال فترة قيلولة الظهر هو نفس ما دار فى أذهانهم ، كانت هذه الوردية
الثانية فى اليوم الثانى من وجودنا فى سجن الواحات التى تذهب
من أجل جلب المياه • خلال سيرنا وجدنا الزميل الكهربائى ومعه

ملاحظ ماكينه الكيرباء ، و٤ مساجب يعملون فى مد أسلاك كيرباء ، قال
للزملاء الذين يحملون الكلوبات . .

– مفيش نقه فى كلامى والا أسه ؟ . .

وبرد مادد المسيرة .

– أبدا . كلنا بقه . بس من باب الاحتياط . .

– على أى حال اطمئن . . راح تكملوا السفل على نور الكيرباء . .
عندما تمتلىء نفس الانسان بالنقة يصنع المعجزات ، النقة فى النفس
تمنح الانسان مدرة هائلة على العمل والذاق والابتكار . وهذا الذى أراه
يجرى وأشارك فيه أكبر دليل على ذلك . لا أظن أن الذين ألقوا بنا
فى هذا المكان من الصحراء البعيد عن الماء ، مصدر الحياة ، كانوا
يحسبون أننا سوف نتغلب على هذه المشكلة وبهذه السرعة فى التفكير
والتخطيط والتنفيذ .

الساعة تقترب من العاشرة مساء والعمل لا يزال مستمرا بنفس الحيوية
والنشاط . . وذايح من بعيد الوردية النالذه فى طريقها ابدا . تصبح
صوت :

– الوردية النانية تسلم للوردية الثالثة . .

وترتفع أصوات . .

– سنواصل العمل معهم . .

– لسه عندنا ما نعطيه . .

وتهتف أعماقى فى صمت : أبدا لن تتوقف عطاؤكم يا أبناء مصر البررة
ومصريا أحيائى معطاة ، أعطت للانسان مالم تعطه أى بلد آخر فوق
هذا الكوكب ، حكام مصر اليوم با أحيائى لا يعبرون عن وجهها ، فلا
تكثرنون لما يملونه ضدكم . مصر الغد ، هى مصر الشعب وساطته . هى
مصر الكادحين والعارقين . انتم منلى ترونها فى الأفق ، البعيد
القريب ، الحلم الأمل . ما هنقوا من الأعماق أن مصر قد أصبحت للشعب .
لا أعرف كم مضى من الوقت حين توقفت عن العمل وأخذت اتأمل وجوه
زملائى وهم يعملون ولا أعرف أيضا كم من الوقت كانت تأملاتى
ستمستفرقه . . فقد جائنى صوت **وليم اسحق** الذى كان يقف الى جانبى
دون أن أحس به . . يقول :

– اسمع يا درش انا لازم أرسمك صورة بالزيت . .

– صحبح يا وليم . . ياريت ! لكن ابه المناسبة ؟

– تقاطيع وجهك القوية المحددة تلهب فرشائى . .

– دايما أسمع منك الحكاية دى . .

– لم أرها بمثل هذه القوة . . كما رأيتها منذ لحظة . .

– ليه بقى . . ؟

- ١٠ كان يدور فى أعماقك جسده تعبيرات وجهك .. تداخل فيها
هذا الضوء .. يا دين النبى .. يا عالم فرشاة وألوان .. راح أتجنن
وأجد ذراعى تحتضنه فى حنان .. والدموع تفر من عيني وأقول
له ..

- بس يسمحوا بالطرود .. وكل اللى أنت عاوزه راح ييجى .
وكالأطفال يصيح ولييم :
- ده أنا أبقي ملك .

ومنذ ذلك اليوم ونحن نطلق على ولييم اسحق اسم « ملك الصحراء »
صبحنا نناديه « ياداك » وكثيرا ما كان يغضب اذا لم يناديه أحد
ذا الاسم الجديد . وكثيرون حتى بعد خروجه من السجن لا يعرفونه
باسم « المالك » .

ينتشر نور الفجر ونلمح الوردية الأولى فى اليوم الثالث قادمة إلى
قم العمل . أتربة كثيفة تثيرها أقدامهم السائرة فى نبات ، تغطى
سامهم ووجوههم ولكنها لا تستطيع أخفاء تعبيرات اصرارها وتحديها .
ترتفع الصوت المألوف ..

- الوردية الأولى فى اليوم الثالث تستلم ..
وبصر بعض الزملاء فى الوردية الثانية والثالثة فى اليوم الثانى
فى الاستمرار ، لكن قائد العمل يرفض بشدة
- ان أجسامكم عليكم حقا ..
- اسمعنى أذت .

- انا لا أبذل مجهودا جسمانيا مثلكم ..
- مهما يكن الأمر من حقا أن نستريح ..
- حسنا .. ساعود معكم ..
وبعد أن يسلم قيادة العمل الى أحد مساعديه . يسر الجميع فى
ب ومودة . وبدور حوار . يسأله أحد الزملاء :

- أبه رابك .. راح نخلص فى الموعد المحدد ؟
- اذا سار العمل بالمعدل الحالى .. يتأخر يومين .
- لكن .. لازم يخلص فى الموعد المحدد ..
- دى بقى مسألة نتوقف ماى همكم
- سنضاعف من نشاطنا ..
- لازم نبذل مجهود أكبر ..

ونصل الى خيامنا بعد حوالى ساعة من فجر اليوم الثالث لوجودنا
فى سجن جناح . نستلقى على الأسرة فى محاولة للنوم . ولكن يتوقف
ذهن عن العمل وهناك سؤال مطروح ، طرحته ظروف العمل فى الموقع .
يف يتم انجاز هذا العمل فى الموعد المحدد ؟

ويطرح هذا السؤال أسئلة أخرى : هل يكفي الحافز المعنوى ؟ وهل الوعى هو الشكل الوحيد للحافز المعنوى ، أم هناك أشكالاً أخرى ؟ وفى عمل مثل هذا الذى نقوم به ألا يمكن أن يكون الحافز المادى دافعا للعمل ؟

وفى مثل حالنا هذه كيف نحدد الحافز المادى ، وما هى أشكاله ؟ وتستمر المنافسة أكر من ساعتين لتنتهى الى صياغة محددة هى : الوعى بخطه العمل وأهدافها هو الأساس فى أى عمل جماعى ولصالح المجموع والعمل بروح الفريق ، لا تلغى المنافسة ، ويمكن أن يكون التنافس بين فريق وفريق ، والحافز المعنوى يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفة ، مثلا : وسام للفريق الذى ينجز عملا أكبر ، أو شكر وتقدير يعلن شفاهة بعد انتهاء عمل الوردية ، ويمكن أن يكون أيضا وفى نفس الوقت حافزا ماديا ، مثلا : علبة سجائر للفريق المتفوق ، أو قطعة لحم زيادة لكل فرد منه .

وأحمل هذه الصياغة الى باقى الزملاء ، والى الأخوان المسلمين وبعد مناقشة يوافقون عليها بحماس ، وعند استلام الورديات من بعضها البعض فى نهاية كل يوم يعلن قائد العمل اسم الفريق المتفوق . أذكر أن أول فريق تفوق اقترح زميل أن يأخذ الفريق وسام مصطفى كامل . ووفق على الاقتراح عندما ارتفعت أصواتهم بنشيد . . بلادى . . بلادى . لك حبى وفؤادى . وكان الحافز المادى هو علبة سجائر هوليدود . أى أن نصيب كل زميل كان سيجارة واحدة حيث الفريق مؤلفا من عشرة ، وترتفع أصوات :

- راح تشرب سيجارة بحالها . .
- لا على ثلاث مرات . .
- برضه ما جاوبتنس على السؤال . .
- لا . . طبعاً . . معقول أشربها لوحدى ؟
- طب هات نفس . .

ويتجمع الزملاء حول حاملى السجائر . يختلسون بضع دقائق ويجلسون جماعات . . جماعات . . ويدخنون بلذة ومتعة . . وتختلط الأصوات . .

- انت برضه راح تولع ثلث ؟
- أمال يعنى أولع السيجارة كلها . .
- يا أخى دحنا ستة .
- نصف سيجارة بس . .
- لا تكفى . . ولع السيجارة كلها . .
- وبكره أعمل أياه . . نفسى أشرب نفسين للصبح . .
- يا أخى اصرف ما فى الجيب . . يأتيك ما فى الجيب . .

- ده تفكير غير علمى يا زميل ..
- يا أخى ماتزودهاش ..
- يا الله ان شالله ما حد حوشى ..
ويعودون الى العمل اكثر نشاطا وأكثر حيوية • وكل فريق يناضل
أجل الحصول على عتبة سجاير وأحد الأوسمة • وتمر الأيام سريعا
سم انجاز العمل فى موعده المحدد •
وكان مشهدا مثيرا • مشهد نزول المياه من الصنابير فى قلب الصحراء •
أحكى لك عنه يا حبيبتي فى رسالتى المقبلة ،

٤ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٧)

حبيبتي

كأنما كان الأمر اكسافا جديدا لم تعرفه البشرية من قبل . الماء يجري في مواسير أكثر من ٥ كيلو مترات وينزل من الصنابير . يا للسعادة ! نستطيع منذ هذه اللحظة أن نفتح الحنفية لينزل منها الماء ، نشرب ، ونستحم ، ونطبخ ونخبز منه ، بل ونستخدمه في ري قطعة أرض نزرعها . هل نزرع خضارا فقط أم نزرع بعض الأزهار والورود أيضا ؟

ويدور حوار طريف :

- طبعا خضار بس .. طماطم وخيار وجرجير وفجل وفول و .. و ..

- والفواكه ؟

- بطيخ وشمام ..

- وليه مش يرتقال كمان

ويضح الزملاء بالضحك .

- بتضحكوا ليه ؟

مرة أخرى يضحون بالضحك . ويرتبك الزميل ، وأخيرا يعرف سبب

الضحك :

- انت ناوى تقعد في السجن لغاية لما يطلع البرتقال ؟

ويرد الزميل في غضب .

- خلاص غلطت في البخاري ؟

كان هذا الزميل طيبا الى درجة تصل أحيانا الى حد البلاهة ، وكان

حسن النية الى درجة أنه يمكن أن يصدق أى كلام يقال له من زميل .

اليس زميلا ؟ وكانت له في نفس الوقت قدرات هائلة على خلق صداقات

مع أى انسان يلتقى به في الحى ، وفي الجامعة حيث كان طالبا ، وفي

الأندية المختلفة التى يتردد عليها ، وكان محبوبا من الجميع بنقون

به ثقة تامة ، ويعتمدون عليه في حل أى مشكلة تواجههم ..

وبحكى عنه الزملاء قصة طريفة ، حقيقية ، طلب منه مسئولة

يوما أن يجند بعض الفلاحين في بلدته ما دام يملك هذه القدرة على

خلق علاقات وصداقات . وجاءه في اليوم التالى مباشرة يزف اليه

خبر تجنيده أحد الفلاحين . واندعش مسئولة .. بهذه السرعة سافر

الزميل الى بلدته وعاد منها بعد أن جند فلاحا ؟ فسأله :

- اخفت تسافر البلد وترجع ؟
- من مال اننى سافرت
- امل الفلاح ده منين ..
- طالع بغي كليه الطب « جامعة غواد »
- وضحك المسئول وقال :
- بأمولك فلاح من طالب ..
- فرد عليه ببراءة شديدة :
- طيب ما هو طالب فلاح ..
- والغريب أن هذا الزميل الذى يملك هذا الفدر من حسن النية ، وانطية .
- يملك فى نفس الوقت دهاء يفوق دهاء النعلب ، وذكاء حادا ، وذاكرة
- قادرة على حفظ أى شىء يمر بها ! كنا نكلمه بأخطر التكاليفات
- داخل السجن ، وارسال واستلام الخطابات والتقارير المرسله ما والوارد
- الينا . كما كنا نسنعن بذاكرته عندما نحتاج الى نص محدد فى مرجع
- محدد ! حتى بعض الاحصائيات التى تكون قد مرت عليه يعبد ذكرها
- دمدبى اذنه . كذب أحبه كائن أكثر مما كنت أحبه كزميل . لبس نط
- لصغر سنه فقد كان هناك زملاء فى مثل عمره . وكان هو أيضا
- بالجأ الى لا بوصفى رملا له أو مستولا ، ولكن باحساس الابن .
- المحبه مسنمرا فى الحوار ولكن لا أسمع . بحرى نحوى وعلى وجهه
- غضب ، ويقول .
- أظن ده بيمى بيمى منتهى الرفاهية .
- أبه عوه ؟
- يشير الى أحد الزملاء ، ويقول :
- عاوز نزرع ورد وزهور
- ورود وزعور بس ؟
- تقول بعض تعبيرات الغضب من وجهه :
- لا طبعاً . حضار كمان
- .. بيتي أبه فضيلة ؟
- المشكلة ان حب نستفيد من الأرض والماء راتوس فى ررع خضار
- علشان الأكل وبس ..
- طبعاً الأولوية للخضار ..
- ما كفاية الخضار .. أيه لزوم الورد ..
- برضه .. مفيد ..
- مفيد فى أياه .. بيتاكل ..
- لا له فوايد أخرى .. متعة جمالية مثل الموسيقى مثلا .
- بس بشرط ..

- مفهوم .. بشرط توفير كل احتياجاتنا من الخضار .. موافق ؟
ويبتسم في هدوء .. ويعلن موافقته .. والطريف ان هذا الزميل كان
أول من قام بزرع ورد وأزهار أمام الخيمة التي يسكن فيها . وكان
بقف لحراسها طول وقت فراغه ، ويعهد بها الى زميل آخر عندما
يكون مشغولا في عمل بعيد عنها نظير وردة يعطيها له .
الحركة لانهدأ عند صنابير المياه التي أتينا بها عبر الصحراء ،
البعض بملاوون الجرادل وبذهبون بها الى المطبخ ، وآخرون الى الخبز ،
وبعضهم بسنجم في الهواء الطلق ، فالعمل في الحمامات لم يبدأ بعد
فما زلنا في انتظار الخزانات وطلبات المياه التي وعدنا بها المأمور
وقد سافر خصيصا من أجل احضارها هي ولوازم أخرى . فجأة نسمع
أصوات بعيدة تردد نسدد : بلادي . بلادي . الصوت يقترب ، موكب
من ست سيارات تتقدمهم سيارة المأمور البيك آب ، عربتان بهما زملاء
يرددون النشيد ، و ٤ عربات لوري تحمل أشياء كثيرة لا ننبين منها
سوى الصهاريج .

- ادن نعد نعد المأمور ما وعد به ..
- ومن هؤلاء الزملاء .. ؟
- أحكام جديدة بالأسغال السامة ؟
- ربما ولكن من .. ؟
- يصرخ أحد الزملاء ..
- دول الزملاء اللي في سجن مصر ..
- لكن دي أحكامهم سجن بس ..
- لازم راح يلومونا كنا على بعض .
- دي تبقى مخالفه صريحة للقانون .
- قانون أيه اللي أنت حاي نفول عليه ؟
- يقف العربات عند باب السجن . يجرى إليها الزملاء يستقبلون زملائهم
بعد فراق سنوات . **مأمور السجن وضباطه وجنوده** يشاهدون هذا
المشهد الانساني في صمت .
- قوة اللحظة وعمق انسانياتها يمكن أن تحرك الجانب الانساني حتى
عند أشرس البشر فما بالك ومعظم هؤلاء وعلى رأسهم المأمور قد أصبحوا
شبه أصدقاء لنا .
- بصوت ودود يقول المأمور :
- انتو بقى مبسوطين بحضور زمائلكم .. والا بالصهاريج دي ..
- ويصيح الزملاء في وقت واحد :
- الاتنين طبعاً ..
- الخير على قدوم الواردين .. جبت لكم كميات هائلة من الطزود ..

وللتأكد يسألون :

- طرود أيه ..
- طرود من أهاليكم ..
- هايل « لازمة مجدى فهمى »
- عظيم « لازمة زكى مراد »
- مدهش « لازمة صلاح حافظ »
- آهو ده النفل « لازمة ملك الصحراء »
- رائح « لازمة محمد شطا »
- تمام « لازمة سعد باسينى »

لم تهدأ حركة الاهالى منذ غادرنا ليمان طره الى سجن « جناح »
بالواحات الخارجة . كانوا يترددون يوميا على مصلحة السجون والمباحث
العامة برئاسة الجمهورية ودور الصحف والنقابات المهنية والعمالية ،
كتبوا مذكرات لكل المسئولين فى الدولة ، ووزعوا بشكل على بيانا على
الشعب عن ترحيلنا المفاجيء الى مكان ما فى الصحراء ، ورغم الوعود
الى أعطيت لهم بريارتنا ، ورغم التصريح بالزيارة لروجة أحد المسجونين ،
فما زالوا ممنوعون من الزيارة . والطرود والخطابات لم يصرح بها .
وبحمل البيان فى حتامه مسئولية المؤامرة الى تدبير صدنا . ولما
وجد الاهالى بباطوا فى بعض مطالبهم دخل عدد منهم مصلحة السجون
وأعلنوا **اعتصامهم واضرابهم عن الطعام** حتى تجاب مطالبهم أو الموت مع
ذويهم الملقى بهم فى الصحراء . عرشنا هذا من الزملاء الذين أنوا الينا
من سجن مصر .

وحين نسكر **ماهور السجن** على جهوده التى كالت بالنجاح فى مصلحة
السجون ، بمول بنواصح .

- الشكر لأهاليكم .. دول حقبى أبطال .. همه الى حلوا المسئولين
يقتنعوا بمطالبكم . كل الى عملنه أنى ومفت الى حادب هذه المطالب .
وينجيه المأمور الى داخل السجن وبرى حنفيات الجاه . فبصح فرحا .
.. .. والله أبطال

- والطلمبابة .. تحت فى موء

- طيب بالله بقى علشان تستلموا الطرود

بعض الزملاء بمسى فى بسات نحو مكذب المأمور ، فهم يتقون بأن
لهم طرودا .. والبعض الآخر يقدم رجلا وبؤخر رجلا ، ترى هل
عندهم فائض كى برسلوا طردا ؟ . وبافى الزملاء لم بكاف نفسه عناء
الذهاب ، ان أهله لا بملكون قوت يومهم فمن أين بأنون اليه باحتياجانه ؟
ومع أن نظام « **الحياة العامة** » يصادر كل ما يأتى الى الزملاء من
طعام وسجاير ونقود ويوزعها على الجميع بالتساوى ، لا فرق بين الزميل

المقتدر وبين الزميل المعدم ، الا أن مجرد وصول أى شىء مهما صغرت
قدمته للمسحور دافع معنوياته الى حد لا يمكن تصوره . مرات كثيرة
رأيت فيها زملاء لم تصلهم طرودا أو نقودا ، فى عيونهم حزن وأسى .
لانسقطع ابتساماتهم المفتعلة أن تخفيها . ربما كنت أكثر احساسا من
غيرى بهؤلاء الزملاء . نعم كنت - فى أغلب الأحيان - واحدا منهم .

كان الضابط ينادى على أسماء أصحاب الطرود ، بينما كنت أضع
يذى على قلبى . خوفا على نفسى ، وعلى عدد من الزملاء أعرفهم جميعا .
عذه أول مرة يرسل لنا فيها الاهالى طرودا . والذى لا يصله طرد فى
هذه المرة بالذات سوف يأخذ عقله ويعطى ، ترى هل أصابهم مكروه ؟
هل يئسوا من عودته فقرروا أن يقطعوا صلتهم به ؟ الى هذا الحد وصلت
حالتهم التى لم نمكنهم من ارسال حنى عليه سجاير ؟

أوزان الطرود يبدأ أكبرها ما يزيد عن ٢٠ كيلو جرام ولا يزيد أصغرها
عن ٢ كيلو جرام والمحذوبات أيضا مختلفة ، فى بعضها « مارون جلاسيه » وفى
بعضها الآخر « حزنكش » ! و « الحرنكش » عبارة عن حلوة مصنوعة من بقايا
العسل الأسود ، و « المارون جلاسيه » - كما أظن - أبو فروه مكسوة
بالشكولاته !

وأسمع اسمى ، ويسمع كل الزملاء دون استثناء اسماءهم .
حمل كل زميل طرده وهو سعيد غاية السعادة . الجميع سعداء لكن الأكثر
سعادة كانوا أصحاب الطرود الصغيرة فى حجمها وفى قيمتها ، ذهبوا جميعا
بها الى مسئول « الحياة العامة » . ليتولى مصادرتها لصالح الجميع
بالمساواة الكاملة . وكان يوما مشهودا ، كان موعد الغذاء قد حل . وحين
سمع الزملاء دقات نداء الغذاء المعتادة ذهبوا اليه متكاسلين ،
متباطئين . يأخذون نصيبهم من الطبخ والأرز واللحم . حين لا يسمع
الزميل أحمد خضر التحيات والتقديرات المعتادة لطبخه ، يصيح بصوته
المسرّس :

- آيه يا زملا . بطاطس ولحمة ورز . . . مش عاجبكم ؟

لا يسمع أى مديح . بل ولا ردا على سؤاله .

- أطبخ لكم بفتيك . . . مبلبه . . . لحم بارد ؟

ثم يصرخ بغضب . . .

- شىء بارد صحيح . . .

ويجوزى حوار طريف :

- يا أحمد وأنت مالك بس

- أمال مين اللى ماله . . . مش أنا مسئول الطبخ ؟

- وحد قالك حاجة

- أمال مالكو متيسين ليه ؟ .

- يا أخى أفهم بقى ..
- أفهم أيه ؟
- سفيه طرود وصلت النهاردة ..
- وأنا فى المطبخ .. ولا دارى .. وأنا جالى طرد
- طبعاً .. واستلمناه ..
- طيب أعرف فيه أيه ؟
- روح لمسئول الحياة العامة .
- ويجربى أحده خضر الى مسئول الحياة العامة تاركاً جرادل الطبيخ والأرز واللحمة ، والمغرفة ما زالت فى يده ليعرف ماذا أرسل اليه أهله !
- وترتفع أصوات دقات الملاعق على القروان .
- تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..
- ويأتى اليهم صوت مسئول الحياة العامة .
- طيب يازملا .. طيب .. عارف طلباتكم .
- ويخرج من خيمته كالطاووس يتبعه ثلاث زملاء ، ويحمل الأربعة غطيان جرادل « وعليها ما إذ وطاب مما أرسله الأهالى فى طرود اليوم
- بفتيك .. !
- فيلييه ..
- فراخ ..
- ديك رومى مرة واحدة .
- والله عمرى ما كلته ..
- والفيليه دى لجمه مشوية ولا محمرة ؟
- مشوية يا بنى آدم ..
- اتمدنوا بقى ..
- والبفتيك بالردة والا بالحقيق ..
- يا جدع بالبقسماط المجروش ..
- والله راحت عليك يا أحمد يا خضر ..
- ويصرخ أحمد خضر . ويلقى محاضرة :
- يازملا انتو بتفكروا بطريقة آنية ، استراتيجيا بقى أنا اللي اكسب .
- ذكروا أن الطرود إن ذلتكم كالمشمس .. وكمان مش راح تيجي كل ..
- محتوياتها دى ..
- الآن مرة بيعت ذها الأهالى طرود بعد ما جينا هنا فى الأسر .. وطبيعى أنه ...
- وتقاطعه دقات الملاعق على القروان :
- تك ، تك تك .. تك ، تك ، تك ..
- ويستطرد أحمد خضر :
- أنا بقى عمرى ما تهمنى المقاطعة .. أنا بقى فى النقابة لما كنت

أخطب .. ويقاطع مرة أخرى :

- تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

- النفابيون الصفر .. كانوا بيقاتعوني زيكو كده ..

ومرة ثالثة :

- تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

ويقول مسئول الحياة العامة :

- يا أحمد دول من بيقاتعوك ولا حاجة ..

ويحتج أحمد ويقول غاضبا :

- ازاي بقى من بيقاتعوني .. انا احنح .. أيه رأبكو يازملا ؟

ومرة رابعة :

- تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

ويخرج مسئول الحياة العامة . مسرعا ثانية ، يتبعه ثلاث زملاء ، يحملون الماكهة .

- تفاح

- منجى

- بريقوق ..

- والله الحبسه أحلوت

- نعمة يصونها من الزوال ..

- اللهم ما أجعله خير .. عبنى بتصرف ..

وترتفع أصوات بعض الزملاء .. عبنى بتصرف يا حبة عبنى ، باللى حرمت النوم من عبنى . خير ان نساء الله . والله ما كان على بالى دا كله .

وبينما يتوجه الزملاء لغسل أيديهم وقرواناتهم لأول مرة من الحنفيات ودون مشاكل مع أحمد خضر مسئول الطببخ يعلو صوت يقول :

- خبر هام يا زملا .. كل واحد بستنى مكانه ..

ويعلن مسئول الحياة العامة .

- ابتداء من اليوم .. فيه نساى زيادة الساعة خمسة .

- فايف أو كلك تى .. يا عبنى ولسه .

وينصرف الجميع الى ختبتهم لقضاء قيلولة الظهر . واستلقى على سريرى الخشبى . كنت حزينا رغم كل ما عشته من مرح خلال الساعات الأخيرة وكنت قلقا لسبب لا أدري مصدره على وجه التحديد ، رغم الانفراج الذى حدث فى السجن .

وكانت وقفه تأمل مع النفس .. تستحق أن أخصص لها رسالتى المقبلة ، فالى اللقاء يا حبيبتى ..

٥ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٨)

حبيبتي

مى ببص الاحيان يعلو فى داخل الانسان صوب أفوى من كل الأصوات،
بالحاح ، ذف لحظه تأمل مع نفسك . ولقد شهدت سنوات عمرى منذ
تسببى عددا من هذه اللحظات النى أحدثت كلها انعطافا حاسما فى
حياتى على المستويين العام والخاص . قبل أن أدخل السجن ، وخلال ،
وبعد خروجى منه ، كانت اللحظة التى حدثت عندها فى رسالتى السابقة
واحده منها . « أرى فى عينيك الرغبة فى حديث عن كل تلك اللحظات ،
أعدك فى رسائل مقبلة ، ودعيني أحدثك عن هذه اللحظة بالذات ، لحظة
دهابى لفضاء فيلولة ذاك اليوم الذى شهد استلامنا جميعا طرود طعام
وسجائر وحلوى وفاكهة من أهالينا .

قل أن نستلقى على أسرتنا الخسبية ، وفى حركة تلقائية ، أخذنا
جميعا نأمل بفرح الملابس النى وصلتنا من الطرود ، وتوالى التعليقات:
« مجدى فهمى - أمى هية اللى وصلت لى الببجامة دى .

- وعرفت ازاي يا مجدى ؟

- ودى محتاجة لذكاء ..

بضحك بحب وحنان ويستطرد :

- سوف واسعة ازاي ..

« سعد باسيلى » - سوف ببجامتى .. آخر تمام

- طبعا شغل معلمين ..

- ده تخصص با أستاذ ..

« فنذة أحت سعد باسيلى اضطرناها الظروف بعد سجن أخيها الى احتراف

الخياطة »

« مصطفى : مال خليل » - والله بساطة هراتي - عملية جدا .. سوف

« أمى : « شغى سجن بتور »

- أنا النى شغىها ارأى نفصل الهدوم ..

- لك حق ما انت بناع كله .

ويستمر الحوار ، لم تكن حوارا بين الزملاء ، وإنما كان حوار بينهم
وبين أهاليهم . وأدرك سبب النداء الذى يلح فى داخلى . قف مع نفسك
لحظة تأمل . الحوار مع الحياة يجرى من خلال قنوات عديدة ومتنوعة،

- لماذا ؟

- قدراتك على الابداع والخلق تنضاعف عشرت المرات من خلال علاقة خاصة جدا .

لم أكن أدرك عمق هذه الكلمات التي سمعتها من مجدى فهمى مرات عديدة خلال أكثر من عشرين عاما . عرغت مغزاها وعمقها ، ودلالاتها خلال هذه الأيام فقط . أنت فاسية يا حبيبتي .. لماذا لم دأت الى هذا العالم مبكرا ؟

كان السبب المباشر لحالنى النفسية فى تلك اللحظة البعيدة التى عشقتها فى قلب الصحرَاء منذ ما يقرب من العشرين عاما . هو اننى لم نعد لى علاقة خاصة ، أمى ماتت ، واختى بقرت حوارنا ، وروجنى « ميمى » استسلمت لضغط ظروفها . هكذا فقدت حنان الأم ، والأخت ، والزوجة . وليس لى صديقة أو حبيبة . حتى أخوتى - عدا مسعد ولم يكن بد تزوج بعد - انصرفوا جميعا عنى . وكان يمكن أن أجسد عند زوجاتهم ، أو احداهن ، عطفاً برطب ملبلا من الجفاف الذى أعانيه .

لم بعد هناك أى مبرر لاستمرار علاقات وهمية بعد أن فقدت كل مفوماتها ، فالعلاقات الزوجية ، وحتى علاقات الدم ، لا يمكن أن تستمر ، وبالنالى بجب الا نصر عليها ، ما دامت قد فقدت قيمات بقاءها ، واستمرارها . وأحسست بهدوء نفسى بعد اتخاذ هذا القرار .
الأصدماء الفريزون منى ، وكل من تربطنى بهم علاقة خاصة يرون ان تعديرات وجهى بكشف بوضوح عما يدور بداخلى ، ويبدو أن مجدى فهمى وكان مستلما على سريره بحوارى يتابع فى صمت انفعالاتى الداخلية التى يعكسها وجهى . فال وايتسامه ودودة تكسو وجهه :

- عاوزين نقعد فعده النهاردة

- انا محتاج قوى لهذه القعدة

- باريدك نكون ما اتخديش قرار

- خى لو حصل .. ممكن تراجع عنه بعد المناقشة .. انت مش

عارف الحكاية دى با مجدى ؟

ولا سنغفرق حديثنا أكبر من نصف ساعة لينبمى الى الفرار نفسه .
أكبر الحديث الك بشارى ، حتى الحوار المتصل هو جوهر كل الاتصالات الإنسانية وهذا الحوار على أسس إنسانية مشتركة صدر ما نسمو ونسّور ، وسوفنا الحديث الى تقييم تجربة علاقتنا النى لم يكن قد مضى عليها أكثر من أربع سنوات .
ونتفق على أن هذه العلاقة وان بدأت مجرد علاقة نضال ، الا انها تطورت بسرعة هائلة الى علاقة صداقة قوية ، حيث يجمع بيننا التكوين الإنسانى المشترك .

واليوم - بعد أكثر من ٢٦ عاما - منذ التقيت بمجدي فهمي نصل صداقتنا الى أروع وأعظم ما يمكن أن تصل اليه صداقة . انها تجربة عظيمة تستحق أن تسجل في عمل كبير ، فأبعادها العميقة في نفسينا التي اكتسبتها ليس فقط من خلال الاتفاق الفكري والوجداني ، والنظرة الانسانية المشتركة ، ولكن أيضا من خلال صمودها لمحاولات لم تتوقف - وللأسف من زملاء - لضربها أو النيل منها . محاولات وصل بعضها الى درجة من الندنى تفسر لها الابدان . وعينا راحت كل محاولات الأصدقاء ، والأعداء لتتال من صداقتنا الوطيدة . ما أروع العلاقة الانسانية حين تتحول الى تجربة حية ، من خلالها يستطيع الانسان ، ان يفكر بذهن صاف ، وأن يخلق ويبدع ويبنكر .

ونفصرف سويا وقد تشابكت ايدينا نردد في صمت قسم المحافظة على تجربتنا الفريدة كما نحافظ على حبات عبوننا . وفي الصباح نفاجأ بجلسة انسانية رائعة مع أم مجدي فهمي وأخت سعد باسيلى ، أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة . باحبيبتى

٨ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٩)

حبيبتي

كان لوفقتي مع نفسي ثم حوارى مع مجدى فهمى أسرعما العصى صى وجدانى . لقد نفقت عن نفسي أو هام علاقات زوجية وعائلة كنت متعلفا بها سنوات طويلة منذ دخلت السجن . وبدأت مرحلة جديدة من رحلة علاقاتي الانسانية خلال سنوات سجنى . حقا لقد كانت علاقاتي بكل من التقيت به من الزملاء ، وعدد كبير من الأخوان المسلمين ومن المسجونين العاديين تنسم بطابعها الانسانى ، لكنها كانت لا يمكن أن تكون البديل للعلاقات الانسانية الخاصة مع الأم . أو الأخت ، أو الزوجة ، ربما كانت العلاقات الزوجية أو علاقة الدم مع المرأة هي أكرس العلامات الانسانية التى يجد فيها الرجل ، وبصفة خاصة المسجون لمسات الحنان . ولكن اذا نومرت كل الظروف التى نوفرها مثل هذه العلاقات عند أم صديق ، أو زوجته ، أو أخته . ألا يمكن أن نكون بديلا لعلامه الزواج أو الدم ؟ كان هذا السؤال بلح على ، يطلب اجابة تطبيقية للإجابة النظرية التى تقول : نعم . . يمكن . فما العلامات الانسانية بجوانبها المختلفة الا توافق عاطفى ووجدانى ، جسده الظروف الموضوعية المناسبة . وتنساء الصدمه - وكثيره هي الصدف التى لعبت فى حياتى دورا هاما - أن تعطينى الاجابه العملية المؤسده للفكرة النظرية .

كانت الساعة لانجاز البانبة عسر ظهر يوم بعد فى سجن «جناح» **بالواحات الخارجة** . عربية تقف على باب السجن الخارجى . ومن بعيد نلمح ثلاث سيدات ينزلن من العربيه . نساء فى قلب الصحراء ؟ من هن ؟ وكدف وصلن الى هنا ، ويحرق الرمل الى هناك . جرب بعدهم بقليل ، لأجد نفسي بين أحضان أم مجدى فهمى ، نميلنى بحنان بالغ . حنان الأم الذى فقدته منذ سنوات بعيدة . ثم تقبلنى زوجة أخ مجدى فهمى ثم شقيقة سعد باسيلى . ويصبح مجدى فهمى . .

- هايله با أمى ازاي عرفتى تبجى ؟

ونقول بنبات وثقة :

- وانت ازاي جيت ؟

وبلتقت مجدى الى زوجة اخيه :

- مدهشة يا «بحربة» وصلنوا ازاي ؟

وتحتضنه (بدربه) بحنان كبير ..
- زى ما وصلت انت ..
والصمت الى فتنه - أخت سعد باسبلى -
- حمد الله على السلامة يا « فتنة » .. ازى سكرى .. (سقيف سعد باسبلى)

وأرى دموعا فى عينيها وتقول :
- سكرى مى سجن مصر •
- من امتى ؟
- بقاله شهرين ..
لم يكن لسكرى أى علاقة بالتنظيم • وكان من العناصر التى يطلق عليها لفظ « باطجى » وكثيرا ما كان يسبب مشاكل لأخيه سعد باسبلى قبل دخوله السجن • فما الذى حدث له ؟ متى ؟ وكيف ؟ ويفطع صوت « فتنة » تأملاتى :
- سكرى موجود فى مستشفى السجن •
- ليه ؟
- حاول الهرب ، قفز من الدور الثالث لما جه البوليس ، انكسرت رجله ..
- ومسكوه فى الحال طبعاً ؟
- أبداً فضل يجرى وهمه وراه ومسكوه •
- ولا بهمك يا فتنة ..

وتلقت حولها .. تبحث عن أخيها .. كل من تعرفهم حولها ، يسلمون عليها ويتحدثون معها وأصبح بأعلى صوتى وبغضب :
- فين سعد يازملا هو ما عرفش والا آيه ؟

والمح من بعيد يأتى إلينا على مهل • كان سعد باسبلى يمثل لنا مشكلة بالغة التعقيد • من رأيه أنه لا مكان للمواطن الانسانية فى نفس المناضل ، فهى نقيض الصفات الأساسية التى يجب أن تتوفر عند كل المناضلين والغريب أنه هو نفسه يحمل فى داخله كل كنوز الانسان العاطفية والوجدانية ، ولكنه كان يكتبها بقسوة وعنف عند كل محاولة لإبرازها • عندما كان وجهه - الناصع البياض - يجرى فيه الدم ويصبح شديد الحمرة ، نعرف أن معركة ضارية تجرى فى أعماقه • كانت عواطفه تنتصر دائما ، ولكنه لا يعترف أبدا بلسانه • كان لسانه يقول سيئا ، وكان وجهه يقول سيئا آخر • وجسد لقاءه باخته التى عانت من مسقة طريق قطعته فى 48 ساعة ، والتى بذلت جهدا خرافيا من أجل الحصول على اذن لزيارة أخيها الذى ألفوا به فى الصحراء منذ أكثر من شهر - جسد صورته بشكل واضح • رآته من بعيد يسير نحوها فى خطوات منتظمة - لم ننتظر وصوله وجرت اليه لتلتقى به داخل السجن •

- أهلا يا فتنه حمد الله على السلامة ..
بيده ممدوده للسلام عليها بطريقة تقليدية تماما . وعسا تروح كسل
محاولات سفيفته للحصول على فبله منه . كانت حمرة وجهه برداد عند كنى
محاوله تقوم بها المسكينة لاحتصانه وتقديره . صاح الرملا، الدين كانوا
يراعبون هذا المشهد . وهم بصفتون بأيديهم ..

- سعد باسيلى .. سعد باسيلى .. أعينى معاك وأطلع من دينى ..
يا سعد باسيلى .. يا سعد باسيلى ..
كان نتبدا كتب كلماته الساخرة **عبد الرحمن الخميسى** ، ولهذا النفسيد
فصصة طريفة .

ذات يوم عام ١٩٥٣ فى **سجن مصر** كان عبد الرحمن الخميسى ينتظر
زيارة زوجته له - لا أذكر ترتيبها فى قائمه زوجانه - لكنها لم تحضر .
وكان حزن الخميسى - ربما لطبيعته كفنان - بالغاً الى الحد الذى جعلنى
افترج عليه أن يتضى الليلة فى زانزانتي ودعنا نلذه من الزملاء
بينهم سعد باسيلى والزميلان الآخران كانا سعد زهران ومجدى فهمى .
وعندما اغلق السجان باب الزنزانة ، وعندما بدأنا فى الاعداد لعماء شهى
من السمك واللحم والمحسى الذى جاءت به أم مجدى فهمى وزوجة سعد زهران،
عال الخميسى بحسرة وألم :

- كان نفسى فى السمك الذى بنعمله مراتى ..
ويبتسم سعد زهران بانسانية ويقول ..
- معلهم يا عبد الرحمن .. ده سمك كودس بنعمله سمعه ..
ويرد الخميسى :
- لأده كان السمك الذى جابلى من بور سعد .. طازج ..
ويندخل سعد باسيلى :
- أبه معنى الفرق بين سمك القاهرة وسمك بور سعيد
- لا فيه عروق طبعاً يا سعد ..
وبقول سعد باسيلى بامنعاض ..
- أه! .. كل الحكاية ان الخميسى عاوز ياكل من سمك مرانه ..
ويصبح الخميسى بصونه الجيورى ..
- أيوه يا سعد .. السمك الذى بتعمله مراتى له طعم خاص .
ويرد عليه سعد بثبات :
- طعم خاص عندك انت بس .
ويعلو صوت الخميسى :
- طبعاً عندى بس .. أمال عند الجماهير كلها :
ويشعر سعد باسيلى بان « **الجماهير** » قد أهينت فيهب للدفاع عنها !
- بس مالنكش دعوة بالجماهير ..

ويحتد صوت الخميسي :

- هو أنت يا أخى وصى عليها ..

كنت أنا وسعد زهران وهجدي فهمي ، فرفب الحوار فى صمت ونبتسم
بين الحين والحين . التفت الينا الخميسى وصاح فينا :

- الله اننوا واقمين على الحباد .. استركوا معانا فى المناقشة .

أوجه حدينى لسعد زهران .

- أيه يا سعد ما نقول رأبك
يرد ضاحكا ..

- لا ياعم قول أنت .. أنا خايف ..

وأقول لمجدي فهمي ..

- طيب انكلم انت يا مجدي ..

ويضحك غائلا ..

- انت عارف .. أنا مس فدائى ..

ويلتفت الى الخميسى وينسأل ..

- أيه الحكاية .. طيب قول أنت ..

وأقول ضاحكا ..

- وهل يجدي القول ؟

ونضحك جميعا ، ويساركنا سعد بأسبلى الضحك لكن نظراته تنطق
باننا جميعا ، ناس « خرعين » ! يستجيبون لعواطفهم . ونبدأ فى
تناول العشاء أربعة زملاء يريدون « الفضفضة » حول أكلة شهية صنعتها
أم أو زوجة أو أخت ، لكن خامسهم يفرض عليهم اربعابه ، بين الحين
والحين تقرض روح المقاومة والتحدى نفسها :

- ايه رأيك بادرش فى السمك ده ..

- سميلة ساطرة فى عمل السمك ..

- بذهتك مش أحسن من سمك اسكندربه ؟

ويصبح سعد بأسبلى ..

- أبوه كده اكشفوا عن نفسكم .. كنتم بتروحوا اسكندرية عاشان
تاكلوا سمك .

بمسكنة بقول سعد زهران :

- وفيها أسه يا سعد ؟

ويرد سعد بأسبلى ..

- طبعاً فى أبو فبر .. مس كده ..

وأقول :

- أبدا والله يا سعد .. عند الزميل « خالد »
ويعلق بسخرية :

- يا عيني يا عيني على القيادة ..
يسقط في ايدينا ، ولا نعلو ، وننهي من تناول العشاء وقد فقدنا
جزءا أساسيا من لذته ، لذة الحديث عن الذين صنعوه ، ثم جاءوا به
اليينا في السجن .

بقوم سعد باسيلى باعداد الساي ببما بنصرف عبدالرحمن الخميسي
للكتابة ، وأنصرف أنا وسعد زهران ومجدي لحديث هامس عن الزيارة حتى
لا يسمعنا سعد باسيلى فيكرر اتهاماته لنا . وبينما نحن نتناول
الشاي يجيئنا عبد الرحمن الخميسي في قراءة قصيدة مطلعها :
انسى انك ظنرت صبيحة الاثنين

أن تحضري لزيارتي باعيني
لكن مضي يومي ولم يخرجنى

من قبضة الزنزانة السجان
سادنا الصمت احتراماً للمعاني الانسانية في قصيدة الخميسي وهو يتغزل
في زوجته ، بينما يتلمظ سعد باسيلى غيظا ، بقاوم بعنف كلمات
على لسانه ، وما أن ينتهي الخميسي من القاء قصيدته حتى ينفجر
سعد باسيلى .

- نقي دي .. روح مناضل ..
ولا نملك سوى الضحك بصوت عال ونردد وراء الخميسي كلماته الطريفة ..
- سعد باسيلى .. سعد باسيلى أعيس معاك وأطلع من ديني يا سعد
باسيلى ياسعد باسيلى .
وينظر عو اليينا في اسفاق وحسرة على « مناصلين آخر الزمن ،
ولاد الكاب المنقفين » !!

وافد كانت شخصيه سعد باسيلى محل حوار ومناقشة بيننا في
مناسبات مختلفه ، وكنا دائما نقف حائرين أمامها . أنت لا تستطيع
الا أن تحذرهم بكل الاكمار والاعزاز روح النضال عنده واستعداده للتضحية بحياته
من أجل ما يؤمن به . لكنه بفوم بكل هذا اليكترونا ، على الرغم من
تكوينه الداخلي الانساني .

ربما كانت في حياته تجربة عاطفية فاشلة ؟
عذا ما كان يرجحه الدكتور فؤاد مرسى عندما كنا نناقش هذه المشكله
عند سعد باسيلى ، فهو لا يعترف بأى علاقة عاطفية أو حسية . وموقفه
من المراه يصل الى أقصى درجات التخلف . وكان السؤال المطروح دائما ،
كيف يستطيع انسان أن يجمع بين فكر سياسى تقدمى وبين رأى رجعى
في المراه ؟ ولقد فشلت كل محاولتنا لمعرفة سر هذا الموقف ، ومازال هذا
السؤال ملأنا لصاحبه حتى الآن .

وأعود بك يا حبيبتي الى أول زيارة لنا في **الواحات الخارجية** .
والدة **مجدى فهمى** و **بدرية زوجة أخيه مصطفى** ، وفتنة **أخت سعد**
باسيلي يحيط بهما الزملاء . كل زميل يريد أن يعرف أخبار أهله
ونويه ، وكانت الزائرات بملكن حصلة هائلة من أخبار العائلات ، فهذه
خطابات ، وهذه طرود جئت بها . وهذه مشاكل مطلوب حلها كلمت والدة
مجدى فهمى بمنافستها مع أصحابها . تقول لمجدى :

- يا مجدى عاوزة ملان وفلان و ..

- ليه يا والدتي ؟

- وأنت مالك .. عاوزة اتكلم معاهم .

- آيه يعنى يا أمى .. أسرار .

- آيوه أسرار .

وينادى **مجدى فهمى** على الزملاء المطلوبين ، وتنحى الام جانباً بكل
زميل ويتهامسان ، حنى كاد النهار أن يبصرم . ويقول مجدى صاحكا ..
- وأنا يا أمى متش راح ييجى على الدور ؟
- بكره كله علسانك ..

اليوم ، وبكره ، يومان بطولهما زيارة سجن . وكبف كان ذلك ؟ فى
السجون الأخرى تنم الزيارة بطريقتين . الأولى يطلق عليها اسم
الزيارة العادية ، وهى تتم من خلال حائطين من الأسلاك يفصل بينهما
مقران على الأمل . يقف الزوار فى جانب ، والمسجون على الجانب الآخر .
وحين يفسح باب الزوار ، تنطلق الأصوات عالية وتختلط الى حد كنا
نعجز معه عن معرفة أى شئ . ازيك كويس ، شد حيلك ، مع السلامة ،
أربع كلمات لا يستطيع المسجون أو الزائر أن يلتقطها . والطريقة
الأخرى وهى ما يطلق عليها زيارة خاصة وهى عادة لا تزيد
عن نصف ساعة يجلس خلالها المسجون على كرسي والزوار على كراسى
أخرى فى حجرة الضابط النوبتجى وبحضور أحد السجانة . لكن هذه
الزيارة كانت شبتاً غير عادى . فهمى ليست فقط زيارة خاصة حدودها
لا تزيد عن نصف ساعة بين المسجون وأهله ، وإنما هى زيارة أى
فرد من أهالينا لنا كلها وعلى امتداد يومين كاملين . والواقع
أن الفضل يعود الى مأمور السجن « ... » ، نلقه فوجى ، الرجل كما
فوجئنا بحضور الزائرات وهن يحملن اذن زيارة خاصة . وكان من
المستحيل أن تجرى هذه الزيارة الخاصة بالطريقة التقليدية ، فليس من
المعقول أن يقطع آلاف الأميال من أجل قضاء نصف ساعة فى غرفة
مغلقة فى قلب الصحراء ، وفى حراسة ضابط وسجان ! لقد أدرك الرجل
منذ أول لحظة استحالة ان تتم الزيارة بالطريقة التقليدية . ومنذ
البدائية سلم بذلك عندما تفاقمنا معه ، ليس فقط نتيجة لاقتناعه

الشخصى ، وانما تسليما بالامر الواقع • فكل الزملاء - الذين لا يمكن حبسهم فى خيام - قد خرجوا جميعا للزيارة التى بدأت بالفعل منذ أكثر من ساعة • وكان الحوار مع المأمور حول اقامة خيمه خارج الأسلاك الشائكة كى يجلس فيها الزوار ، وحول مدة الزيارة • وافق على المطلب الاول وشرع الزملاء فى اقامه خيمه كبيرة تتم فيها الزيارة • وبدأت المساومة على المطلب الثانى - مدة الزيارة - قال المأمور :

ليست عندى أوامر بمدة الزيارة • •
- اذن من حقه تحديد مدتها • •
- التصريح بزيارة خاصة ولكنه عادى •
- وهل يعقل أن تكون مدة الزيارة نصف ساعة كما يجرى فى السجن الأخرى •

- غير معقول طبعاً • • ما رأيكم أن تستمر حتى الغروب ؟
- لكن الفطار لن يغادر الواحات إلا بعد غد •
- ينامون فى الاستراحة •
- ولماذا لا ينامون فى خيمة الزيارة • •
- مسئولية !

- أنت قادر على حملها • •
- وما الذى بدعونى الى ذلك ؟ •
- انسانينك !

ونلاحظ دموعاً خفيفة تجرى فى مآفى عبنى الرجل الانسان ، بقول-
وابتسامه ودود تكسو وجهه .

- موافق بسروط •
- نقبلها مقدما •

يضحك من قلبه ويقول :

- انتم مفاوضين شطار •

ونقبل كل شروطه • بعد غروب شمس اليوم نذهب الحمير الى خيامهم ، ولا يجرى أى اتصال بالزوار غير الأسلاك الشائكة أثناء الليل «توى» الصباح

- موافقون •

- وفى صباح الغد تجرى الزيارة ولكن بشكل أكثر نظاما •
موافقون •

- يبقى بعد ذلك أن تقسموا بشرفكم أن لا ترسلوا معهم أى خطابات غير رسمية •

ويستطرد :

(م - ١٢ رسالة)

- أو حاجات من اللي انتو عارفينها •
- وينتحي الزملاء المفاوضون جانبنا وبتهامسون ، من المستحيل أن
- نقسم ثم نحدث بالقسم • الرجل معه حق ، فمن المؤكد أن رجال
- الباحث** ينتظرون رجوع الزوار وسوف يقومون بعمل اللازم •
- نقسم بشرفنا •
- وأنا واثق انكم رجال •
- فقط لنا مطلب صغير ؟
- أرجو أن يكون كذلك •
- خطابات رسمية لأهالنا • • كالتى ترسل بالبريد •
- موافق – ولن أقرأها وسأترك ذلك لضمائركم •
- ويكلف أحد الزملاء بمراجعة كل الخطابات التى سيكتبها الزملاء •
- وعند غروب شمس اليوم الأول ، يطلب مأمور السجن مجدى مهمى وسعد
- باسيلى والزملاء الذين اتفقوا معه على شروط الزيارة ليؤكدوها من جديد •
- يقول مجدى فهمى محمد •
- شىء هايل جدا • • بس مطلوب استثناء بسيط •
- يقول المأمور وهو بضحك :
- تانى • • أبه هو الاستثناء ؟
- طبعا غير معقول أن الزوار يناموا • • والا احنا راح ننام • • والمسامة
- بيننا بضعة أمتار • ويفصلنا عنهم أسلاك شائكة • •
- طبعا مش ممكن تنام معاهم يا مجدى • •
- بالطبع لا • • فقط نجلس داخل السجن ، وهم خارجة ، ونحدث
- عبر الأسلاك الشائكة** ، أو على الأقل نراهم ويرونا • •
- ونفاجأ بقبول المأمور فيقول :
- موافق وبشروط •
- أن لا يجلس معى أنا وسعد واحد آخر •
- بالضبط • • •
- ويتم تنفيذ الاتفاق بمنتهى الدقة • مجدى وسعد يفترشان
- بطانية على بعد ٥٠ مترا من الأسلاك الشائكة ، داخل السجن – ، والزائرات
- يجلس داخل خيمتهن المفتوحة على بعد ٥٠ مترا فى الجهة الأخرى ،
- خارج السجن** • وعدد كبير من الزملاء يشكلون مجموعات صغيرة
- منتشرة على أرض السجن ، البعض يتسامر ، والبعض الآخر ترتفع
- أصواته بالغناء • • أى غناء • وبين الحين والحين تسمع أصواتا •
- يا مجدى ازبك يا ابنى •
- الله يسلمك يا أمى •
- مش عاوز حاجة ؟

- سلامتك يا أمى •
نم يسود الصمت ويظل الحوار متصلا بالأسارات والضحكات
المتبادلة تم بكلمات متناصرة معصرة • حتى مطلع الفجر •
ومع أشعة الشمس الأولى يبدأ اليوم الثانى لنك الرbare التاريخية •
أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي •

١٣ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣٠)

حبيبتي

ويبدأ اليوم الثاني للزيارة مع شروق الشمس ، عدد من الزملاء يحمل جرادل مملوءة بالمياه وصابون ويجري بها نحو الرائيات كى يغتسلان وعدد آخر يحمل « برادا » كبيراً للنساء وأكوابا وبسكويت للأم والشقيقة وزوجة الأخ . بعدهما بقليل يفود مسئول الحياة العامة « صلاح هاشم » فرفه من الزملاء يحملون صواني عليها ما لذ وطاب للمطار . الجميع يرنسدون أحسن ما لديهم من ملابس وصلت اليهم فى طرود ، ثقونهم ناعمه ، وشعورهم مصففة ، وبعضهم وضع كولونيا (٥٥٥) أو بارفان ، وصلته مع طرود أمس أيضاً . كان لمعى يوسف « مسئول المطبخ » من بين الزملاء الجدد الذين وصلوا إلينا من سجن مصر . منذ حضوره قام بالعمل فى المطبخ وكان التنافس بينه وبين أحمد خضر شديداً .

و ذات يوم فوحى الزملاء بلعمى يوسف يعمل لهم « محشى » ففرروا انتخابه مسئولاً عن المطبخ :

يقول للرائيات :

— فول مدمس عظيم . . ولا فول القابعى .

وترد أم مجدى :

— تسلم أيديك يا ابنى . . اذت اللى عملته ؟

— وطعمية كمان . . مدهشة .

كانت الطعمية مفاجأة لكل الزملاء يقدمها لهم لمعى يوسف . انهم لا يرونها منذ سنوات وكثيراً ما دارت مناقشات مع لمعى يوسف حول أمكانية صنعها لكنه كان دائماً يعدهم بذلك لكن بعد « تذليل الصعوبات الأساسية » قال بفخر :

— أنا قعدت امبارح طول الليل أفكر إزاي أوفر الظروف المناسبة لعمل الطعمية . .

ويضحك مصطفى كمال — صيبيه فى المطبخ .

— الذاتية والموضوعية كمان . .

ويتمتم زكى مراد . . ذاتبة موضوعية . . طعمية . .

ويصيح الزملاء . .

- هائل .. مولد فصيحة شعر حديدة لزكى مراد .
- نسمعها الليلة بقى ..
- فصيحة وتقوت ما حد بموت .
- بعد ان تتناول الزائرات الامطار مع عدد من الزملاء بصيح مسئؤل
« الحياء العامة » :
- يا لله يا زملا .. كل واحد على نسعه .. محدى وسعد بس اننى
سستنوا هنا مع أهلهم ..
- برمع سعد باسيلي يده طالبا الكلمة .. ويعطيه مسئؤل الحياة
العامة الكلمة وهو يضحك :
- آيه يا سعد .. طلباتك .. عاوز حاجة ؟
- وبمنتهى الجديفة يقول سعد :
- أنا عندى شغل اليوم . عليه الدور فى غسيل قروان الخيمة ..
- معلهش ممكن زميل آخر يقوم بعملك اليوم .
- ليه بقى ؟
- لأن عندك زيارة .
- بحسم يرد :
- أنا لا أوافق على أى استثناء .
- دى ظروف خاصة يا سعد .
- ولو .. وأنا لا أقبل أن يقوم أحد غيرى بعملى .
- ممكن يحصل تبادل .. اللى عليه الشغل بكره يعملنه النهاردة
بدالك .. وانت تعمله بكره ..
- وتدور مناقشة تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة بقتنع بعدما سعد
باستمراره فى الزيارة وتأجيل شغله الى الغد ، ولكن بعد أن تستترك
الزائرات فى المنافسه ، وبعد ان اسخدمت أخته « فتنه » كل ما تملك
من أسلحة عاطفية .
- ينصرف الزملاء الى أعمالهم ، ويخصص مسئؤل الحياء العامة ثلاثة
زملاء لخدمة الزائرات ونفذيهم الساي والفهوه والمرطبات المصنوعة
محليا كصير البرنقال واللبمون ، من خبرات الزيارة أمس ، ويعقد
اللعبة يوم .. « مسئؤل المطبخ » تمت الزيارة .. أنا لم أعرضه لبحثهم على بذل
كلى جهودى من أجل اعداد « راحة عذبة » ..
- عاورى نقيب للسيدات دول انتك بفسر .. طببخ لا يعمل عن
طببخهم ..
- أهوه كله طببخ با لمعى .
- لا بقى .. طببخ عن طببخ يفرق .
- الحكاية حكايه نفس .

- وابنه رأيكو مى محشى ؟

- خطير . .

ويبدأ لمى يوسف فى اصدار التعليمات لمساعديه :

- مش عاوز ولا حصوة واحدة فى الرز . . عيب . بنفسل كويس
ويترك علشان بنسف فى الشمس . الكوسه دى كبيرة ، فنرنها
تخبنة ، لازم تنفسر كويس ، واللى مبها بذر كبير نرمسه . ونأخذ
سوية بامية من بناءة بكرة . . نعمل طبقين علشان الزوار . . أمة
اللحمة فسيبوها لى انا بقى . .

- راح تسلقها . .

- راح نسلق سوية . . ونحمر شوية .

- وحنعمل سلطة .

- يقوم **حليم طوسون** يجيب لنا سوية جرجير من مزرعته
الخاصة . . وكمان سوية طماطم وبصل أخضر . .

ويرد **حليم طوسون** :

- ده كل اللى فى المزرعة ما يجيى حزميتين جرجير وحزمتين بصل و $\frac{1}{2}$
كيلو طماطم . .

- كويس نعملهم سلطة للزوار . .

ويجرى العمل بهمة ونشاط ، انهم رجال أغلبهم لم يقيم بعمل مثل هذه
الاعمال ، فمنهم **الطبيب ، والمهندس ، واستاذ الجامعة ، والطالب ،** وهم
مسجونون فى **قلب الصحراء** ، فى منطقة لم تعرف **الخضرة** من قبل ، وهم
يستضيفون ضيوفاً أعزاء . وهذه الوليمة الفاخرة التى يعدون
لها ترمز الى معان عميقة . ان يطمئن الأهالى الى أننا قادرون على
مواصلة الحياة تحت أى ظرف من الظروف ، واننا معا ، يدا واحدة ،
نتعاون ونتكاتف من أجل أفضل حياة تستطيع عقولنا ان تدبر ظروفها ،
ونستطيع سواعدنا ان تبنيها ، نحن بناء الحياة وصناعها ، سلاحنا
الكلمة وسبيلنا الديمقراطية ، وأداتنا الوحدة الوطنية . لن يقهرنا
أعداء الحياة مهما تنوعت أسلحتهم . لن نسمح لهم أن يغتالوا ارواحنا ،
أو يقتلوا حينا للحياة ، وسوف نحيا تحت أى ظرف من الظروف ، وفى
أى مكان يزوجون بنا فيه .

يحل موعد الغداء ، الزملاء لا يسمعون الدقات التى تناديهم لاستلام
طعامهم . عسافير بطنهم ترقزق وتعلو أصواتها مع كل دقيقة تمر
ولا يسمعون فيها « دقات » الطعام .

- آية الحكاية ؟

- جعنا . .

- غين الأكل يا لمى .

ويرد لى يوسف بغضب :

- مش عيب برضه . .

- أيه هو اللى عيب ؟ عاوزين ناكل . .

- مس برضه الضيوف ياكلوا الاول .

- معاك حق . . متأسفين .

ويصيح لى يوسف . .

- دى نقاليد شعبنا يا عالم . . شعبنا المضياف .

ان يقدم الضيف على أهل البيت شىء رائع ، احدى القيم الكثيرة
التي تتميز بها شعب مصر العظيم . عطاؤه لا ينضب ، يعطى للضيف
قبل ان يعطى لنفسه . يعطيه أغلى ما عنده وهو راحه ، حتى وان
لم يكن يملك غيره . لكن ليس كل من يدخلون بيته ضيوفاً ، هم
فى بعض الأحيان دخلاء ، وهو يملك حاسة لا تخطئ ، يميز بها
الضيوف عن الدخلاء . الضيوف اصداؤه ، والدخلاء اعداؤه وهو
قادر على تمييز أفعلتهم مهما تنوعت أتكالها . ويتسابق الزملاء فى خدمة
الضيوف . هذا يحمل صينية عليها أطباق الأرز ، وآخر يحمل صينية
الكوسة ، ونائب البامية ورابع يحمل السلطة ، وخامس يحمل الفاكهة ،
وسادس يحمل اللحم المحمر ، وسابع يحمل اللحم المسلوق والتوربة التي
بها لسان العصفور . .

- تصبح أم مجدى .

- أيه ده كله . . دى وليمة . .

ويتقدم مسئول الحياه العامة ، ينحنى فى احترام ، كما يفعل

المقرر من المناقش الكبرى . .

- كله من خبركم يا ست أم مجدى .

وتسأل « فتنه » .

- وكل يوم بناكلوا كده . .

- طبعاً . . طبعاً . .

وتعاقب « بدرية » روجه مصطفى شقيق مجدى .

الذي كان كده آجى اسجن معاكو بقى .

والتي كانت كده كده . . مهمى . .

- لا اغلى المعروف . . أحوال مصطفى يزعل . .

- ييجى معايا . .

- أيوه . . تبقى كملت !

بعد الغذاء يأتي حاملو جرادل المياه والصابون والقوط ، ويغسل

الضيوف أيديهم ، حتى يكون الشاى جاهزاً أمامهم .

- يا سلام لو فنجان قهوة . .

- حاضر يا ست أم مجدى . .

البن من بين الأصناف التي لا تصدر كلها مثل معجون الاسنان
والأدوية الخاصة للاستعمال الشخصي ، ويقع مسئول الحياة العامة
فى « حبص حبص » • من أين يأتى بالبن ؟ يصبح بأعلى صونه .

– مين عنده بن يا زملا ؟

– الضيوف عاوزين يشربوا قهوة • •

– • • •

وسددم « كفيفه » الميهوه المعروفين ، شريف حناته ، حليم طوسون ، ولیم
اسحق ، زكى مراد ، صلاح حافظ يتسابقون لعمل ميهوه •

ويعاق مسئول الحياة العامة :

– يعنى المستخبى طلع • • من الصبح داينج على فتجان « قهوة » • •

– هوه أنت ضيف ؟

ويمضى اليوم بسرعة لم نعهدها فى السجن من قبل ، فرص الشمس
الأحمر يبدو بعيدا فى الأفق ، يرسل أسعته الأخسره ، الطلام يزحف
بسرعه ببدد ضوء الشمس ويعلن موعد الافتراق • ما أمسى لحظة
الافتراق ! قد يخفف أمل اللقاء مره أخرى من آلام لحظة الافتراق •
أحبائنا يفترقون عنا ، ولا نملك تحديد موعد اللقاء مرة ثانية • حتى
هذا اللقاء الناذ لا نعرف له موعدا آخر • الحزن يزحف على الوجوه ،
والآلم يعتصر القلوب ، ونبضات تسمعها الآذان فى لحظه واحد
قبل الافتراق •

وفى قلب « اللحظة » تتبلور دموع بعض العيون ، وهؤلاء أسعد
حظا من أولئك الذين جفت عيونهم من الدموع • النوار أنفى انقياء
البسر • فلوبهم طاهرة مثل فلوب الأطفال ، واراياتهم أقوى من الصلب •
هم أسرى الكلمة الطيبة ، وسنهاء هدف يؤمنون به • تبونهم
لا تعرف الدموع ، عندما يتحدون وبقاومون ، وتنهمر أمام موزف انسانى
يهز عواطفهم ووجدانهم •

ما أبعد الفروق بين قبلات وأحضان اللقاء بعد غيبه ، وبين
قبلات وأحضان الافتراق الى زمن غير معلوم !

وتتحرك السيارة تحمل الذين ادخلوا البهجة فى دغوسنا خلال
ساعات مضت كالبرق • أيادينا ترتفع عالية ملوحة ، وفلوبنا
تسقط الى أقدامنا ، والدموع فى مآقى العيون تبدو فى ظلام الليل
كنجوم السماء • تغيب السيارة عن أنظارنا ، ونعود الى السجن ، الصمت
بأف الجميع • دمت العشاء الرتيبة تنادى الزملاء ، نذهب بتناقل الى
« المس » • • يبذل مسئول الحياة العامة جهدا كبيرا ليخرجنا من صمتنا ،
يعلن أن العشاء اليوم مبه مالد وطاب ، تلو هنافات الاعجاب لكن تحس
بفقدان حرارتها المعروفة •

يعلن مرة أخرى أن حفلة يوزع فيها الشاى والحلوى سوف تقام

بعد العشاء • بقابل الخبر بالتصفيق والتهليل الخاليين من روح المرح
المعهودة عند الزملاء •

بعد العشاء ، وخلال سرب الساي وبناول الحلوى يرتفع صوت
صلاح حافظ يغنى لام كلثوم ، ثم لعبد الوهاب ، وفاروق عبد السلام
يغنى منلوجات نسكوكو ، وأغنيات اسكندرانية ، لكن الجميع ، المغنون
والستمعون معا ، فى واد وما يدور فى أعماقهم فى واد آخر •
ما أنبل الثوار ، فى اللحظات التى بعصر الألم قلوبهم ، يحرصون
على أن لا تنتقل عدوى آلامهم الى زملائهم وعم يعرفون أنهم يتألمون
منهم • تنتهى الحملة ، ونمضى الى الخيام • نستلقى على الأسرة الخشبية
لا يغمض لنا جفن • العيون مفتوحة ، واللسنة لا تتكلم ، عواء
الذئاب ونباح الكلاب يعكر هدوء الصحراء وسكونها ، لكن قلوبنا
أكبر من الصحراء ، ونفوسنا أكثر منها هدوءا ، لم تنل منهما كل
عواءات ونباحات أعداء الانسانية من البشر • وعم أسرس من كل
الحيوانات المفترسة •

فيل بزوغ الفجر بفليل يهمس مجدى فهمى :

- ما نمقش ليه يا درش ؟

- سرحان •

- فى أيه ؟

- مى انسى انت سرحان فيه •

- نبدو مى الأفق مؤشرات لمركة حاسمة ضد الاستعمار •

- تحطيم حلف بغداد ، وباندونج ، وصفقة الأسلحة •

- لا يمكن أن يكون كل ذلك من باب القضييل •

- وقضية الديمقراطية •

- بكسبها الشعب من خلال المركة صد الاستعمار •

- ما رادك مى معال عبد الرحمن الشرقاوى ؟

- موافق عليه •

- وأنا أيضا ؟

- لا • بيد من مرفعة جدد •

- خير • اتصال بالخارج •

- بنافس الأمر من كل جوانبه

- هایل • • تصبح على خير •

وتشرق شمس يوم جديد من أيام النصف الثانى من يوليو عام ١٩٥٦ •
شبتا ما غير عادى يجرى فى احدى الخيام منذ الصباح • أنا ومجدى
فهمى وزكى مراد ومحمد شسطا نجلس فى احدى الخيام وتطول الجلسة
فى مناقشات حول المركة ضد الاستعمار التى تتجمع بواورها فى

الاتفق • يجب أن يكون موقفنا واضح من السياسة الوطنية ، المعركة الوطنية ضد الاستعمار بنطلب وحدة كل الصفوف • الديمقراطية للسعب في المعركة ضد الاستعمار عى ضمان النصر • ونتفق على كتابة بيان نحدد فيه موقفنا بوضوح ويوقع عليها كل الزملاء •

ونجتمع مرة أخرى بعد الغذاء ونوافق على البيان ويختم كل الزملاء كى بنلى عليهم البيان ويوقعون عليه • لم يكن مفاجاه لهم فقد كانوا يتوقعون هذا الموقف الجديد من الحكم الوطنى ، بدأت المناقشات بينهم بعد المواقف الوطنية من حلف بغداد ، وزادت حراراتها بعد مؤتمر باندونج ، ثم كانت صفقة الأسلحة تحولاً واضحاً فى الموقف • لكن **أمور السجن وضباطه** هم الذين فوجئوا بهذا الموقف ، لم يكن فى تصوراتهم ، أن مسجونين يمكن أن يرسلوا لسجانيهم تأييداً ومساندة وبلا أى شروط • بتحمس **الأمور** لهذا الموقف الوطنى ، يعلن أنه سيسافر بنفسه الى القاهرة ويوصل هذا البيان الى رئاسة الجمهورية والى مدير مصلحة السجون •

– والصحف والنقابات العمالية والمهنية ؟

– سأحصل على اذن من مصلحة السجون لارسالها •

ثم يستطرد :

– ومين عارف ممكن اجيب لكم معايا خبر كويس •

– لاله بدرى •

– ليه بقى ؟ • موقف وطنى واضح • ومساندة وتأييد للحكومة •

– نأمل هذا • •

ويصيح **الأمور بحماس** ؟

وبأسرع م ايمكن مكانكم من هنا ، بره • فى الشارع ، ده شىء منطقى •

وأعلق بابتسامة :

ربما يكون لهم منطق آخر ؟

ويرد **الأمور** :

– عهدى بك انك لست متشائماً • •

– فى هذه المسألة بالذات متشائم • •

ويوضح أحد الزملاء • •

– أصل له ظروفه الخاصة جداً •

– ليست هى السبب المباشر ، وأنا انظر اليها بموضوعية •

وببدو على **الأمور** انه لا يفهم الحكاية • ويقول زميل شرحها له •

– أصله كان المفروض يفرج عنه بعد الثورة مباشرة •

– ليه ؟

- لأنه القى القبض عليه قبل الثورة بسبعة أيام .
ونلمح علامات الدهشة والانسحاق على وجه الأمور . ونحس بعسور
حماسه فى نبرات صوته وهو يقول :
- أظن الموقف مختلف دلوقت .
يسافر الأمور الى القاهرة يحمل موقفنا الجديد الى الحكام ، ويعود
فى صباح يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ . ومعه أخبارا سارة لنا ، وكان
يوما مشهودا أحكى لك تفاصيل أحداثه فى الرسالة المقبلة با حبيبتي .

١٦ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣١)

حبيبتي

قضينا الأيام العشرة بعد سفر الأمور الى القاهرة في ١٦ يوليو ١٩٥٦ وعودته في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، في مناقشات واسعة مع **الاخوان المسلمين** حول ما جاء في مجلة « **الوطن** » وهي مجلة أسبوعية خصصناها لمناقشتهم على صفحات المجلة . وكنا نصدر جريدة يومية من صفحاتي كراس بها آخر الاخبار وتعليق سريع . كما كنا نصدر مجلة « **الفكر** » وهي مجلة ثقافية تصدر كل شهر ، وكانت مقالاتها تعبر عن رأى أصحابها وكنا نناقش كل ما ينشر بها في جلساتنا معا أو مع **الاخوان المسلمين** الذين تكونت معهم علاقات قوية ، بدأت في ليمان طره انسانية ، وانتهت سياسية فسي « **جناح** » ثم في « **الحاريق** » . منهم على سبيل المثال **البكباشي فؤاد جاسر** ، **الصاغ جمال ربيع** ، **الصاغ حسين جهوده** ، **سدد الرئيس وغيرهم** ولم تؤلف الخلافات مع **الاخوان الآخرين** دون استمرار المناقشة معهم أذكر منهم **صالح ابو رقيق** ، **ومحمد ابو النصر** ، **ومهدي عاكف وحسن دوح** وغيرهم . من بين هذه المناقشات اختار مناقشه دني وبين **البكباشي أركان حرب فؤاد جاسر** ، وهو من « **الاخوان المؤبدن** » . ذات يوم من تلك الأيام العشرة في يوليو ١٩٥٦ ، وبعد أقل من ساعة من صدور مجلة « **الوطن** » جاءني **البكباشي فؤاد جاسر** وهو يحمل المجلة وكنت ساعتها « **نوبتجي** » الخيمة وأقوم بغسيل أواني الأكل ، وأملأ مياه الشرب ، وأرش الخيش الملقوف حولها بالماء كلما جفت ، وبعد وضعها في مكان ظليل ، كي تحتفظ ببرودتها ، ثم أرش المياه أمام الخيمة كلما جفت ، وأروى الزرع أمام الخيمة ، هذا العمل كان يستغرق اليوم بطوله ، لكن كان يمكن اختلاس بعض الوقت بين الحين والآخر للقراءة ، أو لمناقشة سريعة . وحين طلب مني **فؤاد جاسر** أن نجرى مناقشة في خيمته على فنجان شاي قلت له ضاحكا :

- ما أنت شايف يا فؤاد أنا مشغول .
- وبعدين ضروري أناقشك دلوقت .
- طيب أكمل غسيل الفروان ده ونعقد هنا .
- عندك شاي . .
- ما عنديش طعنا - لكن نطلب من مسئول الحياة العامة .

نظام الحياة العامة يصادر النساى والسكر ، ولكنه يسمح بحالات استثنائية مثل وجود ضيوف أو حافز ماذى لتسجيع الزملاء للقيام بأعمال خاصة . . الخ .

وتبدأ المناقشة فى ظل الخيمة حتى يمكن أن أرى خسى جرادل مياه الشرب حين نجف مأنس عليها الماء وأملأ القى تفرغ منها . وبعد فترة ارتفعت حرارة المناقشة حول قضية الديمقراطية ، بفول فؤاد :
- قضية الديمقراطية ، وتنمل حربة تكوين الأحزاب ، والحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين شرط لهذا التأييد .

- ليست هناك شروط فى السياسة يا فؤاد . .

- ازاي بقى تفضل فى السجن ونؤيد الحكم الوطنى . .

- الافراج عنا ليس شرطا للتأييد . .

- ولكننا فصيحة وطنية مع الحكومة الوطنية فى معركتها ضد الاستعمار .

- ولكنك فى نظرها لست كذلك .

- وهل تتغير وجهة نظرها حين أعلن تأييدها . .

- موافقك الوطنية الواضحة المستمرة ، والمعلم للشعب ، تجبرها على تغيير موقفها منك .

- من جانبى موافق . . ماذا يقترح ؟

- أقترح أن تحرى منافسة مع أكبر عدد من زملاءك وتكتب بياناً للحكومة والصحف والنقابات العمالية والمهنية .

- مهمة صعبة . . سأبدأ بنفسى .

- لا يا فؤاد والا مسر موفيك نفسيرا خاطئا . .

- جمال عبدالناصر يعرفنى شخصيا . . وسوف بذو فى موفقى .

- حتى ولو حدث ذلك وعو احتمال ضئيل جدا . . وسوف يكون مادة لآى تفسير خاطئ .

- وماذا بهمنى ما دمت مقتنعا بموقفى .

- أظن أن دورك الوطنى لن ينفذ عند خروجك من السجن . . . فى الخارج .

- مع من ؟

- مع الحكومة .

- أيهما أكثر ضمانا - حتى من الناحية الشخصية - أن يعمل وحدك

أو تعمل مع مجموعة من الاخوان المسلمين .

- لن أجد منهم من يقتنع .

- هل حاولت وفشلت ؟

- لا . . ولكنى أعرف مقدما .

– الناس بفتحير با فؤاد .. انت نفسك تغيرت .

– موافق .. ولكن بشرط .

وأضحك قائلاً :

– أنت هاوى سروط .. أنه سروطك .

– ان تشترك معي في المناقشة .

– موافق .

يبتسم فؤاد جاسر ويقول

– وأدى سيجارة بيلمونت بحالها .. تشربها لوحدهك . اشعل السيجارة ، وبتشعل فؤاد غيرها ، ونصمت حتى لا تشغلنا المناقشة عن التسعور بلذه ندخين سيجارة كامله .

كان عدد من الزملاء يرقبوننا من بعيد لا يستطيعون الاقتراب منا أثناء المناقشة وتدخل ٣ سيجارة مشاركة . وما أن لحوا السيجارتين مشتعلتين حتى هجموا علينا دون استئذان . أقول ضاحكاً :

– يا زملا احنا مشغولين . .

– يعنى .. فتره اسفراحة . .

– نشترك معكم في التدخين .

ويخرج فؤاد جاسر عليه سجائره البلمونت الصغيرة ، ويوزع الخمسة المتبقين فيها على الزملاء ، بعد أن يأخذ أحد الزملاء سيجارة يقول لى :

– هات نفس بقى .

– يا أخى ما معاك سيجاره بحالها .

– نشربها بعد العشاء .. لوحدها . .

– والله فكرة .. خد ٣ أنفاس يا عم .

دقات ساعة الغذاء المعتادة تنادى علينا . يهم البكباشى فسؤاد جاسر بالانصراف ، يسرع الينا مسئول الحياة العامة ويقول لى بغضب :

– ايه بفى ، يمشى فى وقت الغذاء . .

– والله فكرت .. لكن ترددت .

– ابعت حد يقول لى .. على العموم أنا عامل حساب الاستاذ فؤاد .

واحتفاءً بضيفنا يجلس معنا مسئول الحياة العامة . واتناء تناولنا الغذاء أهمس فى أذنه :

– ما تنفاس .. كام سيجارة كده نشربها مع الضيف . .

– يا زميل أنا عامل حسابى .

وبعد الغذاء تستعل ٣ سجائر ويهجم علينا بعض الزملاء « ليرحبوا » بالضيف ، ومنعاً لأحراجة ، يتصرف مسئول الحياة العامة فيوزع على

كل ثلاث زملاء سبجارة • ويقترح مؤاد أن يذهب لاحضار علبة سجاير
من خيمته • ويرفض الزملاء ويعلقون تعليقات طريفة :

- نسفتوا بفي الملكية الخاصة • • مفيدة !

- عملنا لينا أيه الملكية العامة !

ويضحك فؤاد جاسر ، قائلاً :

- أيه الحكاية • • باين علينا راح نتبادل المواضع •

وينصرف على موعد آخر بعد صلاة المغرب ، حيث التقى معه مرة أخرى
ومعه مشروع بيان تأييد الحكومة في مواقفها الوطنية كتبه هو
والصاغ جمال ربيع والصاغ حسين حموده ، وسوف يناقشونه مع أكثر
عدد من الاخوان للتوقيع عليه وارساله • أقول لفؤاد جاسر :

- نسفت ازاى يا فؤاد ، الناس تقتنع بالموقف الوطنى السليم • •

- وده راح يلغى على مسئوليته كبيرة •

- وأنت جدير بها •

- تسجبعك بزيدي تنقته بنفسى • •

وبعد العشاء كنت على موعد مع الأستاذ صالح أبو رقيق • علاقتنا
قديمة بدأت في ليمان طره انسانية ثم سياسية • جمعتنا معارضة
السلطة من خلال قضية الديمقراطية والحريات السياسية • كان
يؤكد حقنا في مباشرة نسلطانا السياسى بحرية • وكنت أتكك في
هذه التاكيدات ، غير أننا كنا ننهي دائماً الى أننا متفقون على الأقل في
المرحلة الراهنة ، بعدها تدور المعركة ، وكنت أعلق ضاحكاً : فقط
لا تنسوا أن الدين لله والوطن للجميع • في هذا الاجتماع بدى لى
غاضباً ووصف ما قرأه في مجلة « الوطن » بأنه ارتداد عن الموقف الصحيح •
- وما هو الموقف الصحيح ؟

- الغاء فرار حل الاخوان المسلمين ، والافراج عن المسجونين منهم
فوراً •

- بما فيها حرية تكوين الأحزاب السياسية والافراج عنا أيضاً ؟

- طبعاً • •

- وحفنا في مشروعية نسلطانا السياسى • •

- هذا ما تملكه الحكومة •

- ليس هذا ملكاً لأحد • • الحق •

- ومن الذى يعطيه • • ؟

- الحقوق لا تعطى وإنما تؤخذ • •

- كيف ؟

- الشعب بواسطة أدواته ، جبهة وطنية تضم مختلف القوى
الوطنية ، الممثلة في أحزابها السياسية ، ووفق برنامج وطنى محدد
هو القادر على أخذ حقوقه •

- من خلال اسقاط الحكومة ؟
- الحكم الوطنى داخل هذا التحالف الوطنى •
- هذا ما نختلف عليه ••
- وبستطرد ••
- أعجب لكم • قلت بالأمس انها فاشية ، وتقولون اليوم انها
- حكم وطنى •• كيف هذا ؟**
- المواقف ليست ثابتة •• الناس تتغير •
- من الذى تغير •• أنتم أم هم ؟
- ربما كنا مخطئين فى الحكم عليهم •
- وبماذا تفسر موقفهم من الحريات ؟
- **تناقض لا شك ••** ولا بد من حله •
- شعار **الاسقاط** هو طريق حل هذا التناقض •
- وانما **التحالف الوطنى** معهم هو الحل الوحيد •
- أعجب لكم •• ربما كنتم خباليين •• وربما كان وراء موقفكم هذا
- شيئا آخر •
- لا هذا ولا ذاك •• بل هو **موقف موضوعى** •
- لكنه لن يؤدي الى الافراج عنكم ••
- **ويكمل :**
- على الأقل فى المدى القريب ••
- نعرف هذا ولا ننتظره لسنوات قادمة • فالمعركة طويلة صعبة ومعقدة •
- ونفترق على خلاف • لكن نظل أصدقاء ، وما زلنا حتى الآن •
- وفى كل مرة نلتقى فيها حتى بعد خروجنا من السجن يمزح معى
- ويقول :**
- أنت لازم تكون جندى من جنود الاخوان ، وارد عليه ، كلنا جنود
- لمصر ، فلننتظم فى جيش واحد •
- واعدود الى الخيمة ويوصلنى الاستاذ **صالح ابو رقيق** الى منتصف
- الطريق ويقول ضاحكا :**
- الحدود هنا •• مع السلامة •
- ليس بين الوطنيين حدود •
- اذن انضموا بنا ••
- ربما كان التحالف الوطنى افضل •
- لكنه لا يلغى الحدود ••
- نعم لا يلغىها •• وانما يضعفها •
- ولماذا لا تلغىها بضربة واحدة ••
- منطق الحياة لا يسمح •

يربّت على كتفى فى ود ونفترق على موعد آخر قريب .
 فى الخيمة وجدت الزملاء ينتظرون عودتى لمناقشة ما تم خلال هاتين
 المقابلتين . وقررنا الاستمرار فى اجراء مناقشات مع الاخوان
 المسلمين بجناحيهما مع التركيز على الاخوان « المؤيدين » . وأن تصدر
 « مجلة الوطن » عددا خاصا ، ينشر به البيان الذى كتبه « الاخوان
 المؤيدون » . وعمل تحليل سياسى لموقف الحكم الوطنى ومن خلاله
 تناقش الحجج التى يسوقها « الاخوان المعارضون » ، تبريرا لموقفهم
 المعارض للحكم الوطنى . وما أن نعلن هذه القرارات للزملاء حتى
 يصيح الفنان سعيد عبد الوهاب وهو المسئول عن توضيب ورسم
 صفحات المجلة التى توزع أربعة أعداد !

- وان شاء الله بقى العدد ده يصدر امتى ؟
- كلك نظريا سعيد الصبح طبعا . .
- وفين المواد ؟
- حالا تجهز . .
- والحوافز ؟
- المعنوية زى ما أنت عاوز .
- لا يا سيدى . . شبعنا حوافز معنوية .
- والمادية غلبة سجائر هوليدود « لارج » وأربعة شاي .
- ويصيح صلاح هاشم « مسئول الحياة العامة » :
- وأجيب ده كله منين . .
- اتصرف يا أبو الصلح . .
- مفيش سجائر الا للتوزيع يومين على الزملاء . .
- ربنا يرزق بعد يومين . .
- لا يا عم مش موافق .
- أبو الصلح . . لا تكن حرفيا ضيق الاثق . .
- أنا مش مسئول . .
- وأقول له فى صوت له نبرة خاصة يعرفها :
- وبعدين . . يا أبو الصلح !
- طيب . . طيب . . ادى غلبة السجائر . . وادى السكر والشاي . .
- وأنا بقى رايح أنام
- ويقول فاروق عبد السلام :
- وأنا كمان أنام شوية علشان أقدر على الاشتغال الشاقة دى .
- يصحب مجدى فهمى ورقا وقلم ، ليكتب ما كلف به . وأجلس إلى
 جانبه أكتب أنا الآخر . وعند منتصف الليل أهرق فاروق عبد السلام
 كى يستيقظ لنضع اليه بمواد العدد الخاص من مجلة « الوطن » . ومع

شروق شمس اليوم التالي يعيد الينا المواد منسوخة فى نسختين :

- هاييل يا فاروق .. امتى الباقى ؟

- قبل الغدا يكونوا جاهزين .

- الجانب الايجابى الحرفى فيك عظيم ..

- بى نظير اجر ..

- مفهوم ..

ويصبح مسئول الحياة العلمية :

- لا .. مش ممكن .. مفيش سجاير ..

- وبعدين ! ..

- طيب .. طيب .. علبه صغيرة آهى ..

ويبتسم فاروق ويقول :

- لكن أنا عندي « نوبتجية » اليوم ..

ويتقدم الزميل سعد باسيلي متطوعا للقيام بالنوبتجية بدلا من

فاروق .

وتمضى الايام سريعة . فى مناقشات مع الاخوان المسلمين ، وفى

صحور أعداد خاصة من مجلة « الوطن » وجريدة « الأنباء » التى

تحمل آخر الاخبار والتعليقات المحلية والعالمية ، حتى يحل يوم

٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، وتتلاحق الاخبار والأحداث والمناقشات بشكل

مثير ، أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

١٧ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٣٢)

حبيبتي

- كما قلت لك في رسالتي السابقة كان يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يحمل لنا مع المأمور الذي وصل من القاهرة في ذلك اليوم أنباء مسارة . قال لنا وعلى وجهه ابتسامة عريضة :
- مش قلت لكم . . الافراج عنكم أقرب مما تتصورون .
 - هل هناك وعود ؟
 - لم اسمع وعودا ولكن الجو العام في المصلحة ، والمباحث العامة ، في صالحكم تماما . لقد وافقوا على كل مطالبكم وأكثر منها . الكتب والصحف والزيارة والخطابات والطرود وإقامة كائنين هنا وسوف تصل غدا ٣ زيارات فاستعدوا . وبالنسبة للطعام فقد اتفقت مع متعهد في أسبوط على الخضار واللحمة بشرط أن تصل طازة بطازة . . واحضرت معي ثلاثة كبيرة . و . و . . .
 - ويقول أحد الزملاء ضاحكا :
 - دي الحبسة أحلوت قوى . .
 - ويعلق آخر :
 - دي تبقى بشائر حبس طويلة مش افراج قريب . .
 - ويعلق المأمور :
 - أنا مش فاهم ليه التشاؤم ؟
 - أصل الافراج لا يحتاج سوى لقرار . .
 - وكل قرار له مقدمات .
 - المقدمات ضرورية تكون سياسية .
 - ويرد المأمور :
 - زى أيه مثلا ؟
 - رأى الحكومة في البيان اللي أرسلناه .
 - ويبتسم المأمور ، ويقول . .
 - وإذا جبت لكم رأى رئيس الجمهورية .
 - ويخرج من جيبه برقية من رئاسة الجمهورية موجهة الى مأمور سجن « جناح » بالواحات لتوجيه الشكر الى كل الزملاء الذين وقعوا على البيان .

ويسرى الخبر بسرعة بين الزملاء . موجة من التفاؤل تنتشر بينهم .
الافراج القريب مؤكد ، مسألة منطقية . الحكم الوطنى يحتاج
الى مساندة من كل الوطنيين فى معركته القادمة ضد الاستعمار . تجارب
الثورات المعاصرة تؤكد ضرورة الجبهة الوطنية للانتصار على الاستعمار .
والخلافات الفكرية لا تشكل عائقا فى طريق الجبهة الوطنية .

وأضع يدى على قلبى ، ربما كان كل هذا صحيحا من الناحية النظرية .
ولكن النظرية سىء والتطبيق شىء آخر . وفى طريقى الى **مجدى فهمى**
أراه قادما يبحث عنى ، يبتسم ابتسامته المعهودة :
- محتاجين لجلسة سابعة . .

نجلس بعيدا وسط الصحراء لنناقش الموقف .
يقول مجدى :

- من البداية ، وأيا كان تحليلنا للموقف يجب أن نوقف بحسم هذه
الموجة من التفاؤل .

- تمام . . والأفضل أن تؤخذ الأمور بحذر حرصا على معنويات
الزملاء .

ونجد صلاح هاشم على رأسنا ومعه عدد من الزملاء . . يقول :

- أى خدمة . . سجاير . . شاي . . قهوة ؟

- وأيه المناسبة يا أبو صلاح ؟

- انتو برضه بتناقشوا ومحتاجين تعدلوا دماغكم . .

- ما أحنأ طول عمرنا بنتناقس . . وأنت عمرك ما عرضت خدماتك

بالشكل ده .

- ما هو مناقشة عن مناقشة تفرق !

- اذن هات ما عندك . . وورينا عرض اكتافك .

ويعطينا غلبة سجاير هولبود « لارج » . ويضع أمامنا ترمس مملوء

بالشاي . ثم يقول :

- وبعد شوية أعمل لكم قهوة . .

- أيه الكرم المفاجىء ده ؟

- بس شخو حيلكوا كده وأعملوا لنا تحليل يطلعنا افراج .

لم أسمع يوما بقداحة المسئولية كما شعرت بها فى ذلك اليوم ،

قبل السجن وخلال السنوات الأربع الماضية فيه . ربما كانت هذه أول

تجربة يواجهها **مسجونون سياسيون** يقفون الى جانب السلطة ،

يؤيدونها ويساندونها ، دون أن يفرج عنهم . وربما كانت هذه أول مرة

تتلقى سلطة وطنية تأييدا أو مساندة من أشد معارضيهما حتى

الأمس القريب . هل يفهم الحكام موقفنا الحقيقى الموضوعى منهم ؟

وهل يتسع ادراك الزملاء لاحتمال بقائهم فى السجن ، مع استمرار تأييدهم

الحكم الوطنى ما دام هذا هو الموقف السليم ، فى كل الأحوال
يجب وقف هذه الموجة من التفاؤل . كيف ؟

ويقول **مجدى فهمى** : من خلال اعادة قراءة وشرح بعض الكتب
النظرية ، وتأكيده عدد من مفهوماتها . الطبيعة المزدوجة للبورجوازية
الوطنية ، تجربة الثورة الصينية ، قضية الديمقراطية كما تفهمها
وتمارسها الطبقات المخلقة . دور الطبقة العاملة فى الثورة الوطنية
وشرط قيادتها للثورة . .

وفى مساء نفس اليوم بعد محاضرة القاها **مجدى فهمى** عن تجربة
الثورة الصينية ، وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة ، جاء من
يقول : المأمور **جانب راديو كبير** علشان نسمع فيه خطاب **جمال عبدالناصر** .
ونجلس على البطاطين فى قلب الصحراء لنسمع من الميكروفون صوت
المذيع يعلن وصول **جمال عبد الناصر** . . ونسمع هتافات عالية وتصفيق
حاد ثم يسود الصمت حين يبدأ **جمال خطابه** . وحين أعلن **جمال**
تأميم قناة السويس ، امتزج هدير تصفيق الجماهير فى ميدان المنشية
بالاسكندرية ، مع هدير تصفيقنا ، نشارك الملايين فى كل مكان
فى مصر والعالم العربى وكل القوى التقدمية فى العالم .

وكانت هذه أول مرة تشهد فيها **صحراء الواحات الخارجة** هتافا
يشق عنان سمائها **بحياة ناصر وثورة ٢٣ يوليو** . وبعد الخطاب
انتظمت جموعنا مع **جموع المؤيدين من الإخوان المسلمين** فى مظاهرة صاخبة
ظلت تجوب المعسكر أكثر من نصف ساعة . وبلغ تأثير **المأمور والضباط**
والجنود درجة كبيرة جعلتهم ينضمون إلينا ويهتفون معنا ، نمر يعانقوننا
فى ود وانسانية . وبعد المظاهرة عقدنا اجتماعا عاما حضره كل من
فى السجن من مسجونين عاديين وجنود وضباط والمأمور والإخوان
المؤبدن . ألفيب فيه الكلمات المناسبة ، والسعر . الشاعر **فؤاد حداد**
انسحب بهدوء بعد أن سمع **جمال** وهو يعلن قرار التأميم ومكث فى خيمته
ليكتب قصيدة .

يا حمام البر سقف ، طير وهفيف ، على كتف الحر وقف ، والمقط الغله . .
وقصيدة أخرى كتبها **صلاح حافظ** .

بكره النور فى بلادنا بلالى لما نقبم السد العالى .
قصائد كتبت أثناء خطاب **ناصر** التاربخى ، وأخرى خلال احتفالنا .
فى ساعات قليلة ولدت قصائد فى قلب الصحراء أنشدتها مسجونون محكوم
عليهم بالأشغال الشاقة فى تلك الصحراء ، ثم أنشدتها مصر كلها
ومعها كل أقطار الأمة العربية .

كان استقبالنا لتأميم القناة يفوق فى إيجابيته كل القوى
الوطنية الأخرى . فمنذ الأربعينات وهذا الهدف واحد من أهداف

برنامجنا • وخلال معركة الكفاح المسلح فى القناة ضد قوات الاحتلال البريطانية ، كان تأميم القناة فى مقدمة المطالب التى طالبنا بها حكومة الوفد •

كانت كل كلمات الزملاء تبرز أهمية هذا القرار ، وتضع احتمالات معركة ضارية ضد الاستعمار الذى سيلجأ الى شتى المؤامرات لضرب الثورة الوطنية ، حتى قد نصل مؤامرتة الى الغزو المسلح • وانه لا سبيل الى تحطيم مؤامرات الاستعمار بكل أسكالها الا بتعبئة الشعب واطلاق حرياته السياسية والافراج عن كل المسجونين الوطنيين • وتضمنت البرقية التى أرسلناها الى الرئيس جمال عبد الناصر فى نفس الليلة هذه المعانى : لقد تحمس المأمور حين قرأ تلك البرقية وركب عربته على الفور واتجه الى المحافظة كي يرسلها باللاسلكى ، قال وهو يركب عربته التى كنا نحيط بها من كل جانب :

- أظن بقى لا مجال للتشاؤم

- وهل نهوى التشاؤم ؟

- نحن أكثر الناس تفاؤلا • • ولكن :

- ونسمع نبرات صوت المأمور الودودة :

- كلها يومين وأجيب لكم أحسن خبر •

موجة التفاؤل تصعد بسرعة عند الزملاء • لا نستطيع أن نقف فى وجهها ، وفى نفس الوقت يجب أن نسير معها • الموقف هو أن نهىء أنفسنا لأحسن الاحتمالات ، ولأسوأها فى نفس الوقت • الأمر المؤكد ان معركة ضد الاستعمار قد بدأت بعد التأميم • والانتصار فى هذه المعركة يتوقف بالدرجة الاولى على قيادة المعركة • فهل تدرك هذه القيادة كل أبعاد المعركة وهل تعم ضرورتها • وما تفرضه من اطلاق الحريات السياسية للشعب ومنظماته وهيئاته الوطنية ، وقيام جبهة وطنية والافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ؟ انها حقاً قيادة وطنية ، ولكنها بوجوازية ذات طبيعة مزدوجة • الموقف اذن يفرض حملة تعبئة سياسية وفكرية • محاضرات يومية ، سياسية وفكرية ، والنشرة الداخلية « الوعى » تركز على الدروس المستخلصة من تجارب الثورات الوطنية الديمقراطية المعاصرة ، وعلى التحليل السياسى اليومى لما يرد اليها من أخبار فى الصحف والراديو • كان الزملاء يعون بعقولهم المقولات النظرية ، لكن عواطفهم معلقة بالأمل المستحيل • وتنهال خطابات الأهالى تبشرنا بالافراج القريب جدا ، بعد ان يلوون عنق أى كلمة أو تصريح لسئول • ولم يكن هذا غريباً منهم فالحق كل الحق معهم حين يتعلقون بقشه كالغريق ، ولكن الغريب حقاً ان تصلنا تحليلات سياسية لزملائنا فى الخارج تتوقع الافراج عنا بين يوم وآخر • أكثر من ذلك •

يصلنا مقال نظري بعنوان « نحن حزب فى السلطة » ! ويدلل على ذلك بأن معظم ما وضعناه فى البرنامج قد تحقق ، وبالتالى فان القيادة السياسية قد أصبحت له !

وأصبح وضعنا شاذًا حين وصلنا هذا التقرير ، مثل هذا الكلام لا نوافق عليه من الناحية النظرية . وهذه التحليلات السياسية المتفائلة على غدر أساس ، نرفضها ، غما العمل ؟ موجه التفاؤل سوف تصل الى قمته لو عرف الزملاء ما جاء بها ، فمن البديهي أن يكون الزملاء فى الخارج هم الذين على صواب لأسباب مختلفة ، ليس فقط بحكم وضعهم ، وانما أيضا لأنهم أقرب الى الواقع . بل المفروض انهم جزء منه . كان من الأفضل أن لا يرسل لنا زملاء الخارج هذه التحليلات والمقولات النظرية على الأقل من باب الحرص على معنويات زملائهم المسجونين اذا لم يتحقق الافراج عنهم . لقد وصلوا الى يقين بحقيقة الافراج عنا ، هذا ما تقوله تحليلاتهم . وهو خطأ نظري ومنهجي فى نفس الوقت . ان التزامنا ليس التزاما أعمى وانما هو التزام واعى . والظروف لاتسمح بمناقشتهم وامكان تعديل رأيهم فى نفس الوقت تفرض علينا مسئوليتنا ازاء الزملاء المسجونين أول ما تفرض الحرص على معنوياتهم بعدم تعريضهم لى هزة نفسية . ورأينا أن نكتب الى الزملاء فى الخارج وجهة نظرنا فى هذه التحليلات السياسية والمقولات النظرية ، ومررنا اعلانها على زملائنا ، فى نفس الوقت الذى تعلن فيه تحليلاتهم . وتجري الأيام الباقية من يوليو ، وأغسطس ، وسبتمبر ، وثمانية وعشرين يوما من أكتوبر ١٩٥٦ ، وموجة التفاؤل بين الزملاء بين مد وجزر . خطابات الأهالى ترفع الموجة أحيانا ، وأحيانا أخرى تهبط بها . وتحليلات زملائنا فى الخارج كانت تتجاذبها أيضا موجة التفاؤل فى مدها وجزرها . كانت كل الدلائل تشير الى مؤامرة كبرى بديرها الاستعمار ضد الثورة . ولم نكن موافق القيادة السياسية تدل على ادراكها الكامل بأبعاد هذه المؤامرة . لقد ركزت كل ثقلها على العمل السياسى الدبلوماسى الخارجى فى الهيئات الدولية . ولم تهتم بأعداد الشعب سياسيا وعسكريا للمعركة ، وبالتالى لم تكن قضية الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين فى جدول أعمالها . وكان من الطبيعى أن يفل بين الزملاء نغمة الحديث عن الافراج ، وأن تهبط موجة التفاؤل الى أدنى مستوى . وبرزت مشكلة خطيرة . مسئوليتنا كسياسيين وطنيين تفرض علينا تأييد ومساندة المواقف الوطنية للسلطة فى مواجهة المؤامرات الاستعمارية ، والتحذير من اشكالاتها المتعددة . وفى كل بيان أو برقية كنا نضع مطلب الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ، حتى تحول الى أكليسيه تتقاوله السنة بعض الزملاء بالسخرية ! وفى نفس الوقت تفرض علينا

مسئوليتنا ازاء الزملاء تفسير سياسى ونظرى لاستمرار وجودهم فى السجن ، أن تسجن لانك تعارض النظام شىء مفهوم ومقبول . ولكن أن تسجن وأنب تؤيد وتساند هذا النظام مسألة لا تقبلها الا اذا كنت نملك قدرة نظرية كبيرة ورؤية سياسية واضحة مستمدة منها . ولقد أثبتت التجربة صحة موقفنا الفكرى والسياسى وظل الزملاء صامدين متماسكين . غير أن موقف الاخوان المسلمين ، « المؤيدين » كان ضعيفا ، فبعد أن كان عددهم بزداد ، أخذ بضيق ، فتركهم عدد كبير وعادوا الى الاخوان المسلمين « المعارضين » . وبعد أن كان « المعارضون » والمؤيدون يعيشون معا أصر المعارضون على عزل المؤيدين فى خيام خاصة . ومع الساعات الأولى لصباح يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ سمعنا خبر العدوان الثلاثى على مصر ، واشتعلت مشاعرنا وجرت أحداث أحكى لك تفاصيلها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي

١٨ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

ملحوظات لابد منها . . . وسؤال .

المحظة الأولى : يوافق اليوم - ١٨ يوليو ١٩٧٧ - الذكرى الخامسة

والعشرين للقبض على فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ .

المحظة الثانية : بعد أربعة أيام من اعتقالى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وبقيت فى السجن حتى ٤ ابريل ١٩٦٤ .

المحظة الثالثة : بعد أربعة أعوام وأربعة أيام قضيتها فى السجن

صدر قرار تأميم قناة السويس .

المحظة الرابعة : تستعد الصحف والاذاعة والتليفزيون للاحتفال باليوبيل

الفضى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

السؤال : كم كان عمرك يا حبيبتي يوم صدر قرار تأميم

القناة . وهل كان جيلك يعرف عن وجودنا وراء الاسوار ؟

الرسالة رقم (٣٣)

حبيبتي

فى مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، كنا مثل بعض أبناء البيت الذين قيديهم أبناء آخرين من نفس البيت حتى لا يقاوموا اللصوص الذين اقتحموه لسرقته والاعتداء على حرمانه ! لمصلحة من يسلون مقاومتنا لهؤلاء اللصوص ؟

اللصوص والسفاحون يسرقون ويقتلون كل أبناء البيت وهم لا يتعاونون الا مع أولئك الذين يخونون حرمة البيت الذى آواهم . واخوننا الذين يقيدوننا يتعرضون لنفس ما يتعرض له أبناء البيت البررة .
وأنرك لك يا حبيبتي تصور حالة الزملاء الملقى بهم فى قلب الصحراء ، وبلادهم الحبيبة يعتدى عليها الغزاة الاستعماريون والصهاينة . كانوا أسودا وضعوا فى أقفاص . ومن الذى وضعهم ؟ أخوتهم الذين بجمع بينهم شرف الانتماء للبيت الواحد . لكن حالتى فاقت كل تصور فى تلك اللحظة .
الملك يقبض على ، وحكام ثورة ٢٣ يوليو يحكمون على بالأشغال الشاقة ثم يحرموننى من شرف الدفاع عن بلادى !

الزملاء جميعا يتجمعون فى حلقات حول عدد من أجهزة الراديو «البرانزستور» مع جميع اذاعات العالم ، ويرتفع صوت من بين احدى الحلقات:

— الجيوس الاستعماريه .. اجتازت ممر مثلا ..

— أى اذاعه ؟

— لندن .

— كذب لا تصدموها .

وبرنفع صوت آخر ..

— اسرائيل ادعت نفس الخبر ..

ونصيح أصوات غاضبة :

— كذب .. كذب ..

ويأتى صوت ثالث حزين .. حزين ..

— الخبر صحيح يا زملا ..

وتصيح كل الأصوات ..

— لا .. لا .. مش ممكن ..

— الخبر من راديو القاهرة ..

وبسود صمت رهيب . راحت سبنا . ربما يكونون غدا في مدن القناة . هل يحتلوننا ؟ هل يحمل الشعب السلاح ليدافع عن أرضه ووطنه؟ الموقف العسكري خطير جدا ؟ لماذا ؟

البكباشي أركان حرب فؤاد جاسر من الاخوان المؤيدين - ينرح لنا الموقف العسكري على سبورة ، أن يمر الغزاة من ممر متلا معناه احتلال كل سيناء . الا تستطيع جيوشنا أن توقف تقدم الغزاة ؟ لا . مستحيل ؟ ما العمل إذن ؟

ونأتي البنا صوت فؤاد جاسر حزينا ، ممزقا ، مكسورا :

- لابد من انسحاب جيوشنا الى ضفة القناة .

وفي صباح يوم ٣٠ أكتوبر نسمع خبر صدور الأوامر بالانسحاب من سيناء ! لم تعد الحرب نظامية بين جيوش فقط . انها حرب شعبية . وهل يملك الشعب السلاح ؟ ويأتينا صوت جمال عبد الناصر من الجامع الأزهر ..

سنقاتل .. سنقاتل ..

وتصل أخبار حمل الشعب للسلاح في مدن القناة وفي القاهرة . ليقاوم الغزاة !

دماؤنا تغلى . وأعصابنا لم تعد تحتل . هذه أرضنا ونحن أخلص أبناءها . أيدينا التي يكبلها الحكام يجب أن تحمل السلاح مع الشعب في وجه المعتدين الغزاة . وأصبح زكي مراد في صباح اليوم التالي للعدوان على بلادنا ونذهب الى المأمور ، في الطريق الى مكتبه نتفق على كل شيء . دون أي مقدمات يقول زكي مراد :

- نرجو أن تبلغ القاهرة ما يأتى : 'إذا لم يصدر قرار الافراج عنا في

ظرف ٤٨ ساعة فإن الآن نعلم أن يتحملوا مسئولية ما يحدث هنا . ويلاحظ المأمور الانفعالات على وجهنا فيقول بصوت ودود :

- يا جماعة أصبروا الحكومة عارفة موقفكم الوطني العظيم .. وأقول بغضب ..

- لم يعد شرف معرفتها لموقفنا له أي أهمية ..

ويحاول المأمور تلطيف الموقف ..

- ده برضه بساعدنى فى مسألة الافراج ..

- لا أحد يملك منع مواطن من شرف الدفاع عن أرضه .

- أنتو عارفين - الرئيس مشغول فى المعركة .

- ونحن .. ألسنا جزءا من هذه المعركة ؟

- يعنى .. المسألة تحتاج لبعض الاجراءات

ويقول زكي مراد بغضب :

- اجراءات أية ؟ دي كلمة يقولها ..

- وأكمل ..
- ولا بد أن يقولها .. والا ..
- ويقول المأمور ..
- طيب أدوني فرصة كافية ..
- ونقول بحسب :
- ٤٨ ساعة من الآن .. ليس أكثر .
- وأنا في ايدي أيه ؟
- في ايديك أن تتصل باللاسلكى بالقاهرة .. الآن .
- سأفعل ..
- وإذا مضت ٤٨ ساعة ولم نخرج من السجن فسيكون هناك تصرفه آخر .
- زى أيه مثلا ؟
- ويقول زكى مراد :
- سننظم جميعا أمام بوابة السجن ونطلب من سيادتك السماح لنا بالخروج والذهاب الى القاهرة لحمل السلاح ضد الغزاة المستعمرين .
- ويقاطعه المأمور :
- وأنت عارف اننى لا أملك هذا ..
- طبعاً نعرف هذا ..
- اخن ما الذى تنتظره منى ؟
- وارد عليه :
- أن تقوم بتنفيذ ما يملكه عليك واجبك
- ويسأل المأمور :
- واجبى الوظيفة .. او الوطنى .
- نتمنى أن يكون الواجب الوطنى
- وأكل عيشى ؟
- هذه ظروف استثنائية
- لكننى موظف أولا ..
- فى مثل هذه الظروف أنت وطنى أولا ..
- ونلمح الدموع تتجمع فى عيون الرجل الوطنى
- لا أستطيع الا أن انحنى احتراما لكم .. لكن أرجو أن تقدرنا موقفى .
- ويقول زكى مراد :
- نحن نقدر موقفك تماما حتى ولو تغلب واجبك الوظيفة على الواجب الوطنى ..
- وهل تعرفون نتائج القيام بواجب الوظيفة ..
- وأقول :

- نعرفه جيدا .. ستطلقون علينا الرصاص عند خروجنا من السجن ..

- وهل أنتم مستعدون لذلك ؟

ويرد زكى مراد بحسم :

- كل الاستعداد ..

وترتسم علامات الدهشة ممزوجة بالاعجاب والتقدير على وجه المأمور :

- سيسقط منكم ضحايا .. والباقي لن يخرج ..

- لا سنخرج جميعا من بوابة السجن .. أحياء أو أمواتا ..

ويتساءل المأمور :

- وما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟

وأقول ساخرا :

- حتى تصل المأساة الى ذروتها ..

لحظة صمت تمر كأنها دهر .. نلاحظ خلالها وجه المأمور يجسد

ما فى داخله .. هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه .. خروجهم من باب السجن

ليس له سوى معنى واحد .. هو محاولة الهروب .. والقانون صارم ،

اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهروب .. هؤلاء أول مسجونين

يعلنون عن عزمهم **للتهرب** ويحددون له موعدا .. وهم لا يهربون من أجل

ارتكاب جرائم ، وانما كي **يموتوا** فى ساحة الشرف .. عجباً لهم من بشر ..

يهربون **للموت** ولبس الحياة ..

- وفجأة يسأل المأمور :

- هل أنتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ،

ونقول فى نفس واحد ..

- وفورا ..

ويتناول زكى مراد الورقة والقلم من المأمور ويسجل عليها مطلبنا ..

الافراج عنا كي **نموت** فى ساحة القتال برصاص الغزاة خلال ٤٨

ساعة أو استمرار سجننا والموت برصاص الحكومة الوطنية على باب

السجن .. ويوقع وأوقع بعده ..

- واضح أن الحكاية جد خالص ..

- عهدك بنا لا نقول الا الجد ..

- اذا أعطونى فرصة للتصرف

- نرجو أن يكون بسرعة ..

سأذهب فورا الى المحافظ وأطلعته على ما دار بيننا وعلى هذه الوثيقة ..

وأطلب منه ان يبلغ رئاسة الجمهورية بمضمونها ..

- نأمل أن نعرف النتيجة على وجه السرعة

ويقول ضاحكا :

- ربما يحتاج الأمر اطالة مدة **الانذار** ٢٤ ساعة ..

ويقول زكى مراد بحماس شديد :

- ولا ساعة واحدة ..

واكمل :

- وهو ليس انذار ..

- ما هو اذن ؟

- هو موقف .. والانسان موقف .

ويضمنى زكى مراد بحب ، ويقول :

- عنوان محاضرة نسمعها اليوم منك .

- ومطلع قصيدة تنشدها لنا اليوم ايضا .

ويطلب المأمور ان لا تبدأ المحاضرة قبل عودته من عند الحاشية :

فهو يريد أن يسمعها مع الزملاء ، كما يسعه أن يسمع القصيدة . ربما لم يشهد أى سجن فى العالم ما شهده سجن جناح بالوحدات الخارجة فى ذلك اليوم . اجتماع يضم المسجونون الشيوعيون والاخوان المسلمين المؤيدون للحكم الوطنى ، والمسجونون العاديون ، وكل السجانة وكل الضباط ومعهم مأمور السجن يستمعون لأكثر من ثلاث ساعات محاضرة عنوانها « الانسان موقف » ، وقصيدة مطلعها هاتين الكلمتين . كان الرانيو بذيع نشرة أخبار كل ساعة وكنّا حريصين على أن لا تعطل المحاضرة سماع نشرة القاهرة ، وكل اداعات العالم . وجلس الزملاء الذين يحملون الراديوهات « الفرارستور » يسمعون الاخبار بواسطة السماعة ، بأذن ، ويسمعون المحاضرة بالأذن الأخرى .

بعد حوالى ساعة من بدء المحاضرة ، رفع زميل يحمل راديو يده أنسار الى خبر هام ..

- الرئيس جمال عبد الناصر يوجه نداء للمعسكر الاشتراكى ولكل القوى التقدمية فى العالم الوقوف الى جانب مصر فى معركتها ضد الاستعمارين والصهاينة والغزاة .

وتلتهب الأكف بالتصفيق دقات . وأعود الى المحاضرة :

تمضى أقل من نصف ساعة .. وترتفع يد زميل آخر من حملة الراديوهات .

- الاذاعة توقفت عن الارسال .

أتوقف ، وتكاد قلوبنا تتوقف عن ضخ الدماء الى أجسامنا .

لهفة عليك يا أرضنا الحبيبة ، حرمونا من شرف بذل دماؤنا فوق

قرايبك المقدس ، لا ، لن تجمد دماؤنا فى عروقنا ، اليقين فى أعماقنا

يحمى قلوبنا ولن تتوقف أبدا عن ضخ دماء الحياة لأجسامنا ، حتى

نغزلهما فداء لك يا مصر يا حبيبتي .

ويبدد الصمت أصوات ترتفع :

- تمكن المهندسون (١) المصريون من تجهيز عربة اذاعة حتى يتم اصلاح محطة الاذاعة التي تعطلت .

اكف الحاضرين تلقى من التصفيق وتعلو الهتافات بحياة الشعب الذى لا يقهر . واعدوا الى محاضرة « الانسان موقف » بعدها ينشد زكى مراد قصيدته . ثم نردد مع أم كلثوم .. والله زمان يا سلاحي استنقت لك فى كفاحي ، أنطق وقول أنا صاحي يا شعب والله زمان ! ومع فائدة كامل . دع سمائي فسمائي محرقة ، دع مياهي تمياهي مفرقة .. الخ ..

ونستقبل نور فجر اليوم الجديد بنفس هائلة ، وقلوب مطمئنة ، وروح شفافة متصوفة ، كانت لنا مواقف كثيرة ، قبل السجن وخلالها ، لكن موقفنا هذا جسد الانسان فى سموحه وعظمته ، الانسان الذى لا يقهره شيء .. حتى الموت ذاته .

وفى الصباح تحمل لنا زيارة من أهلنا انباء هامة ، تجعلنا أكثر اصرارا على الموقف الذى اخترناه ، أحكيها لك يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة .

٢١ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

(١) كان على رأس هؤلاء المهندسين المهندس الدكتور فائق فريد . الفائز لأول مجلس للأمة عن دائرة روض القرج . اعتقل فى عام ١٩٥٨ ، ولم ترفع عنه الحصانة البرلمانية .

الرسالة رقم (٣٤)

حبيبتي

ذات يوم من الأيام الأولى في شهر نوفمبر ١٩٥٦ حملت اليينا
زيارة من أهاليها انباء هامة أعطتنا أمل الاشتراك في معركة مصر
المقصدة . وازداد أملنا حين سمعنا اخبارا أخرى من مأمور السجن .
الحكومة توزع السلاح على الشعب . زملاؤنا في الخارج بالاتفاق مع
الحكومة يقومون بتعبئة الجماهير في المعركة ، وينظمون المقاومة الشعبية
في بور سعيد . الجبهة الوطنية تتحقق من خلال المعركة ، والحريات
السياسية تعم كل مناحي الحياة في مصر . فقط لم يبق سوى
الافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ، وهي مسألة قد أصبحت
أقرب اليينا من حبل الوريد !

- ولماذا لم يصدر قرار الافراج مع قرار التعاون معكم ؟
وجهنا هذا السؤال الى الزميل الذي جاء مع الزيارة وحمل لنا هذه
الأخبار .

- لأنه يحتاج الى قانون .
 - ربما كان الأفضل أن يصدر عفو سياسي .
 - بالعكس القانون أفضل .
 - حتى يكتسب نشاطنا مشروعية ؟
 - بالضبط . .
 - ونشاطكم . . أليس مشروعاً ؟
 - بالطبع . .
 - من أي شيء يستمد مشروعيته ؟
 - من صلتنا بالدولة وعملنا مع أجهزتها .
 - وهل نتظاهر حتى يصدر القانون ؟
 - ويصبح الزميل وكل نيراء صوته توحى بالتفاؤل الشديد . .
 - مشروع القانون أعد بالفعل وسيُنظر أمام مجلس الأمة .
 - وهل تضمنون وقوف أغلبية مجلس الأمة الى جانبنا . . ؟
 - وترتفع رنة التفاؤل في كلمات الزميل :
 - عدد من مجلس الأمة طالبوا بهذا في مقدمتهم ابو الفضل الجيزاوي
- و . . .

- ويهمس :
- اطمئنوا ما دام الرئيس عاوز كده .. لازم مجلس الأمة يوافق .
 - وأتساعل بسخرية ..
 - وهو الرئيس عاوز يفرج عنا ؟
 - ليس فى ذلك أدنى شك .
 - اذن فلبيصدر قانون يعرضه بعد ذلك على مجلس الأمة .
 - قانون يصدر من مجلس الأمة أقوى من قانون يصدره رئيس الجمهورية .
 - وهل احتاج قرار توزيع السلاح على الشعب الى قانون يوافق عليه مجلس الأمة ؟
 - توزيع السلاح ده قرار سياسى .
 - لكنه يستند الى قانون .
 - وهذا ما حدث .. وبسرعة ..
 - ألا تستحق قضية الافراج مثل هذه السرعة ؟
 - ويستنكر الزميل هذا الكلام .
 - ده بقى موقف ذاتى !
 - وأقول بغضب :
 - الافراج عن الوطنيين فى ظروف غزو استعماري يبقى موقف ذاتى ؟
 - الالحاح عليه يتحول الى موقف ذاتى ..
 - وهل اطلاق الحريات السياسية موقف ذاتى ؟
 - طبعا لا ..
 - لماذا اذن هذا الفصل التعسفى بين الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ؟
 - ربما لخوفنا من أن يفهموا أننا نضع شروطا ؟
 - أخشى أن تكون هناك أسبابا أخرى !
 - وينقطع الحوار فترة حول هذا الموضوع ، ثم يعود مرة أخرى حين يأتى المأمور ومعه أنباء أخرى ، يقول :
 - جاءت برقية من رئاسة الجمهورية صباح اليوم .
 - خيرا ..
 - شكر وتقدير لموقفكم الوطنى المشرف .
 - تانى !
 - ويشاركنا المأمور بتعبيرات وجهه وإقتسامته ، سخریتنا :
 - على العموم لازم تعطوهم فرصة ..
 - تانى !
 - يا جماعة ليه بس التشاؤم ده ..

- على العموم • باقى من الزمن ٢٤ ساعة • •
- ده ببقى ببقى انذار • • مش موقف • •
- ليه بقى • • ؟
- ممكن نعدبل الموقف • •
- هذا اذا استجدت ظروف نستدعى تعديله • •
- بيمى توزيع السلاح على السعب ، واستراك زملائكم فى المعركة مع
الحكومة دى مس ظروف جديدة ؟
- هى بالفعل ظروف جديدة • • تجعلنا أكثر اصرارا على موقفنا •
- وبكاد المأمور أن يتوسل لنا • ويقول :
- أرجوكم لا تضعوننى فى موقف حرج •
- ولماذا تضع نفسك فى موقف حرج ؟
- سأكون مضطرا الى القيام بواجبى الوظيفي •
- لا نفهم سه وحدك •
- كسف ؟
- اطلب حضور المحافظ واترك له الامر •
- عندنا نصير على أنه تعصير فى تأديته وظيفتى • •
- أمرون من أن يكون وظيفتك هى اطلاق الرصاص علينا •
- بمسرد نمره من الصف • كان الحوار مع المأمور يدور معنا على
مسمع من أعضاء ومن الرملاء الذين جاؤا لزيارتنا ، لكنهم لم يفهموا شيئا
من الحوار حتى آخر كلمه منه • لم يعكر كل ما شهدناه من
خوف وعلع وسؤال فى وجوه الزوار من هدوء أنفسنا الذى بعكسه
برس الاصرار فى عيوننا • ويبدأ المأمور محاولة كسب الزوار الى
حائبه • ولم يعبر الدموع الى جرت من عيون الأم والزوجة والأخت ، من
موقفنا ، وباقى الزميل آخر ما فى جعبته •
- ده موقف استنفازى •
- لمن ؟
- للسلطة •
- لماذا ؟
- لأنهم سبفسرونها على أنها حرقه • ثم مر كنه
سلكن ما تفسيرك أستاذ ؟
- الى حد كبير هو كذلك • •
- ونتوالى تعليقات الزملاء :
- البعض يستفزون • •
- والبعض بطبطبون • •

- اللى ايده فى الميه .
 - مش زى اللى ايده فى النار .
 - البعض يقاومون .
 - والبعض مسجونون .
 - يد تطلق الرصاص على الاعداء .
 - واليد الأخرى تطلقه على الأصدقاء .
 - أحسن جبهة وطنية .
 - وآخر صيحة نظرية .
- سخرية لاذعة تجسد كل ما فى داخلنا ، اصرار على الموقف الذى اخترناه ، رمض لكل الأوهام التى نسجها زملاؤنا فى الخارج ارضاء لذواتهم ، واحساس مرير بالأسى من موقفهم الذاتى .
- ويتوجه المأمور الى عربته وقبل أن تتحرك به ، يقول لنا :
- أنا رابح اتفاهم تانى مع **الحافظ** . . . ونتصل بالقاهرة .
- راديو القاهرة لا يتوقف صوته الذى يسمعه كل من فى السجن .
- يذيع الأغانى الثورية والانشيد الوطنية . وآذان بعض الزملاء على كل اذاعات العالم بتابعون أخبار الحرب العدوانية على بلادنا .
- يفطع المذيع الاناشيد والأغانى الوطنية ويعلن :
- قوات العدو تغزو بورسعيد . . . المعارك تدور فى منطقة الجميل .
- ويعود الراديو لمواصلة اذاعة الاناشيد الوطنية . وتغلى الدماء فى عروقنا .

ويعلن المذيع .

- المقاومة الشعبية تطارد قوات الاحتلال ، بورسعيد يا مدينة البواسل وقلعة الاحرار . قاومى الاحتلال . . .

وتعود الاناشيد . . . وترتفع صيحات الزملاء ، نستنكر هذا الموقف من جانب الحكومة الوطنية . انها حما نقود الشعب فى معركة المصير ، فلماذا يحرموننا من شرف المعركة ولمصلحة من ؟ ونحور منافسات حادة بين الزملاء والاخوان المسلمين المؤيدين من جانب والاخوان المسلمين المعارضين من الجانب الآخر :

- ماذا حنبتكم من تاييدكم للحكومة ؟
- هو موقف سباسبى لا ننتظر من ورائه سببا .
- ومطلب الافراج عنكم ؟
- جزء من الحريات السباسبية .
- ومتى يفرج عنكم ؟
- هذا ما تقرره المعركة .
- قد تطول ولا يفرج عنكم ؟

- لن يغير هذا من موقفنا .
- ويعلو صوت مذياع راديو القاهرة :
- الانحداد السوفيتي يوجه انذارا للمعندين الغزاء .
- يصفق الزملاء والاخوان « المؤيدون » ، وبعلى بعض الاخوان المعارضين
- لمصلحة من هذا الانذار ؟
- لمصلحة المعركة المشتركة ضد الاستعمار .
- سيكون اليمن باهظا .
- مثلا .
- احلال استعمار محل استعمار آخر ..
- وما رأيك فى الآخر ؟
- أهون الشرين .
- كذا .
- نعم .. وما رأيك ؟
- مصر الحرة المستقلة .
- وتحاول بعض العناصر من الاخوان المعارضين استفزاز الاخوان المؤيدين .
- سرسر الاعتصاب وعلو الأصوات ، تبادل السبائم ، والأبىدى
- ببسادك . وتكاد معركة تنشب بين الطرفين . لكن صوت العفل يعلو ،
- وبعود الهدوء . يتوقف المناامسات والاستمزازات المتبادلة ، وينمق على
- عدم اساره اى مناعسات جماعه والنمسك باحترام كل لماعر وفكر
- الآخر .
- صوب « البروجى » بعلو ببغمة حاصه تعرف معناعسا المسجونون
- مى سجونهم ، ورجال الحبس فى كبائهم . رباره أحد لواءات الجيش
- أو البوليس .
- أى نوع من اللواءات يا نرى ؟
- المحافظ لواء .. ومدير مصلحة السجون لواء .. ومدير المباحث
- العامة لواء .
- العربية السوداء فى مقدمتها علم « اللواء » تجرى بسرعة نحو
- باب السجن ، وصوت « البروجى » لا يكف عن الصباح ، وراديسو
- القاهرة بواصل اذاعه الأناسيد والاعانى الوطنية ، ونمس الظهيرة
- اللافحة فى الصحراء ، لا تحول دون وفوق الزملاء تلى باب السجن ،
- وفوق الرمال الملهبة ، فى انقظار ما بتحدث وبرتفع صوت مناسم .
- موقفنا كما هو لم بتغيير .
- أذهب أنا وزكى مراد لاستقبال اللواء القادم الينا .
- ينقدم الينا اللواء المحافظ وعلى وجهه ابنسامة عريضة ويسلم
- علينا باليد بود ملحوظ ، ويقول :

- أحمل أخبارا هامة لكم .
- خيرا .
- برقيه مريثاسة الجمهورية تعد بالافراج العاجل .
- كنا نود أن نحمل البرقية قرار الافراج .
- مجلس الأمة سيناقش الأمر عدا .
- ربما نطول المناقشة .
- لا أعتقد . . مطلوب منه اصدار قانون بسرعة .
- وهل تتحمل أعصابنا الانتظار وجزء من أرضنا تدنسه قوات الاحتلال ؟

- أعرف عنكم القدرة على التحمل .
- نحن غير مفتنعين بهذا .
- أجدر بكم أن تثقوا بفيادة المعركة .
- كل الثقة بجديتها في المعركة .
- من المنطقي ادن أن نتقوا بوعودها لكم .
- تجربة الأيام الماضية - منذ فرار تأمين القناة - علمتنا الحذر .
- ربما كان من الأفضل لكم أن تراجعوا موقفكم .
- نرجو أن لا يكون ذلك نهديدا .
- بل هو واجب الوظيفة . .
- نحن لا نعترض . .
- وتعرفون النناج . .
- نعرفها جيدا . .
- أنتم ننتحرون .
- لا . . وانما نسجل موقفنا .
- ويضحك المأمور ، ويقول :
- الانسان موقف .

ويبدو على المحافظ عدم الفهم . ويشرح له المأمور ما سمعه في المحاضرة ، وتكسو وجهه تعبيرات الدهشة ممزوجة بتعابير الاعجاب والتقدير . يقول :

- لم أكن أتصور الأمر بهذه الدرجة .
- ألم ينقل اليكم المأمور حوارنا معه ؟
- ليس من سمع كمن رأى .
- وها أنت قد سمعت ورأيت .
- وتضاعف حرج موقفى .
- نأسف . . ونرجو أن تقدرنا موقفنا .
- وتتوالى رجاءات المحافظ والمأمور وعدد من ضباط السجن وبعض الاخوان

المسلمين الذين كانوا ينابعون الحوار :

- انتظار كام يوم لن يفل من قيمه موقفكم .
- انتم في منزلة اولادى .
- فى الثانى السلامة .
- البس لكم اولاد ؟
- زوجات وأمهات ؟
- ويذهب المامور الى خيمة الزوار ويصطحبهم اليها :
- يا ولادى .. حرام شبابكم .
- اولادكم مين يربيههم ؟
- زوجاتكم .. ليه يترملوا بدرى .
- وامهاتكم .. رح تبقى حالتهم آيه ..

و . و . و . و بنتحى بنا البكباسبى فؤاذ جاسر جانبيا ويهمس :

- أنا رايبى كصدى ننظروا كام يوم ..
- انتظرنا طويلا ..
- انتظار كام يوم كمان لن يقلل من موقفكم .
- ولن يغير أيضا من موقفهم .
- وقتئذ يكون الحق معكم تماما .
- اوليس الحق معنا منذ زمن ؟
- اقصد حى مسئوليتكم عن ارواح زملائكم ..

مسئوليتنا عن ارواح زملائنا قبل مسئوليتنا عن ارواحنا نحن .
لكن الزملاء ممثلون حماسا . انهم مقتنعون تماما بهذا الموقف . القرار
ليس قرارنا . انه قرار كل الزملاء وبالإجماع . هل اهتز اقتناعنا أمام
كل ما سمعناه . من توسلات ، وما رأيناه من دموع فى العيون ؟
هل يكون تأجيل الموقف ضعفا منا ؟ وهل الاصرار عليه بعد
كل ما سمعناه ورأيناه يعتبر موقفا جامدا ؟ . موقفنا واضح ومحدد
يعرفه كل المسئولين وكل أهاليها وبالتالى قطاع هام من الجماهير ،
وقد رتبنا على تنفيذه ليست محل تساؤل ، الانتظار عدة أيام أخرى
سيكون فى صالحنا فى كل الأحوال . اذا صدر القانون من مجلس
الامة ، فقد كسبنا الافراج ، واذا لم يصدر واتضح نواياهم بعدم
الافراج نكسب نطف اوسع قطاعات من الجماهير ومن بسقط يخلد فى سجل
الشهداء .

كان ما يدور فى داخلى هو نفس ما يدور بداخل زكى مراد :

- آيه رايبك يا زكى ؟
- نعود الى الزملاء .. نناقشهم .

- أفضل أن نعود برأى واحد .
- وما رأيك ؟
- المساومة .
- كم يوما ؟
- أربعة أيام أخرى .
- موافق .

وفبل أن يعود الحوار مع المحافظ والمأمور نشترط .
- ما سنتوصل اليه يتوقف تنفيذه على موافقة كل الزملاء .

- ويبتسم المحافظ . .
- يعنى الرجوع لمجلس الأمة .
- تقريبا .
- ماذا تقترحون ؟
- التأجيل أربعة أيام . .
- خلوها سبعة أيام . .
- ولماذا سبعة ؟
- اذهب خلالها الى القاهرة لعرض الأمر بنفسى .
- وستطرد المأمور .
- وينتهى مجلس الأمة من المناقشة . .
- نقسم البلد نصفين .
- وبضحك المأمور :
- يبقى خمسة أيام ونصف . . بلاش كسور .
- اذن خمسة أيام . .
- لا ستة . .
- اذن اتفقنا . .
- ليس قبل موافقة الزملاء .

ويذهب معنا الى الزملاء ، فؤاد جاسر وحسين حموده وعدد من أصدقائنا من الاخوان المسلمين المؤيدين . وبعد اجتماع يستمر أكثر من ساعة نبذل خلاله جهدا مكثفا لاقتناعهم ، تارة بشرح مستفيض لموقفنا خلال الحوار مع المحافظ والمأمور ، وتارة أخرى بشرح الظروف الموضوعية الآن ، وبعد التأجيل ، وانها سوف تكون فى صالح موقفنا فى كل الاحتمالات نصل الى موقف الاجماع الكامل .

وحين يسمع المحافظ والمأمور والضباط قرار الزملاء جميعا بالموافقة ، تتهلل وجوههم فرحا ، ويعدون ببذل كل الجهود حتى يفرج عنا .

وتجرى الاحداث بسرعة مذهلة ، مع كل حدث ترتفع موجة التفاؤل
وتتوقع افراجا سريعا ، لكن حثا بعينه يجمع بقصبة الافراج عنا
الى الخلف ، ويدفع فى نفس الوقت المعركة الى بداية النهاية .
احكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٢٣ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣٥)

حبيبتي

فى نفس اللحظة التى توفف فيها القتال يوم ٦ نوفمبر ، الغينا
قرارنا الذى حدثك عنه فى رسالتي السابقين . أحس بنميتك نتحركان
لتسالي سؤالا أعرفه ، وتعرفين أنت اجابته ، لكن بريق عينيك يطلب
المزيد .

قرارنا السابق الذى الغيناه كانت حبيباته تتلخص فى كلمات :
ان ننهي جسدا برصاص الحكومة الوطنية ، خبر من أن نموت من
الداخل حين نرى أرضنا المقدسة تدنسها أقدام الاستعمارين الصهاينة ،
ونحن هنا فى السجن مكبلون . ولم تكن قرارنا هذا بسبب الرغبة
فى الاستمتاع بحياة آمنة مستقرة بين الأهل والأصدقاء ، وانما كان
لههدف محدد هو أن نخرج من السجن الى ساحة القتال مباشرة . وكنا
على استعداد للعودة الى السجن مرة أخرى اذا لم نفلح فى الاستشهاد
فى ميدان القتال ، اذا ما استلزم الحكام ذلك ! كان موقفنا يا حبيبتي
صادقا كل الصدق ، غايته محددة ووسيلته جزء من هذه الغاية ،
فالوسيلة عند الثوريين ليست مبررا لها ، كما بفعل الانتهازيون
والوصوليون . ان كانت عابثك شريفة فيجب أن تكون وسيلتك الى هذه
الغاية شريفة حتى ولو كان ثمنها الموت .

هذه المعانى كانت محور حديثنا مع مامور السجن بعد انتهاء
المدة المتفق عليها كى نعلن تمردنا ونخرج من باب السجن اذا لم يفرج
عنا وبالتالي نعرض للرصاص ، قال :

- أقترح أن تنتظروا لبعض الوقت ولا تقلقوا ..
- سننتظر طويلا .. ربما حتى انتهاء مدة عقوبة السجن وربما
سنوات أخرى بعدها ..

قال بدهشة :

- وموقفكم السابق .. هل عدلتم عنه ؟
- لم يعد له ما يبرره .. والغيناه .
- هل يمكن أن أعرف السبب ؟

- ليس خوفاً أوجبنا .
- لم يدر هذا بخاطري . .
- وانما لأن الظروف قد تغيرت بعد وقف القتال .
- ظننت انكم وجدتم فيها فرصة للضغط . .
- عفوا . . وبعض الظن أتم .
- ربما لأنى لا أفهم العلاقة بين موقفكم الحالى وبين وقف القتال .
- كانت غايتنا أن نخرج من هنا الى ميدان القتال مباشرة ، ويعود الى السجن من بقى حيا منا ، اذا استقر ذلك الحكام !
- دقات نداء العشاء تدعونا ، ويفعل المأمور والضباط دعوتنا لتناول الطعام معنا . ويستمر التواصل الانسانى بين المسجونين ورجال ادارة السجن ، أثناء تناول العشاء ، وخلال الحفلة الساهرة ، التى أحيانا الزملاء لمناسبة وقف القتال .
- كانت هذه أول حفلة نقيمها منذ بدأ العدوان على بلادنا .
- وبعد انتهاء الحفلة وقبل أن ينصرف المأمور ، عائدا الى منزله يقول :
- كل يوم اكتشف فيكم جديدا
- نرجو ان يكون محل تقديركم
- كل التقدير
- وما آخر جديد اكتشفته ؟
- قدرتكم على العطاء كبيرة
- ولكنهم بحبسونها هنا فى قلب الصحراء .
- وزعم ذاك فعطاؤكم لا يفوق . . حتى فى الصحراء !
- كان المأمور يشير الى نشاطنا الثقافى والتعليمى فى سجن « جناح »
- **بالواحات الخارجة** . كما قلت لك يا حبيبتي فى رسالة سابقة ، اننا وصلنا الواحات ولم نكن بها الامكانيات التى تسمح بالحد الأدنى للحياة .
- وكان أول ما فمنا به هو توصيل المباء الى السجن ، واعداد مطبخ لطهى الطعام ، ومخبز لخبز العيش ، ومستشفى . بعد ذلك قمنا باعداد « كافترىيا » ننناول فيها وجبات الطعام . ونستخدمها فى القاء المحاضرات ، كما كنا نستخدمها كمدرسة . أكثر من ٢٠ مسجوناً من المسجونين العاديين الذين جاؤا معنا كانوا أميين ، تعلموا القراءة والكتابة وبعضهم درس حتى الإعدادية ، وبعضهم حتى الثانوية العامة . واثنان التحق بالجامعة ، وأكثر من ١٠ سجائاً واصلوا دراستهم ومنهم من التحق بالجامعة . فى نفس الوقت فتحنا فصول دراسية للزملاء السجين لم يتموا تعليمهم ، وفصول للغات المختلفة ، والرياضة ، والرسم .
- كثير من الزملاء تعلم الرسم على يد **وليم اسحق وسعيد عبد الوهاب** وكان « **ملك الصحراء** » خيمة خاصة يستخدمها كمuseum بعد أن تمام هو بنفسه بصنع الحامل والبراويز التى يشد عليها القماش . ان عدد

اللوحات التي رسمها ولم اسحق للزملاء . وللزوار من أهالينا ، والسجامة والضباط نكفي لأكثر من ثلاثة معارض كبيرة . كان أملا « ملك الصحراء » بعد أن توقف عن الرسم ما يقرب من أربع سنوات ، أن يرسم . وتكاتفه الزملاء جميعا كي يحققوا له هذا الأمل ، بمساعدة المأمور والضباط والاصدقاء توفر له كل ما يلزمه من مماس واللوان زيت وجواش وورق وخلافه . ما زالت صورته ولبيم في ذاكرتي حين وصله أول طرد به القماش واللوان والفرس . احتصنهم بحب وأخذ يجري في انحاء السجن يصيح :

- راح ابتدى ارسم تانى .. أنا ملك .. أنا ملك .
- ملك آيه ياوليم .. ما خلاص مفيش ملوك ..
- لا فيه .. أنا ملك .. أنا ملك الصحراء
- لكن أنت ما تنفعنى ملك يا ولبيم .
- مش الملك يملك ..
- وبيقولوا أنه لا يحكم
- أنا أملك الآن ما اسنطيع أن أعبر به بالفن
- تبقى ملك الفن ..
- لا .. ملك الصحراء .. لأن في هذه الصحراء الجرداء راح أخلق فيها فن .

- يعنى مش راح تحكم
- لا .. سايب لكم الحكم ..
- ويكمل ضاحكا ..
- في الشمس طبعاً !
- أذكر أنه ظل يعمل طوال النهار في صنع الحامل وبعض البراويظ الخشب ليشد عليها قماش الرسم . وظل طول الليل يصنع كرسي خاص ليجلس عليه أثناء الرسم وبعد « الطبيعة الصامتة » التي سيرسمها في الصباح ، كنت معه كل تلك الساعات أقوم بعمل صبي النجار حيناً ، وصبي الفنان حيناً آخر ، وبين الحدين والآخر نعمل فهوة « بن غامق » . !
- يا درش البن ده قشطه اليمن طول عمرى أشتريه من الراجل الخواجة اليونانى في شارع سبرا ، عارفه ؟
- مش واخذ بىالى يا ملك ..
- يا أخى اللى جنب الملة « ملة سبرا » المشهورة ..
- أيوه .. أيوه .. افكرت .. لكن يعنى لازم البن ده ؟
- مش ممكن أشرب الا « قشطة اليمن » .
- وكان يرفض باستمرار أن يقوم أحد بعمل القهوة .
- أصل عمل القهوة فن

- طيب اولع لك الوابور .
- وابور أيه بس .. هيه برضه القهوة نفعل على وابور
- أمال تتعمل على أبه ؟
- على نار هادية جدا
- ويقوم بعمل كومة صغيرة من الرمل ، وبصع عليها قطعا من خضون
الانسجار الجافة بعد أن يقطعها قطعا صغيره . ثم يسعل فيها النار
وينزكها حتى تنحول الى جمرات :
- طيب أحط الميه والبن والسكر ..
- أيه هو .. كده مره واحدة .
- بأتى بالكفكة ويبدأ بوضع البن ، ثم السكر ، ثم الميه .
- ولازم بهذا الترتيب ..
- طبعا .. دى بقى اسمها كيمياء .. ملعفة صغيرة من البن لكل
فنجان و ¼ ملعفة صغيرة من السكر ، ثم تضع الميه ، ودى برضه
بالمقاس . المة تبقى أقل شوية من سعة الفنجان .
- وبعدن نطبخ بالملعقة ..
- شوية قبل وضعها على النار .. وبعدن أثناء وضعها على النار
الهادية .
- ونقعد قد أبه بفى على نارك الهادية دى ؟
- أنا برضه نارى هادية با درس .. ؟
- مس فصدى ..
- ده أنا مولع من جوه ..
- نار القهوة « الهادية » دى عاوزه ييجى ساعة علشان تغلى .
- وماله مش لازم المسائل تنضج ..
- طبعا .. بس مش على الهادى قوى كده ..
- بالضبط .. يعنى على النار المناسبة .
- وأنت متأكد ان هيه دى النار المناسبة ؟
- التجربة الذاتية .. فضلا عن تجربة الملايين تؤكد هذا ..
- طب الذاتية وفهمناها .. امسا حكاية الملايين دى تبفى أيه ؟
- ملايمز الفلاحين يا درس .. القهوة .. والنسائ .. والأكل .. كله
على النار الهادية دى !
- معاك حق .. اقتنعت .
- نسرب القهوة .. هات الفنجان البنى .. يدى للقهوة طعم .
- آهى دى بقى مش فاهمها .
- أولا . أنا أحب اللون البنى ، لانه لون مصرى أصيل . وثانيا :
- القهوة البنى ، أعمق من الفنجان ، ودرجتى اللون تريحنى .

- حنبفى .. اسار وفنان .

- أنه ده .. اكساف حدد .

- أبدا .. اما تأكيد حقيقة ..

من يملك بكويبا انسانيا حقيفيا لا يملك فقط القهرة على التعامل
الانسانى مع البشر ، وانما على التعامل أيضا مع الأشياء - ويبدأ « ملك
الصحراء » فى اعداد ماده اللوحة التى سوفوم برسمها فى الصباح « **حنظل** »
جمعه من الصحراء ، و (دوم) كان قد أوصى أحد السجانة بشرائه من
« جناح » زهور عباد الشمس وبعض الورود ، وبعض فروع شجر
الخروج . يضعها بطريقة ثم يتأملها من بعيد ، ويعود الى ترتيبها مرة
ثانية بطريقة أخرى .. وثالثة ورابعة .. و .. و .. وأروح فى نوم
عميق . وهى الصباح الباكر أرى وليم وقد جلس أمام الحامل والفرشاة
فى يده . وعلى اللوحة خطوطا وألوانا . جلست أتأمل هذا المشهد
الانسانى . ما الذى يجرى داخل هذا الفنان وهو بمسك بفرشاته لأول
مرة منذ أربع سنوات ، منذ انتزعوها منه ؟ ما الذى سيخرج من
أعماق هذا الفنان ، بعد كل ما لاقاه فى **سجون مصر** ، وأبى زعبل
وليهمان طره ، **والواحات** طوال أربع سنوات ؟ ما الذى يريد أن يقوله ،
حين وضع « الحنظل » المرو « **الدوم** » الشديد الجفاف ، مع زهور عباد
الشمس ، والورود التى زرعتها هنا فى الصحراء ؟

تجرى بده بسرعة على اللوحة ، خطوط . ، ألوان ، أتأمل اللوحة تارة ،
وتارة أخرى أتأمل ما يجرى على وجه هذا الفنان من انفعالات . وفجأة -
رأيت على وجهه ما لم أراه أبدا من قبل خلال سنوات **السجن** . هل يمكنك
يا حبيبتي تصور تعبيرات وجه أم وهى ترى طفلها يذبح أمامها ، وهى
لا تستطيع انفاذه ؟ بالهول ما رأيته على وجه الفنان الصادق الذى يريد
أن يعبر عما فى داخله ولا يستطيع . كان يقف على حافة السكين بكل
كيانه ووجدانه ، ويرفض الهزيمة . وظل صراعه العنيف ضد احساسه
بالهزيمة أكثر من ساعة . القى بالفرشاة وخسبة الألوان جانبا ، والتفت
الى وعلى وجهه ابتسامة تحد :

- مش هو ده الى أنا عاوز أقوله .

وأنظر الى اللوحة بالوانها الجميلة وأقول مشجعا :

- مش من أول مرة يا وليم .

ويخرج من أعماقه تنهيدة طويلة ويقول :

- ودى أول مرة ارسم فيها يا درش ؟

- قصدى بعنى منذ أربع سنوات .

- طيب وانت أياه رأيك فى اللوحة دى ؟

- المهم رأيك أنت الاول .

- لو شفت اللوحة دى فى معرض نلقت نظرك ؟
- ما انت عارف ياوليم أنا معلوماتى فى الفن النفسكى لاتزيد عن معلوماتى عن اللغة الهيروغليفية .
- ويمسك بحجر ويلقى به وبخرق اللوحة ويمزق القماش . ثم يقول :
- ما تعمل لنا فنجان قهوة .
- وأقول ما زحاً :
- هو انا برضه أعرف أعمل مهوة .
- ويبتسم ابتسامة باهته :
- زى بعضه أعمالها بقى بطريقة « المثقفين » .
- بقدر صدق الانسان مع نفسه بقدر ما يكون احساسه بالهزيمة كبيراً .
- وحين ينتصر على الهزيمة فى نفسه يصبح كالطفل فى طهارته وبراقته وتلقائيته ، حقبقة جسدها لى وليم اسحق الفنان ، حين ظل لمدة شهر كامل ، رسم خلاله أكثر من عشر لوحيات وبمزقها . وفى كل مرة كان يعانى آلاما تفوق طاقة البشر ، حتى أننا دون أن نشعر - فهو يرفض بشراسة أى مجاملة أو عطف - كلفنا الزملاء الذين يتجاوب معهم انسانيا ، بالأبتسامة وحده أبداً وكنت أنا الازمه طول الوقت غيماً عدا الاوقات التى أكون مشغولاً فيها . وكثيراً ما كان بعض الزملاء يقومون بعمل « النوبتجية » بدلا منى حتى لا أترك وليم .
- وذات يوم لازمته منذ الصباح وهو يكمل لوحة كان قد بدأها .
- وكنت وأنا أتأمله أحس من تعبيرات وجهه بأنه سوف ينتصر على الهزيمة التى ظل يعانى منها طوال شهر كامل . فى الحقائق الأخيرة كان يضع اللمسات الأخيرة على اللوحة ، وابتسامة هادئة تكسو وجهه ، ووضع الفرشاة جانبا وقال :
- نعمل بقى فنجان قهوة .
- بطريقة الفلاحين والا المثقفين ؟
- يضحك من اعماقه ويقول :
- لا . . . بطريقة الفلاحين طبعاً .
- وجلس يتأمل اللوحة ، وقد استغرقه عالمه الخاص . وجلست الى جانبه أتأمل اللوحة ، لكن شيئاً آخر لم يستغرقنى سوى فرحى وسعادتى بانسان احبه انتصر على الهزيمة بعد ان عانى منها طويلاً . بعد أن رشف بلذة كبيرة رشفة قهوة مصنوعة من بن « قسطة اليمن » سألنى :
- أليه رأيك بقى يا درش ؟
- قلت مازحاً :
- هى اللوحة والا فى القهوة ؟
- ويبادلنى المزاح :

- فى المهوة طبعاً •
- لا •• دى فهوة منغمين •
- طيب وفى اللوحة ؟
- فيها ما نرمد أن تقوله •
- لكن رأيك انت أيه ؟
- ما تقوله رائع وعظم •
- بلساى أم بفرساى •
- وهل يمكن الفصل ؟
- كسيرون يفعلون ذلك •
- ليسوا فنانيين • عم آفاقون •
- لكنهم فى الصورة •
- مزيفون داخل اطار صورة مشوهم •
- ويستمر حوارنا منصلا ، نتحدث ، ونسرب قهوة بطريقة الفلاحين ،
ونسمع موسيقى ديهومن وباخ وشوبان ، ونأمل الصورة ، ونمشى وسط
الصحراء خارج الخيمة بم نعود إليها ، ونعاود التأمل فى الصورة ،
وتمتزج أسعه الفجر ، مع صوت الموسيقى مع حوارنا الانساى ، مع
نظراتنا الحانية الى اللوحة ، ونعيش لحظات فى عالم خاص ، ونفمنى
أن يكون هذا هو عالم الناس كلها •
- فجر يوم جديد •
- هو آت لاريب فيه •
- أحلم أن يكون كما أراه فى هذه اللحظة •
- وأفبق من حلمى على صوت ينادى على :
- با زمن منتظردك فى «الفرن»
- كنت أذهب الى «الفرن» ثلاث مرات فى الاسبوع مع طلوع الفجر ، كى أقوم
بعملى هناك ، وكان تخصصى «فرد عجينة الخبز بالنشابة» • وعن نظام
العمل فى الفرن ، والمطبخ ، والمنشآت الأخرى ، سأحكى لك عنها فى
رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٢٤ يوليو، ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٦)

حبیبتی

قبل أن أدخل السجن قرأت وكتبت كثيرا عن الكادحين وعزمهم وآلامهم ،
غير انى لم أحس بهم تماما الا عندما أصبحت **كادحا** ما يضرب من
ثلاث سنوات فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجية** .
منذ اللحظة الأولى التى وصلنا فيها الصحراء ، لم يكن أماننا كى
نعيش سوى أن نتحول الى كادحين حفيقين ، نأكل من عرقنا وكدحنا .
كنا ثلاثين كادحا فقط حين وصلنا الى **أرض الصحراء** الجرداء من كل
مقومات الحياة الضرورية . وفرضت هذه الظروف القاسية أن يقوم كل
واحد منا بعمل يومية عام فى المعسكر ، وعمل آخر خاص فى خيمة
السكن . فى نفس الوقت خلق تخصص فى الأعمال العامة ، خبازين ،
وطباخين ، وممرضين ، ونجارين ، وحدادين ، وفلاحين ، وأخبرت أن أكون
خبازا وكان تخصصى «فرد» رغيف العيش وهو عجينة « بالنشابة » .
والعمل فى الفرن يبدأ مع غروب شمس كل يوم حتى **ظهر** اليوم
التالى . المتخصصون فى العجن واللت يذهبون مع غروب الشمس يمزجون
لدقيق بالماء والخميرة والملح ، ثم يعجنون ويلتونه حتى يصبح للعجينة
« عسرق » ، فيغطونها باجولة من الخيش ، وينتظر فى هؤلاء الكادحين
أن تكون صحتهم جيدة ، وعضلاتهم قوية ، وأجسامهم طويلة . وقبل
الفجر بقليل يذهب الى الفرن منخصص آخر . يمسك بطرف أصابعه
قطعة من العجين ليرى قوة « العسرق » فيها ، ثم يذوقها بلسانه
ليتأكد من « **حذقها** » . اذا وجد كل شئ على ما يرام نادى على فريق
العمل ويقسم الى اثنين يفف كل منهما على « عين » الفرن ، واثنين
يضعان الخشب والخطب تحت « **صاجة** » الفرن ويراقبان اشتعال النار ،
كلما خمد لهيبها يعطونها المزيد من الخطب ، واثنين يققان على
« **ماجور** » العجين ويتتربط فبهما أن تكون عضلاتهما قوية ، حيث
مهمتهما أن يخرجوا من « **الماجور** » كمية من العجين لا يغل وزنها عن
١٥ كيلو ، ويضعاهما على « الطاولة » حيث يتلقاهما اثنان آخران أحدهما
يقطع بيده هذه الكومة الكبيرة الى قطع صغيرة ، يزنهما الثانى ، ثم يدفع
بها الى أربعة من حاملى « **النشابة** » الذين عليهم أن « **يفردوا** » القطع
الصغيرة « **المكورة** » من العجين الى ما يشبه العيش « **الاسكندراني** » الرقيق
والنفوخ . وطبعا هناك فرق بين النوعين وهو أحد الفروق التى لا حصر

لها بين المدبنة والريف . وبعد فرد قطع العجين لتأخذ شكل الرغبة
بحملها بمهارة من يضعها على « الكريك » ليدمعا آخر الى عين الفرن .
وبعد خبز العجين والتأكد من أنه « استوى » يستقبل العيش المخبوز
وهو سخن « ملهلب » ثلاثة آخرون في يد كل منهم سفنحه مبلولة بالماء
بمسح بها بسرعة « وجه » الرغبة حتى « يلمع » . ويقوم آخرون برص
الخبز على ألواح من الحديد ، ثم يقوم الموزعون بتوزيع الخبز على
« الخيام » . كل خبزه حسب عدد افرادها ، ولكل فرد ثلاثة أرغفة
في اليوم ، مع وجود استثناءات للبعض الذين لا تكفيهم ثلاثة أرغفة
فقط ، مثل محمود زينهم من الأخوان المسلمين وهو بطل مصارعة حرة .

في أيام الشتاء خاصة ، كنت أخرج في الفجر من تحت أربع
بطاطين الى سرد الصحراء القارص ، وأسبر في الخلاء حوالي ٢ كيلو متر
حتى أصل الى الفرن . وقبل خروجي البس ملابس داخلية « كستور »
ثم بدلة السجن « العبك » وبلوفر « صوف » وفوق كل هذا التفح ببطانيتين .
وفي كل مرة كنت أحسب أني قمت بعمل التحصينات اللازمة ضد البرد ،
كان « سرسوبا » أو « سرسوبين » أو عدد من « السراسيب » تخترق
جلدي ، ولحمي لتستقر في عظامي باردة كالثلج ! . وكنت أجرى بسرعة
الى حيث الدفء في الفرن ، وعند عودتي من العمل في عز الظهر والشمس
عمودية على رأسي مباشرة كنت أضع بطانية عليها حتى لا أصاب بضربة
شمس ، وأحمل البطانية الأخرى والبلوفر الصوف . وبدخلها ٣ أرغفة
عيش « سخنين » و « نقاوة » ، وكانت هذه الأرغفة الثلاثة علاوة استثنائية
لكل العاملين في الفرن الذين يبدأ عملهم في الفجر فقط .

وفي أيام الصيف يبدأ الجو الرطب بعد منتصف الليل حتى بعد
الفجر بقليل ، ومع أشعة الشمس الأولى يبدأ الجو في السخونة التي
تمتصها ألواح الصاج فوق رؤسنا في الفرن ، ترسلها الى اجسامنا
بلا رحمة ، وكلما زادت حرارة الشمس ، كلما ازدادت كميات العرق
التي تخرج من اجسامنا . ولا يأتي الظهر الا وتكون اجسامنا عارية
تماما ، الا من « الشورت » طبعاً !

ودون مبالغة ، كان « خبزنا » أفضل من « خبز » القاهرة ، ولا يقل
حودة عن « خبز » الاسكندرية ، وهذه شهادة « امور السجن وضباطه » الذين
كفوا عن أكل « خبز » جناح وكانوا يأكلون من « خبزنا » ! وشهد الاهالي
الذين حضروا البنا في زيارات ما شهدنا به ادارة السجن . وكنا نعطي
لكل زائر ٣ أرغفة بأخذها معه عند عودته ، بالإضافة الى ما كان يأكله
خلال الزبارة التي كانت تستمر يومين متتاليين .

ودون مبالغة - مرة نادرة - تمكنا من صنع كحك العيد وبسكوبيت
وغريبة بمناسبة الاعياد . كما صنعنا « جاتوه » و « تورتته » في

المناسبات المختلفة خاصة في أعياد ميلاد الزملاء . لكن ذلك لم يحدث
 الا بعد فترة أدخلنا خلالها التحسينات الضرورية . فقد بدأنا
 « بتكنولوجيا محلية » . ثم استوردنا تكنولوجيا مناسبة للبيئة . ملا
 بدأنا « تحميه » الفرن بنيران الحطب ، وأصبحتنا إلى أسس
 « السولار » . كذلك المطبخ بعد أن كنا نطبخ على « الكائون » . وصي
 صفائح ، أصبحنا نطبخ في « حل » كبيرة وعلى « بواير » كسره بسنعم
 بالسولار ، كذلك التي نراها في المطاعم الشعبية وعند « بتوغ الطعمية » .
 وكثيرا ما كان يدور نقاش طريف بين المنسكبين بالقديم وبرون ان الأساليب
 البدائية نعطي « نكهة » خاصة ، « للطبخ » وللحيز . وبسر المنسكبين
 بالجديد وأساليبه الحديثة التي توفر الجهد والوقت . وكان أنصار
 القديم يضعون الجهد الأكثر نظير الطعم الأذ والأفضل . وبرز عنهم
 دعاء الجديد بأن الجهد الأقل نظير الوقت الأطول للثقافة والتزود
 بالمعرفة ، وحلال المناقشة يطرح أحد الخبثاء سؤالا : أيهما أكثر متعة .
 الطعام اللذيذ ، أو قراءة كتاب ، أو سماع قطعه موسيقية ، وأنطريف
 ان بعض الزملاء وقعوا في « حيلة » السؤال الخبيث مراحوا يتبازرون

— أنا شخصيا أفضل قراءة كتاب عن أكلة دسمة .

— أmaal عامل زى عجائز الفرخ ليه مش عاجبك الأكل ؟

— أنا لم أنقد الأكل الا في الأيام الأخيرة .

— يعني بعد استيراد « التكنولوجيا » .

ويضحك الجميع ويصفقون مهللين .

— تبقى من أنصار القديم .

ويدرك « المطب » الذي استدرج اليه ويشاركهم نضحك والتصفيق .
 والحقيقة أن ادخال التحسينات باستمرار على المنشآت العامة في السجن
 وفر لنا كثيرا من الجهد والوقت . وساعد ذلك على زيادة نشاطنا الثقافي
 والفكري والفني .

فقد استطعنا تنظيم وقتنا بصورة دقيقة ساعدت الجميع على
 التحصيل الفكري والثقافي بشكل كبير . فقد كتب المرحوم « خليل غاسم »
 روايته الشهيرة « الشهود » وكتب صلاح حامط مسرحية « الخير » وكتب
 مجدى فهمى كتابا عن « التفسير المادى للتاريخ » . وترجم حلم طوسون ،
 مبادئ الفلسفة « وشريف حتاتة » مبادئ الاقتصاد السياسي ومعظم أشعار
 فؤاد حداد وزكى مراد وكمال عمار كتبت خلال فترة سجن جناح ، وتعلم
 عدد من الزملاء لغات جديدة ، انجليزية ، وفرنسية ، وروسية . هذا
 الى جانب النشاط المسرحي فقد قدمت مسرحيات من تأليف صلاح حافظ
 ورؤوف نظمي وعبد المنعم سعودى .

هكذا بدأنا من الصفر بدائيات نحو الصحراء إلى امكانيات تقرب .

(م ١٥ - الرسائل)

من مثيلاتها فى المدينة • وأقمنا على أرض الصحراء القاحله نوادى سياسيه وبمقابله ومرسم ومسرح • ونحولنا نحن من كادحين فى بلاد شديدة النخلف يعملون أكثر من ١٨ ساعة فى اليوم ، الى كادحين فى بلاد متقدمة يعملون ٧ ساعات فى اليوم ! لقد نمكنا من تحويل هذه البقعه من **الصحراء الجرداء الى أرض تنبض بالحياة** ، ومجتمع صغير نسوده المساواة التامه . لكل فرد فيه حقوق وعليه واجبات ، الجميع يعمل عملا يدوبا لا يروى بين رمدل وآخر • وكل ما يصل الزملاء من نمود وطرود **لصالح الجميع** فيما عدا استثناءات قليله كحواضر مادية • وشهد كل من زار هذا المجتمع من الاخوان المؤيدين والمسجونين العادين والضباط والجنود بمنالينه من حيث العلاقات الاجتماعية السائدة ، والمساواة المطلقة فى الحقوق والواجبات ، وتوفير أفضل الظروف للتزود بالمعرفة والثقافة • ومثلما كنت أحس بالكادحين قبل دخولى السجن بشكل نظرى ، كذلك كان تصورى للمجتمع الاستراكى وسعاره « من لايعمل لاياكل » مجرد تصور نظرى • وحين طبفنا هذا السعار فى تلك **الأرض الجرداء** أصبح هذا التصور حقيقة • لمد دلت تجربتنا خلال السنوات الثلاث التى قضيناها فى **سجن « جناح »** ، على أن تخطيط أقل الامكانيات القائم على وحدة الفكر والعمل هو الطريق الوحيد لبناء مجتمع المساواة فى الحقوق والواجبات للجميع • واذا كان الانسان هو أداة خطة البناء وهدفها لبناء مجتمع متقدم ، فقد نحنا أيضا فى تحويل هذه المقولة الى حقيقة • ففى ظل أصعب الظروف لم نتوقف لحظة واحدة عن تنقيف أنفسنا • وكما قال لنا يوما أحد الضباط الاصدقاء ان تسود هذه الروح بين عاملين أحرار وفى مجتمع حر ، أمر يستحق التقدير اما أن ينجح **مسجونون** فى ظروف بالغة الصعوبة ، ولا يعرفون متى يخرجون للحربة فهو **أسطورة** ••

ذات يوم من أيام سجن جناح ، دار حوار طريف بين عدد من الزملاء، بدأ بنكته من أحد الزملاء العمال :

- أنا شخصيا مبسوط جدا هنا •
- وتلقى النكتة زميل عامل آخر
- نعمة يحفظها من الزوال •
- باستنكار يقول زميل متقف :
- مبسوط أيه •• ونعمة أيه •• يا زملاء •• الحرية هى كل شىء •
- ليس بالحرية وحدها يحيا الانسان •
- ويرد المثقف :
- دى نظرة ضيقة الأفق •
- ليه بقى ؟
- أن تفضل الأكل على الحرية •

وبضحك زميل ثالث من العمال :

- وقع في « المطب » .. وهل هناك تنافض بين الأكل والحرب ؟

- أصل له مفهومه الخاص عن الحرب .

ويغضب الزميل المثقف ..

- أفهم من كده أنكوا تفضلوا السجن « هنا » عن حرية .

ويقول الزميل الأول الذي بدأ الحوار بينكم

- ببساطة .. نتمنى الخروج من السجن .. ونرجو أن نتوفر لنا في بيوتنا ما نأكله هنا ..

وتبدو « الدهشة » على وجه الزميل المثقف :

- للدرجة دى ؟

- وأكثر يا زميل !

- ازاي ؟

ويصيح الزملاء العمال :

- لا بفي .. ده مس معقول .

ويدرك الزميل المثقف - متأخرا - أنه نسي ما عرّاه وسمعه من حياة العمال والكادحين .

هذا الحوار يا حبيبتي لم يحدث ناطع . وإنما هو صورة فنية أردت بها أن أجسد لك حقيقتة عاربه . انقصه من فكر والممارسة . كثيرون من أبناء الطبقات المتدربة انهم « متفكر » التقدمي لم يستطيعوا حل التناقض بين ما يحملونه من فكر . وبين ممارستهم للحياة ، لسبب محدد هو أنهم ذاكور . وسبب شاسي مجال الحدث عن الاضرار التي أصابت الحركة الثورية حز نولى بعضهم مراكز قيادية ، وإنما أريد أن أصور لك سلوكهم في سجن « جناح » في نظام حياتنا وكيف استنطعنا من حائل اتساده بينهم . أن نصلي الى المجتمع النموذجي الذي كتبت لك عنه في هذه الرسالة . لقد كانوا خارج السجن « يشتركون في المعركة مع الحكم الوطني » أثناء العدوان الثلاثي وبعده بشهور . وألقى الفص عليهم . وصدرت أحكام ضد بعضهم ، وافرغ عن البعض الآخر لبراه . ثم أرسلوا لهم رسالة في الواحلات في أوائل عام ١٩٥٧ . وكان أول من شارك في تنظيم نظام « الحياة العامة » لدينا والذي يقوم على « سرور » .. « مصالح الجميع » مع استثناءات قليلة جدا . لقد كانوا انهمروا قسرا على العظيمة التي استنطعنا أن نغرسها في نفوس زملاء السجناء القدامى - منذ عام ١٩٥٢ - لكننا عالجنا الأمر بمرونة وحكمة واستنطعنا أن نحمل مجتمعنا النموذجي وسوف تكون رسالتى المقبلة عن هذا الموضوع يا حبيبتي .

٢٥ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٧)

حبيبتي

مع كل دفينه تمر منذ التقيت بك يزداد يقبني بلحظة الصدق التي أعيشها ، ويزداد اصراري على التمسك بها حتى آخر دقيقة من عمري . ربما لا يجد واحد من زملاء المسيرة ما يغضبه في رسائي السابقة ، لكنني أرجح أن هناك من سيجد في رسائي المقبلة ، ما سوف بغضبه . وربما يلقى في وجهي بعدد من الاتهامات ، لكنها لن تصل بأى حال الى تلك التي الصقوها بعدد من الثوريين . ومتى ؟ في ديسمبر عام ١٩٥٦ . وكان المدانون وبعض الذين أدانوهم صدرت ضدهم أحكام بالسجن والأشغال الشاقة . على أن هذا ومثله ليس مجال حديثي في هذه الرسائل ، وسبكون لها مكان آخر . وحديثي هنا ينصب في الأساس على نموذج من السلوكيات الشخصية داخل السجن حيث يكون الانسان عاريا تماما لا يستطيع ستر عورة من عوراته ، تحت أى فناع أو سنار . لقد دلت تجربتي الخاصة على أن السلوك الشخصي هو محك صدق الثوري . فالثوريون يا ابنة الستينات من طينة خاصة . وبقدر ما يكون التكوين الانساني للتأثر سويا ، بقدر ما ينبت الفكر ، وينمو ويزدهر ، تم يجنى ثمارا يانعاً له وللآخرين . وفي قاع النفس اللا انسانية تضيق كل جرعات الفكر التقدمي الانساني ، اذا وصلته ، أو تقف عند مخه التي لا يرسلها الا الى لسانه فقط ، ليلوكها في حديث مبهـر ، أو مقال رشيق يحتوى على « بهارات » ثورية جدا ! . واليك تجربتنا معهم في نظام الحياة العامة :

منذ بدأ تواجدنا في السجون بالعشرات منذ الخمسينيات ونحن نطبق نظاما للحياة العامة يقوم على أساس مصادرة كل الامكانيات التي ترد اليها واعادة توزيعها على الجميع يتساوى في ذلك من تصله امكانيات مهما بلغت قيمتها ، ومن لا يصله شيء على الاطلاق . طبقنا هذا النظام في سجن مصر وفي ابى زعبل وفي ليمان طره وفي سجن « جناح » بالواحات . وخلال تلك السنوات - ٥٢ الى ٥٧ - لم يثر أصحاب الامكانيات - على قلتهم - أقل معارضة لهذا النظام وبلغت حماسهم له انهم كانوا يعملون باستمرار على مضاعفة

امكانياتهم كلما اشرفنا على الافلاس الذى يهددنا بان نعيش على ما يقدمه لنا السجن فقط وهو دون الكفاف .

وكانت المفاجأة فى أوائل عام ١٩٥٧ حين وصل انينا من سجن القناطر الخيرية عدد من أصحاب الامكانيات ومعهم عدد من المعدمين ويحملون معهم نظاما للحياة العامة يقوم على أساس مصادرة ٥٠ ٪ فقط من الامكانيات لصالح الجميع ، والـ ٥٠ ٪ الباقية لصالح أصحاب الامكانيات .

ويدور نقاش بين الزملاء القادمين من سجن القناطر الحرة وبين مسئول الحياة العامة فى سجن « جناح » بالوحدات الخارجية ويتوقف حتى اتخاذ قرار .

وجائنى مسئول الحياة العامة ، فقد كنت فى ذلك الوقت املك اتخاذ القرار ، قال :

- اليك استقالتي .

- وهل املك قبولها ؟

- ولماذا لا تملك ؟

- انت منتخب ولست معيناً .

- أذمهها للجمعية العمومية .

- ربما أمكن علاج الموقف .

- لا أظن .

- كيف ؟ انهم زملاء . . .

- أسك فى ذلك .

- كلامك خطير .

- وأتحمل مسئوليته .

- الى هذا الحد ؟

- وأكثر

- انتظر . . سنرى كيف نعالج الموقف .

وأبدأ نقاشاً مع الزملاء :

- المسألة فى غاية الحساسية وأرجو ان توافقوا على نظامنا . .

- وهل تصدر الامكانيات خارج السجن لصالح كل الزملاء ؟

- أفضل ان ترتفع بمستوى المناقشة .

- لكنك لم تجب على السؤال ؟

- ما زلت أحترم ذكاءكم . . أنتم تفهمون ما أعنيه .

- اليس لكل انسان احتياجاته الخاصة ؟

- بالتأكيد . . ولكن زيونى ايضا .

- المريض الذى يحتاج الى طعام معين .

- يوفره له نظامنا سواء كان من ذوى الامكانيات أو من عديمها .
- المدخن الذى يشرب ٤٠ سيجاره فى اليوم مثلا .
- ربما يجد ظروف لا يجد فيها سيجارة واحده .
- وفنئذ نكون المسألة مفروضة .
- أليس من الأفضل أن يكون الأمر بارادنكم ؟

كان **وجدى فهمى وسعد باسيلي** بساركاني مى هذا الحوار ، بداولنا مى الأمر مره أخرى وانفقنا على نفل حوارنا معهم الى كل الزملاء ، وهو ينضمين ادانه لموقفهم ، فى ذات الوقت يتضمن اصرارا على نظامنا للحياه العامه والذى ارضيناه ما يقرب من **خمس سنوات** . فى ذات الوقت بفتح نظامنا آخر مرنا جوهره المصادرة ولكن مع استثناء بعض الأشياء والتنازل عن ١٥٪ من قيمة ما يرد اذا زادت القيمة عن ٥ جنيهات ولم يرغب . وكان من المستحيل أن نتجاهل انانية من يملكون الامكانيات والذى يمكن أن تدفعهم بعد تغليفها « بموقف مبدئى » الى تحليل ما يقدمونه أو حتى الى الامتناع عن تقديم شىء بالمره . وعند مناقشة هذا النظام الجديد معهم وافقوا بشرط ان تزيد نسبه الاستثناء الى ٢٠٪ اذا زادت قيمة ما يرد من امكانيات عن ١٠ جنيهات ولم نعترض . فالذين نقل ميمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات ان يطالبوا بنسبه لانهم مع المصادرة الكامله ، واولئك الذين تزيد قيمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات فهم الذين يصرون على حقهم فى جزء لهم .

ومع أننا بذلنا جهودا مكثفه لانقاذ زملائنا القدامى للموافقة على هذا النظام الجديد ، ولكى تكون نظرتهم الى ذوى الامكانيات واقعيه . فان العلاقات الانسانيه بينهم لم ترتق أبدا الى مثل ما هى عليه بين الزملاء القدامى .

ربما طال حدبني مايلنا عن الموقف من نظام الحباء العامه داخل السجن ، وانما أردت بذلك أن أطرح جانبا من جوانب السلوكيات السخيه للمناضيل خاصه داخل السجن حيث الهدف الأساسى هو خلق أرقى علاقات انسانيه بين الجميع ، كضرورة للمقاومه الجماعيه لكل الظروف الصعبه التى يواجهونها فى السجن .

لقد حسبنا عندما حضر إلينا الزملاء من سجن القناطر الخيرية فى أوائل عام ١٩٥٧ اننا سنسمع الكثير عن تجربه تعاونهم مع الحكومه الوطنيه ، وسنسمع أكثر عن دورهم فى **المقاومه الشعبيه** فى بورسعيد ، وأحييرا ، وليس آخره ، عن سبب تفاؤلهم الشديد فى **قضية الافراج** عنا بعد تأميم قناة السويس ، ثم بعد العدوان الثلاثى ، ولكن بدلا من كل هذا وجدناهم يستهلكون وقتنا فى **قضية** تتعلق بذواتهم فى المقام الأول !

ذات مساء من ربيع عام ١٩٥٧ ، وكنت مسافداً عنى سرى الحسى فى
الخيمة ، وجدت نفسى أمام شريط طويل من دكریات الماصى البعيد .
الأربعينات ، وثمانية عشر شهرا وسبعة عشر يوما من الخمسينيات ، ما عى
حصيلنها اليوم ؟ فحاة طفرب الدموع من عنى تربره . حرح من لخمه
مسرعاً الى مكان بعيد وسط الصحراء ، ممر ١٤ برسل نوره عى مكان
وبكاد يحيل طلام ليله الى نهار لكن عنائ لا سراه ، ولا حس
الا بظلام مسنبل حالك السواد . هواء ربيع الصحراء نفسى ومغش ،
لكنى اكساد أخفق ! وآلام حادة فى كل جسمى . نمد الى عظامى وكاد
نحطمها ، دوار يلفنى وصدا ع يكاد يحطم رأسى . وأروح فى أعماه .
أصحو منها على صوت ودود ، وأرى **الدكتور رؤوف نظمى** وعن وجهه بتسامنه
الانسانية :

- نومة لذيذة فى الهواء المنعش ده .
- نومة واغماء ؟
- واذت برصه من المصنف الذى يغمى عليه ؟
- أبه بقى ؟ انسان ميكانيكى ؟
- قدرتك على التحكم فى انفعالاتك كبيرة .
- وكل قدرة لها حدود ..
- أنق فى انها لن تصل الى تلك الحدود .
- أرجو ..
- يقول وابتسامته لا تفارقه :
- تسمع حقة الزجل دى ؟
- أنت عارف يا رؤوف .. أنا أحب اسمك وأنفعل بكلماتك .. لكن .
- حالتى لا تسمح .
- طيب ما نيخى نروح عند الملك ؟
- لا ، أفضل أن أجلس هنا قليلا ..
- لوحدهك .. لا ..
- أرجوك ..
- لا تنس أننى مشروع طبيب .
- وبنفسى ضائق . ويذهب دعنى بعيداً الى أواخر الأربعينات .
- كان **رؤوف نظمى** واحداً من المناضلين المضادين على كسب ثقة
الجمهور ، بين طلبة كلية الطب حيث كان طالبا ، وبين عمال وأهالى
حتى بولاق حيث ولد هناك . احترق العمل الثورى وعوفى السنة
التهائية ، ثم قبض عليه وقام خلال محاكمته بعمل دفاع سياسى
يعترف فيه بعضوية التنظيم الذى فصله ويدافع عن سياسته على
الرغم من بعض تحفظاته عليها .

هل كان من باب الصدفة أن يدان رؤوف نظمي وعدد آخر من
الزملاء وكلهم من المعروفين بشعبيتهم كأحمد الزقم وعبد الخالق الشهاوى .
وغيرهم من الذين أدوا دورا هاما في الحركة الثورية مثل داود عزيز ووليم
طانيوس ؟ . وأن تصدر هذه الادانات والمعركة الوطنية في عنفوانها ؟
ما أخطر الذاتية حين تتمكن في نفوس الذين يملكون اتخاذ القرار !
وأرى رؤوف نظمي فادما نحوى ومعه مجدى فهمى ، وملك الصحراء ،
ودور حوار انساني أحكيه لك في رسالتي المقبلة يا حبيبتي .

٢٨ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٨)

حبيبتي

لماذا خرجت في تلك الليلة التي حدثتك عنها في رسالتي السابقة من خيمتي الى وسط الصحراء ؟ هل كانت الرغبة في وقفة مع النفس ؟ كلا . فالتقييم الذاتي هو جوهر الوقفة مع النفس . هل كانت محاولة لتقييم موضوعي للمسيرة منذ انتزعوني من موكبها ؟ كلا . لست أدري على وجه الدقة ما الذي كان يسيطر على كياني ويكاد يهدده هكذا . ربما كان بيثا أقرب الى احساس أم ذبحوا وليدعا أمام عنبيها . لقد سُدني هذا الاحساس المؤلم والبالغ القسوة وأنا أرى طريق المستقبل المنظور **حالك الظلام** . بعد أن كان في بداية الخمسينات يبشر بمستقبل مشرق . ولكن لماذا تملكني هذا الاحساس بعد مجيء زملائنا من سجن القناطر الخيرية منذ سهور وفي تلك الليلة على وجه التحديد ؟ حقا كان لهذا الاحساس ارمصاصات ، لكنها لم تجعلني يوما قبل ذلك اليوم المسهود أتشاعم في المستقبل المنظور وبمثل هذه النظرة سبه النائسه . منذ القى القبض على كانت لنا ملاحظات سياسية وفكرية وتنظيمية على عمل زملائنا في الخارج ، بعثنا بها اليهم ، ولم نلق منهم يوما ادنى اهتمام . كانوا من عليائهم يرسلون الينا بكم هائل من التقديرات والنجبات ، لمواقفنا البطولية في السجن ! ولصمودنا في وجه الارهاب ونجاحنا في المحافظة على وحدة الزملاء داخل السجن ! لكن درن اشارة واحدة الى ما نرسله لهم من نقد حول مواقفهم السياسية والفكرية والتنظيمية . وكنا نقابل كل هذا الكم من التقديرات والتحيات بفتور بلغ حد السخرية في بعض الأحيان ثم وصل الى حد الاستنكار حين وصلني قرارهم الذي ينص على التقدير الخاص بي ، ضمن قائمة قرارات الادانة لحدد من أخلص الزملاء ، وسجلنا استنكارنا هذا في شكل رفض لهذا « التقدير » ، وادانة الهدف منه ، في ذات الوقت اتخفنا قرارا كنا نملك حق اصداره برفع الاتهام عن الزملاء المدانين . ومع ذلك فقد ظلوا في « عليائهم » ولم تصل الينا كلمة واحدة منهم . حتى حين أوقفنا قرارا منهم « بالتحقيق » مع زملائنا « القدامى » والمسجونين منذ أكثر من خمس سنوات سكتوا ولم ينطقوا بحرف واحد . وكانت

أنفسه أنى مضى طهر التعبير هو موقفهم من نظام الحياة العامة .
نجد صانع كل شيء ولم تبق سوى قيمة الروح الجماعية التى
يجذب فى كندعها عدد زملائنا القدامى ، مهمل يربدون تدميرها
بعد أن دمروا كل شيء فى الخارج ؟ .

ويسندنى عن ماملانى صوت « ملك الصحراء » .

– ولا نيمك يا درس .

– ولا نيمى عن أسه يا ملك ؟

وبعنى رؤوف نظمى :

– طول ما فىنا نفس مش راح نسكت أبدا .

– وأنه الى تعدر نعمله أنفاسنا الباقية .. فى السجن ؟

ويسود الصمت لحظة .. يقطعه قول مجدى فهمى :

– وقف التدهور على الأقل .

– أرحو أن لا نكون مد وصلنا الى نقطة اللا عودة !

ويبسم مجدى فهمى ويمول :

– لا دى الحكاية عاوزة منجان فهو من بن « قشطة اليمين » .. أيه

رأيك يا ملك ؟

ويصيح الملك .

– أجرى يا رؤوف جهاز لنا عدة الشغل ..

وبلقت الى رؤوف نظمى ..

– عاور قهوة « منفقين » ولا قهوة « فلاحين » يا درس ؟

– ما كفايانا منققين يا رؤوف ..

وفى خيمة الملك أجد عددا من الزملاء الذين تربطنى بهم علاقة أبوية ،
مجموعة من السباب لا يزيد عمر أكبرهم عن ٢٣ عاما . نبيل حلمى
الطالب بالسنة النهائية بكلية الآداب . جسمه النحيل يحمل امراض
الكبد ، والكلى والاستباه فى الصفراء . مجدى نجيب ابتسامته الانسانية
وتلقائيته النسي تبتر بمولد فنان كبير على يد الملك . ماجد حافظ
الطالب بالثقافة العامة « العمدة » الذى يسهر على راحتنا . مصطفى
حامد عامل الخراطة الذى تعلم القراءة واكتابة فى أقل من ثلاثة
أسهر . وكتب بتشجيع منى تحليلا سياسيا نشرناه فى التشرة الداخلية
ومحمد خليفه طالب النانوية العامة الذى حكم عليه بالأسغال الشاقة
عشر سنوات معى . وفايز مراد طالب النانوية العامة بتكوينه الانسانى
السوى المعطاء ، وابنسامنه الذكية أحبانا ، والخبيثة أحبانا أخرى ، وسعيد
عبد الوهاب الفنان الموهوب .

ما ان دخلت خيمة « الملك » حتى احتوت كيانى المهدود كلمات
الزملاء « أبنائى » .

ماجد حافظ « عمدة خيمتنا » يقول :

- انمىد نفسك با زمبيل .
- ليه با عمده ؟
- جرادل الميه فاضيه . .
- معاك حق . . نسبت .
- يعنى آيه نسيت . . اقترح عقوبه على نفسك .
- امنرح انت با عمده .
- العمده لا يفترح . . وانما يقرر .
- فرر وسأنفذ فوراً .
- خذ ٣ سجابر هوليوود « لارج » . .
- وأضحك قائلاً . .
- على كده راح أنسى كل مرة . .
- ويقول متوعدا :
- لا . . المرة الجايه بقى . . حاتشوف .
- ويقول مجدى نجيب . .
- انى اتهم . .
- آيه يا مشروع فنان .
- تعطيل المشروع .
- ازاي ؟
- انت نسيت يا أستاذ ان موعدا اليوم لرسم « بورتره » لك . .
- معاك حى يا مجدى . . متأسف . .
- أقترح عقوبه لنفسك . .
- ترسمنى مرتين . .
- ويضحك الجميع من قلوبهم . .
- ويقول مصطفى حامد :
- كله كوم . . وحسابى معاك كوم لوحده .
- كان موعدى معك . . لمراحة مقالى للنشرة .
- وده معناه آيه عند الثوربين . .
- تخريب الثورة طبعاً . .
- اقترح عقوبه لنفسك . .
- والتفت الى الملك ضاحكاً . .
- اقترح انت با ولسم . .
- ويقول ولسم ضاحكاً :
- الشفق طبعاً . .
- ويضج الزملاء بالضحك . والتفت الى رؤوف نظمى قائلاً :
- أحدث طريقة للعلاج يا رؤوف .

وبقول بود وحب :

— أولادك وأحبابك . . عاوزينك !

وأحس بكيانى المهدود وقد تبددت كل آلامه ، وصوت من داخلنى
بصرخ بأعلى صوت الحقيقة مؤلمة ، نعم ، لكن مسئوليتك تضاعفت
عشرات المرات !

ويناولنى الملك فنجان القهوة . .

— فنجان عهوه « قشطة اليمن » يعدل المخ . .

وأقول ضاحكا .

— ما دام قهوة « فلاحين » يبقى راح يعدل المخ . .

— همه دول يا درش ممبش غبرهم .

ويحتج مصطفى حامد :

— والعمال راحوا فين ؟

— يا سدى العمال . . قيادة .

— للسلطة والا من خارجها ؟

— ما خلاص اتعدلت . .

يضج الجميع بالضحك وهم يتناولون قهوة « قشطة اليمن »
التي تبرع بها الملك على شرف « درش » وبهمس مجدى فهمى فى أذنى :

— أول مرة تخرق اتفاقنا . .

— كنت فى حالة سئة جدا .

— هذا أدعى . .

— معك حق . .

— اذن لنا قعدة .

الهدوء يعود الى نفسى المضطربة وأنام الساعات الباقية من ليلة
ذلك اليوم . وفى مساء اليوم التالى التقى مع مجدى فهمى فى احدى
« قعداتنا » الناربخبة :

أسأله :

— هل كان موقفنا بئسا . .

— بل كان خطوة نحوه .

— ولكنى انسان .

— حقيقة وموقفك دليل جديد يؤكد هذا .

— وأن تكرر ؟

— تصبح مهزلة .

— وتكتمل المأساة .

— لا يزال فى نفسك ما يسمح بتكرار الموقف .

— وكيف يزول نهائيا ؟

— ان تكون أنت .

- كان فى الخارج بريق من أمل .
- ليكن الأمل هنا .
- نبدأ من 'أصفر مرة أخرى .
- وهل نملك، غير ذلك ؟
- كنا ننحدث ونحن نسبر فى الصحراء ، وعيون 'ثزملا، من بعد ترفيت ،
- ما كادت نراننا متعانقين ، بعكس نور القمر ظننا ، حسنا واحدا ،
- يخرج علينا سعيد عبد الوهاب ، لا ندرى من أين وعو بصح . .
- اثبتوا . . خليكوزى ما انتو . .
- آيه يا فنان الجيل الصاعد ؟
- حنة دين منظر . . مدهش .
- راح ترسمه يا سعيد ؟
- أتأمله ! الفن تأمل يا أستاذ .
- دا الحب يا سعيد .
- وهو الحب مش فن يا أستاذ ؟
- الحب بجميع أنواعه هو علاقة إنسانية جوهرها الصدق .
- الصدق مع الذات ، والصدق مع من نحب ، حبيبا كان ، أم زميلا ، أو
- واحدا من نوى القربى .
- وهذا الحب « الانسانى » ليس غاية فى ذاته . أنه غاية ومى نفس
- الوقت وسيلة الى غاية اسمى ؛ هى حب الوطن بكل ما بفرصه هذا
- الحب من التزام ومسئولية ، واستعداد لبذل الحياة ذاتها من أجله .
- والتفت الى مجدى فهمى قائلا :
- مجدى . . انت دائما تصيب كبد الحقيقة . .
- ليس دائما والا أصابنى الغرور !
- ويستطرد صاحكا :
- ما هى آخر حقيقة أصبت كبدها ؟
- فو لك ان الأمل من هنا .
- فعلا لم يعد الا من هنا .
- ومنذ ذلك التاريخ نفطنا كل الأوهام عن كاعلنا . لنبدأ من جديد .
- من السجن ، وبالزملاء الذين اتبعوا خلال نضالهم خارح السجن ودخله ،
- انهم قادرون على مواصلة المسيرة .
- كيف بدأنا ؟ وما الذى أنجزناه منذ منتصف عام ١٩٥٧ حتى انتقلنا
- من سجن « جناح » بالواحات الخارجة الى سجن « المحاريق » بنفس الواحات
- فى أغسطس عام ١٩٥٨ ؟
- هذا ما سوف أحدثك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبى .

٣٠ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٩)

حببتى

كان علينا بعد منتصف عام ١٩٥٧ بعد اعتزاز الفئة بزملائنا فى الخارج ، أن نسنم أملنا فى مواصلة المسيرة من زملائنا فى السجن بعد خروجنا . كان عرارنا : من السجن نبداً من جديد . هذا على الرغم من الأخبار التى وصلتنا عن مباحثات الوحدة بين التنظيمات الثلاثة وفرب وصولها الى تنظيم واحد « تسامخ » ! ولقد كان شعار الوحدة جذاباً للغالبية العظمى من قواعد وفادات التنظيمات الشيوعية فى مصر . وكان موقف المسجونين من الوحدة بنجس فى وحدتهم الطبيعية فى مواجهه ظروف السحر وانعكاس هذه الظروف على أفكارهم السياسية والابجوبولوجيه والمنظميه . لذلك رحبنا بأخبار مفاوضات الوحدة . وان كان هناك سؤال بجول فى أعماقنا : لماذا ادفعت القيادات التى عاشت سنوات طويلة ممسمة على بعضها ، وبحكم كل منها على الآخر بالانحراف ، والانتهازية ، بل والخيانة ، الى **الوحدة** ، وبهذه **السرعة الجنونية** ؟ وهل ينبع هذه الوحدة من ايمان حقيقى بضرورة انهاء **الانقسام الطويل** ، أم أنها محاولة بائسة لقيادات تشعر **باهتزاز** ثقة فواعدها بها ، وتحاول استرداد هذه الثقة ؟

وكان علينا أن نجيب على السؤال الكبير .

كيف نعد انفسنا ، ونعد الزملاء لمواصلة المسيرة بعد خروجنا من السجن على أسس نظرية وسياسية أكبر وضوحاً ؟ وكانت الاجابة هى : دعوه كل الزملاء الى تفنيم كل المواقف الفكرية والسياسية لزملائنا فى الخارج منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بهدف الخروج بدروس **مستخلصة** . وفى وجه معارضة سريه واتهامات عديدة لنا من بعض الذين حضروا البناء فى عام ١٩٥٧ ، قررنا تخصيص النشرة الداخلية لمناقشة موضوعات أذكر منها : الموقف من ثورة ٢٣ يوليو عند قيامها . الموقف من أزمة مارس ١٩٥٤ . الموقف حلال **العدوان الثلاثى** . مفهوم الوحدة الوطنية وعلاقته بمفصلة الديمومراطية والحريات السياسية ، كذلك مناقشة أهم الموضوعات النظرية التى تضمنتها بعض النقديرات الأساسية التى كتبها زملاؤنا فى الخارج وأهمها . « حزب السلطة » . و « **الوحدة مع الانتهازية** تغليب لها » و « **قرارات ديسمبر ١٩٥٦** » .

وخلال أشهر قليلة صدر من النشرة الداخلية ، الوعي ، عشرون عددا احتوت على رأى الرسمى وكان الذين يدافعون عنه يدافعون على الواقع عن ذواتهم ، وعلى رأى المعارض ، ومد جاء بأراء جديده ، وأخري كانت مرفوضة رسميا فى وقتها على الرغم من صحتها . وفضلا عن أن هذه الاعداد من النشرة ، كان لها قيمتها السياسيه والفكرية ، فانها قد أكدت حقيقة ان **اطلاق حرية كل الزملاء** فى المؤسسة ترفع من وعيهم ، وتؤكد ذاتهم ، وتزيدهم ثقة بانفسهم . وتقدم كانت هذه التجربة التى لم تحدث فى تاريخ التنظيمات الثورية فى مصر أو خارج مصر مؤشرا لمفهوم جديد بدأت صياغته الأولى منذ ذلك الحين عن **الديموقراطية داخل التنظيم** ، ربما نستطيع أن نكتب عنه فى وقت آخر فليس موضعه هنا .

لكن ما أود قوله هنا ، هو أن هذه التجربة الفريدة رغم أنها كانت منافية للتقاليد التنظيمية المعروفة ، فانها قد أجابت على العديد من الاسئلة المطروحة وقتئذ . كيف ينق الزملاء بفكرهم على مواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن بعد أن نصصوا عن كنههم التعلق بأوهام نساط زملائهم فى الخارج ؟

كدف يحفظون بطهارتهم الثورية ونقايتهم الفكرى بعد انمام الوحدة بين التنظيمات الثلاث وما سوف يواجهونه من أرماب فكرى تحت ستار « **المحافظة على الوحدة** » ؟

كيف يمكن أن يفهموا عددا من الحقائق وبسخلصوا منها نجربة جديدة لمواصلة نشاطهم بعد الخروج من السجن ، حفيضة سكانية الوحدة ، وحقيقة سقوط القيادات التقليدية ، وحقيقة أنه لا أمل الا فى الجديد الذى يقوم على أكتافهم ، وحقيقة أن قضية الانسراج عنا قد تراجعت الى الخلف ، وأصبح الأمل هو فى الخروج من السجن بعد انتهاء مدة العقوبة ؟

كيف يمكن أن يصمد الزملاء فى وجه « ظروف السجن الصعبة » محافظين على شرف التزامهم بالفكرة رغم هذا الواقع المؤلم ، داخل السجن وخارجه ؟ لقد خلقت تلك التجربة الفريدة نواة صلبة . نمك وضوحا سياسيا وفكريا ، كان سلاحها فى القتال ضد اليمين ومحمد انيسار داخل تنظيم الوحدة الجديد ، وكان سلاحها الذى قاتلت به دفاعا عن سرفها والتزامها .

وتشهدت الشهور السابقة على نقلنا الى سجن « **الخاريق** » بانواعات **الخارجة فى أغسطس عام ١٩٥٨** أحداثا « عامة واخبارا مثيرة » . من بين هذه الأحداث « الهامة » شهدت تعثر مفاوضات الوحدة بين **التنظيمات الثلاثة** وعلانها بين تنظيمين ، فأقمنا احتفالات « بهيجة » مناسبة

هذا الحدث « السعيد » . ثم شهدت اعلان الوحدة بين التنظيم الواحد الجديد وبين **التنظيم الثالث** - واقمنا احتفالات « **مهيبه** » مناسبة هذا الحدث « **التاريخي** » . ثم شهدت انقساماً - بعد اقل من أربعة أشهر من « **التنظيم الكبير** » ! وكان المنقسمون هم الذين اتحدوا معهم منذ أشهر عبر أن الانقسام والوحدة ، ثم الانقسام مرة أخرى لم يؤثر على علامة **المسجونين القدامى** التي دعمتها الخبرة المشتركة خلال سنوات السجن . ولقد ساعدت هذه العلاقة القوية على تنظيم مقاومتنا لما ينتظرنا في سجن « **الحاريق** » الجديد . فبعد اعلان « الوحدة الثلاثية » حمل اليها زملاء القى القبض عليهم في أوائل عام ١٩٥٨ حوكموا ونقلوا اليها في « **جناح** » أخبار بناء **سجن جديد** « **مخصوص** » لنا في **الحاريق بالواحات الخارجة** . ما الذي ينتظرنا في السجن الجديد ؟

ويضحك **حليم طوسون** قائلاً :

- الى أكلنا وز . وز . راح يطلع علينا بط . بط .
كان نقلنا من ليما طره - بعد **الاضراب العام** الذي دخله كل **المسجونين في الليمان** - الى سجن هو أقرب الى معسكر ، اجراء سريعاً لعزلنا عن المسجونين هناك ، وحتى يتم بناء **سجن « الحاريق » في قلب الصحراء** .

هل يطبق علينا نظام المسجون التقليدي ، في سجن مثل هذا في قلب الصحراء ؟

ويهمس اليها أحد الضباط الاصدقاء . .

- سينتقمون للسنوات التي أخذتم فيها **حريقتكم** هنا في « **جناح** » . .
- وهل يملكون أكثر من النظم التقليدية للمسجون العادية ؟
- لقد أعدوا لكم نظاماً خاصاً .

ونبدأ في اعداد أنفسنا للحياة في سجن « **مغلق** » في قلب الصحراء .
لم يدر بخلدنا يوماً أننا سننقل الى سجن له « **زنزانات** » مرة أخرى في قلب الصحراء . حسبنا أنهم قد القوا بنا هنا الى ما لا نهاية . لكنهم كانوا يتامظون غيظاً ، فكيف نكون **مسجونين ونعيش كالبشر** ؟ كانوا يريدون « **بسجننا** » أن نمتنع عن تعاطي « **النفاسة والفكر** » فإذا بنا ننهل منهما لنغذي عقولنا وأرواحنا ؟ كيف يغمض لهم جفن ، أو بهدا لهم بال ، ونحن هنا ، في **الصحراء** التي أرادوها قبراً لنا نغنى ونرقص، ونمिम الاحفالات ، ونعرض المسرحيات ؟

كم بقى أمامنا من وقت كي نعد أنفسنا للظروف الجديدة في **السجن الجديد** ؟ ويأتى اليها الخبر « من منبعه الأصلي » من مكتب

قائد السجن الحربى • ! ويحمله الينا الزميل محمد مختار جمعه الذى وصل الينا حديثا ، فى أبريل ١٩٥٨ ، بعد اعلان الوحدة « الشامخة » ! بما لا يزيد عن ثلاثة شهور • كان مختار جمعه مجندا فى الجيش حين القوا القبض عليه • عذبتة المخابرات العامة ، « نفختة » و « جلدتة » وحرقت ظهره بالحديد الحى « وخلعت أظافره » ، ووضعوه عاريا فى الماء المغلى ، كى يعترف على واحد من زملائة ولكن دون جدوى • كان بطلا ، فاقت بطولته الأسطورة • وحين ضاقوا ذرعا ببطولته وهم الجبناء رغم كل ما يملكون من حديد ونار قرروا ارساله الى سجن « جناح » بالواحات الخارجة • وفى مكتب قائد السجن الحربى قبل ترحيله بساعات سمع محمد مختار نقاشا بين قائد السجن وبين أحد ضباط المخابرات :

- مش كان أحسن نرميته هنا ؟

- مفيش فايدمه • • لن يتكلم •

- راح يا خذ حريقته فى « جناح » • •

- كلها كام شهر ويروحوا كلهم « المحارب » •

وتأتى الينا أخبار أخرى تؤكد ان سجن « المحارب » على « التشطيب » وأن بعنة من ضباط المباحث العامة ، والسجون والمخابرات ، قامت بزيارته للإشراف على التشطيبات النهائية ، ووضع نظام لحياتنا هناك • وقررنا أن ندخل فى سباق مع الزمن حتى لا نفاجأ بنقلنا الى المجهول الذى لم نستعد له •

المعرفة هى زادنا الذى لا يمكن أن نعيش لحظة بدونيه وتحت أى ظرف من الظروف مهما بلغت قسوته • هذه الكتب والتقارير والبحوث والاجلات سوف يلقون بهما الى أفواه النيران لتلتهمها • ولكن متى استطاع اعداء المعرفة الانسانية ، بكل ما يملكون من أدوات البطش والارهاب ، وعلى مر العصور ، أن يحجبوا المعرفة عن طلابها ! وكان أول قرار نتشذه هو إعادة نسخ كل ما نملكه من كتب وبحوث على ورق « البفرة » وصنعنا « نسخة لشراء كميات منه » بسرعة من بلدة « جناح » التى شرب أهلها « الف » ، وتكليف أهاليها بشراء أكبر كمية منه من القاهرة • وخلال أقل من شهرين تم نسخ عدد كبير من الكتب الهامة ، وكل التقارير والبحوث التى نملكها على ورق « البفرة » بخط رفيع جدا وغاية فى الوضوح ، نستطيع قرائته دون جهد كبير •

كان حماس الزملاء وهم يقومون بإعادة نسخ ما فى هذه الكتب والتقارير من معرفة على ورق « البفرة » يفوق التصور • كانوا حريصين عليها حرصهم على حياتهم • وهل يمكن أن تكون لحياتهم معنى •

بدون الثقافة والفكر ؟ **التأثر لا يموت** ، اذا قتل أو مات ، انه يموت فقط عندما يحجبون عنه **المعرفة** . وأبدا لن نستسلم ، لن يقتلوا ما فى داخلنا من حب وصدق وشرف وانسانية نعرفها من معين المعرفة الانسانية الذى لا ينضب أبدا .

كانت عملية النسخ تجرى بسرعة لتسبق الزمن . مجموعات الزملاء تعمل ٢٤ ساعة فى اليوم ، هذا يقرأ وآخر يكتب ونالت يراجع . مسئول « الحياة العامة » يدور على المجموعات المختلفة ، يوزع عليهم السجائر ، يرفضون حيناً ويطلبون بدلا منها ورق « بفرة » وحيناً آخر يقبلون حتى تعينهم على السهر طول الليل . لم نكن فى حاجة الى جلسات توعية كتلك التى عقدناها قبل نقلنا من **ليمان طره الى « جناح »** . ان حماس الزملاء وأقبالهم على اعادة « نسخ » ما لدينا من فكر وثقافة تحسد لما بدور فى نفوسهم ، أنه أقوى من أى كلام يمكن أن يقال فى مثل هذه الظروف ، ما الذى يمكن أن يقال لزملاء أعدوا أنفسهم لمواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن وهم لا يملكون شيئا سوى ارادتهم ، وتحديهم لواقع مؤلم وصعب داخل السجن وخارجه ؟ كان دأبهم على هذا العمل المضنى ، كما كانت تعليقاتهم المزوجة بالسخرية ، تجسيدا لاصرارهم على **رفض الهزيمة** .

وفى غمرة هذا النشاط الكبير الذى يستعد للحياة الجديدة ، المعرونة والمجهولة فى **سجن « الحاريق »** تأتينا أنباء انتصار ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى العراق من راديو القاهرة . ونظل طول الليل نسمع تعليقات الاذاعات العالمية ، واعلان القاهرة بوقوفها الى جانب الثورة ضد أى تدخل اجنبى ، يبعثه **جمال عبدالناصر** من عرض البحر خلال عودته من **موسكو** . ونلمح بين بعض الزملاء تفاؤلا بافراج قريب ، ونقرأ بيانا يصدره أقطاب « التنظيم الواحد » الثلاثة ووقعون عليه بأسمائهم !

ونتساءل بسخرية :

- ليه كده ؟
- وأيه المناسبة ؟
- ليجدوا مكانا تحت الشمس .
- ولان يجدوه كما بتوقعون .
- ربما كان وراء الشمس .
- لم يتعلموا بعد . .
- سيلدغون مرة أخرى .
- آه لو كانوا مؤمنين .
- ومن أين يأتىهم الايمان ؟
- فواتهم فوق كل اعتبار . .

- اليوم يمين . .
- وغدا يسار .
- كله ماشى .
- وحسب الطلب .

ومرة أخرى يأتينا من زملائنا فى الخارج ما يهدد معنويات زملائنا فى السجن . **الافراج** أقرب مما تتصورون ، اتدوا قائمة بأسماء عدد كبير من **الاخوان المؤيدين** .

ونرى تكاسلا فى عملية نسخ الكتب والتقارير . وتتضاعف مسئوليتنا . ولا نجد سوى الحوار معهم حيننا ، والسخرية بما يقوله الزملاء فى الخارج عن الافراج القريب حيننا آخر . وتجرى الاحداث بسرعة مذهلة نداء شهر « **العسل** » الذى حسب زملائنا أنه آت لا ريب فيه يرفضه الطرف الآخر ، وتلوح بوادر شهر « **البصل** » . ونتوالى التعليقات الساخرة :

- همه كانوا عاوزين عسل أبيض ولا أسود ؟
- مش مهم . .
- مش مهم ازاي . . الأبيض غير الأسود .
- ليه بقى ؟ الأبيض حلو . . والأسود حلو .
- برضه الطعم مختلف . .
- المهم ما يكونش مر .
- وهل يميزون ؟
- انهم لا يبصرون .
- ربما يحسون ؟
- ذواتهم قتلت مصادر أحاسيسهم .

ويعود الزملاء الى حياتهم السابقة فبواصلون عملية نسخ الكتب التى سناخذها معنا الى **سجن « الحاريق »** وينجزون كل ما كلفوا به ويجرى عمل **مخابيء** لها حتى لا تقع عند وصولنا الى **سجن « الحاريق »** . وفى المساء نلمح سيارة المأمور تقف على باب السجن الخارجى فى وقت لم نعتده من قبل . ينزل من سيارته ونراه متجها الى حيث يسكن **الاخوان المؤيدين** . بعد مرور بعض الوقت يزف البنا البكباشى **فؤاد جاسر** خبر **الافراج** الصحى عن ١٠٠ من **الاخوان المؤيدين** . جاءنا الرجل سعيدا ليس لأنه سيخرج من السجن فقط ، وانما لأنه يرى . .

- ده مقدمة **الافراج** عنكم . .
- مش بالضرورة .
- ويقول بدهشة .
- ازاي بقى . . وانتو اللي خلليتونا نؤيد الحكومة ؟
- ولسو . .

- • • وفتضاعف دهشته
- مش ممكن • • ده شئ غير منطقى •
- المهم • • ألف مبروك •
- ساسحب نأبيدى للحكومة اذا لم يفرج عنكم •
- يسجنوك معانينا • •
- زى بعضه • •
- موقف منالسى •
- بل أبسط أنواع الوفاء • •
- أى وطنى خارج السجن • • مكسب للمعركة •
- سامتنع عن العمل السياسى •
- خطبا كبير • •
- خير من التعاون مع من يسجنون أخلص الوطنيين •
- تغلب عواطفك !
- وهل من العقل أن تسجنوا ؟
- عقل الحكام •
- وهل تختلف عن عقولكم ؟
- اختلاف كبير •
- وما مصدره ؟
- الموقف الاجتماعى •
- لكن المعركة ما تزال وطنية •
- يحسبون أنهم قادرون على كسبها وحدهم •
- ولماذا وحدهم فقط ؟
- لضمان موقفهم الاجتماعى •
- ربما لا يفرج عنكم أبدا •
- الا اذا اضطروا الى ذلك •
- وما الذى يضطرهم ؟
- ظروف المعركة التى يمكن أن تفرض الوحدة الوطنية •
- فهمت • •
- وماذا بعد أن فهمت ؟
- سأكون من أقوى المطالبين بالوحدة الوطنية •

وفى ساعة متأخرة من الليل يقبم الزملاء احتفالا يبدعون اليه
 الاخوان المسلمين المفرج عنهم ، لكن لا يحضر سوى عدد قليل منهم البكباشى
 فؤاد جاسر ، والصاغ جمال ، بيبح ، والصاغ احسن حموده ، وسيد الرئيس •
 وفى نهاية الاحتفال تلقى البكباشى فؤاد جاسر كلمة انسانية تتضمن

كل المعانى التى دارت فى حوارى معه • وفى اليوم التالى يشهد سجن
« جناح » **بالواحات الخارجة** مساعد انسانية ، قل أن يحدث مثلها •
أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة با حبيبنى •

أول أغسطس ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة (٤٠)

حبيبتي

ونسعد يوم الافراج عن المسجونين من **الاخوان المسلمين المؤيدين للحكومة الوطنية** مواقف انسانيه عميقة أكدت الجوهر الطيب للانسان . كانت قائمة أسماء المفرج عنهم في مساء اليوم السابق نسمل كل ضباط الجيش وعددا من المدنيين ، ولم تتضمن أسماء آخرين من الاخوان المؤيدين . وظلت هذه المسألة محل تساؤل من الاخوان المؤيدين الذين سملتهم الفائمة والذين لم ترد اسمائهم فيها . مخاوف كبيرة كانت تنقاب الباقيين من المؤيدين ، ليس فقط لعدم الافراج عنهم ، ولكن بسبب ما سوف يلاقونه في السجن بعد خروج فباداتهم . فلقد كان الوضع بين الاخوان المؤيدين والاخوان المعارضين قد بلغ درجة كبيرة من السوء . ولقد بلغت هذه المخاوف حدا جعلت الاخوان المفرج عنهم يفكرون في البقاء الى جوار زملائهم حتى يفرج عنهم هم الآخرين . وأشهد حوارا بين بعض الاخوان المسلمين المؤيدين والمفرج عنهم وبين مأمور السجن :

- هل تقبل استضافتنا عندك كام يوم ؟
- وتجود علامات الدهشة على وجه المأمور .
- استضافتكم ! أين ؟
- هنا في السجن .
- وتزداد دهشة المأمور .
- هل أكذب أذننى ؟
- لا تكذبها . .
- تربدون البقاء في السجن !
- أيوه .
- وليه ؟ مش راح تلاقوا تاكلوا بره ؟
- مش دى المشكلة .
- وهل توجد مشكلة ؟
- أيوه . . اخواننا الذين لم يفرج عنهم بعد .
- ستحل قريبا جدا .
- ننتظر في السجن حتى تحل .

- وبصيح المأمور :
- جـد والا هزار ؟
 - منتهى الجـد .
 - دى بىنى مسئولىه على .
 - ليه بى . . نحن نريد أن نسجن بارادتنا .
 - لا تملكون ذلك .
 - لا مَلِك أن نسجن أنفسنا ؟
 - ولا تملكون الخروج من السجن بارادتكم .
 - اذن سنعبر هنا على أبواب السجن .
 - ولا تملكون هذا أيضا .
 - لماذا ؟ ألم يفرج عنا ؟
 - بعد أن اسلمكم فى القاهرة . . افعلوا ما نسئتم .
 - نحن عهدة ؟
 - تمام .
 - اذن لن نخرج من باب السجن .
 - سأكون مضطرا لاستخدام القوة .
 - ويتوتر الموقف لحظة . . ويقول المأمور مبتسما . .
 - **السجن بالقوة . . والافراج بالقوة . .** أيه رأيكم ؟
 - هل يمكن الاتصال بالقاهرة ؟
 - للحصول على اذن باستضافتكم ؟ أمر غريب .
 - وبضحك واحد من الاخوان :
 - وما وجه الغرابة . . ناس عاوزه تنسجن فيها أنه دى ؟
 - فيها كسر . . **قرار جمهورى** .
 - وهل الحصول عليه صعب ؟
 - جدا . .
 - كان سهلا قبل ذلك !
 - أنا لا أفهم فى السياسة .
 - ويضح الجميع بالضحك ، بينما يحد جرس التليفون . يضع
 - المأمور السماعة ويقول مبتسما .
 - وصل القرار الجمهورى .
 - باعادة سجننا ؟
 - **بالافراج عنكم جميعا .**
 - بتعانقون وبتبادلون التهاني ويعودون الى خيامهم يعلنون الخبر
 - ويستعدون للعودة الى الحرية .
 - يهمس **فؤاد جاسر** فى أذنى :

- ربع ساعة وأكون عندك .
- ويهمس جمال ربيع :
- فين ملك الصحراء . . أنا عاوزة .
- أظن في خيمته .
- ينادى على فؤاد جاسر ، وأخرج له من الخيمة ونجلس تحت ظل شجر التروع الذى زرعه حول كل الخيام . تخرج منه كلمات خجولة :
- الحاجات دي بفي مش لازمانى . حاجة بسيطة كده .
- شكرا يا أستاذ فؤاد . .
- والكلام مرسى دول . . يعنى برضه .
- ستحتاج الى شئ ؟
- لا . . عندي في البنك .
- فصدي . . ربما تحتاج ركوب ناكسى مثلا .
- عامل حسابى - معايا ثلاثة جنيه .
- وبينما أنا أنادى على مسئول الحياة العامة لاسلمه هذه الخيرات من علب الطعام المحفوظة والسكر والشاي والحلاوة الطيحية والسجابر ، فضلا عن عشرين جنيها ، أسمع صوت ملك الصحراء . .
- أنت فين يا أستاذ فؤاد . . أنا دايع عليك ؟
- أنا أهو يا ملك الصحراء . . كان لازم أمر عليك .
- فاضى لمدة ساعة . .
- ثلاث ساعات يا ملك . . أنت عارفا .
- طيب بينا على « الاتليية » . . معانا يا درش .
- نقعد هنا . . في الضلة دي .
- لا في الاتليية . . عاوز أرسلك . .
- حقبقي يا وليم ؟
- وينهض ليعانقه في حب وأخوة . . وفي خيمة وليم نجد كل شئ معدا للرسم ، بجلس فؤاد جاسر على كرسي ويبدأ ملك الصحراء يضع خطوطه الأولى . يقول فؤاد ضاحكا . .
- طيب ما أنا رايع لهم بنفسى يا ملك . .
- وماله . . أصل وصورة .
- وطبعا الصورة أحسن .
- المقارنة بين صورة وأخرى . . وليس بين الأصل والصورة .
- وما هي مقاييس المقارنة ؟
- قدرة الفنان على ان يقول ما يحس به . .
- وهل تختلف بين فنان وآخر ؟

- طبعاً . . ما آراه أنا قد لا يراه غيرى . .
- مثلاً . .
- فنان يغوص فى الأعماق الانسانية . . وآخر يستهوى الشكل الخارجى .
- ويضحك فؤاد ويقول :
- وطبعاً أنا شكلى الخارجى . . الحمد لله . .
- شكلك الخارجى يجسد ما فى داخلك . .
- ويضحك بالضحك . .
- يا ساتر . . حرام عليك يا ملك . أنا بأشوف نفسى فى المراية . .
- لما تشوف الصورة راح تغير رأيك .
- ويدخل الصاغ جمال ربيع تسبقه رائحة « البارفان » النفاذة ، وبرتدى البدلة « الملكى » ، آخر أناقة ، يحيينا ويقول موجهها حديثه إلى فؤاد جاسر :
- مش كان احسن تلبس البدلة يا فؤاد . .
- ويرد الملك :
- ما كنتش راح أرسمه .
- يعنى مش راح ترسمنى يا ملك .
- ما أنا رسمتك ثلاث صور .
- كانت بهدوم السجن .
- ويقول وليم ضاحكاً :
- واحدة منهم بالروب .
- كانت هايلة . .
- أبدا . . كانت وحشة . . أوحش صورة رسمتها .
- ويضحك جمال . .
- كل ده بسبب الروب . .
- أنا ما أحبش الأرواب والا البدل « الملكى » ،
- البس بدلة « جمهورى » ،
- ما أنت خلعتها خلاص . .
- ويضحك الجميع بالضحك . ويقول جمال ربيع :
- وحياتك يا ملك . . صورة كده سربه .
- فوتوماتون ؟ . .
- حتى ولو بالقلم الرصاص . .
- بشرط . . الوجه بس .
- ونضح بالضحك مرة أخرى ، وتتوالى التعليقات :
- يا خسارة القيافة دى كلها .

- طُلبَ ياقنة انجاكتة وعقدة الكرافنة .
- لو بالألوان كان ممكن .
- الغل والنور يغنى عن اللون .
- المهم تبصى الصورة مختلفة .
- وأييه وجه الاختلاف ؟
- صورة مسجون . . وصورة مفرج عنه .
- تعبيرات الوجه .
- ويتدخل ملك الصحراء قائلا . .
- اذا كان كده مس راح أرسم .
- وينزعج جمال ربيع . ويقول .
- لييه يا ملك ؟
- مش سايف أى فرق .
- ازاي بفى ؟ دى مسألة مهمة قوى . .
- تبقى تنتظر كام يوم لغاية ما أشوف الفرق .
- يا ملك بلاش هزار . . مفيش وقت .
- استنى سنوية . . يمكن أشوف حاجة استحق أرسمها .
- الله يسامحك . . مش لافى حاجة فيه تستحق ترسمها ؟ . .
- أنت فاهم قصدى ؟
- طبعاً . . طبعاً . . أماننا وقت .
- أكثر من ساعة لم يتحرك خلالها فؤاد جاسر من جلسته .
- يهمس قائلاً :
- نشرب سيجارة يا ملك .
- وفنجان قهوة « قشطة اليمن » .
- قهوة « فلاحين » ولا « مثقفين » يا ملك .
- كلك نظرياً درس . .
- قهوة « فلاحين » طبعاً .
- تبقى بتحب الاستاذ فؤاد جاسر .
- ويضحك وليم وأضحك ويصيح فؤاد جاسر .
- أييه الحكاية . . فهمونى علشان أضحك معاكم .
- أقوم باعداد قهوة « الفلاحين » بكل ما يلزمها من طقوس ، وأشرح لفؤاد الحكاية ، وجلس وليم اسحق يتأمل الصورة التى أوشك على الانتهاء منها . تعبيرات وجهه تدل على رضائه عنها ، وهو ناسداً ما يرضى عن صورة يرسمها . أقول لوليم :
- أسرع صورة ترسمها يا ملك .

ويفول بأسى :
 - وربما آخر صورة !
 ويقول فؤاد جاسر بصوته الودود :
 - ربنا يديك طولة العمر يا ملك .
 ويرد بأسى :
 - مين عارف راح ارسوم فى سجن « المحاريق » والا لا . .
 وأقول منسجعا :
 - لن ننوقف عن الرسم يا وليم . . ثن .
 ويرد بسخرية مريرة :
 - أنق فى عجله القاريخ . . مش كده ؟
 ونسود لحظة صمت تقطعها نبرات صوت ولسم بحمل الأسف
 - متأسف يا درش . . انت مش نافص هموم .
 - وأنت جزء هام من همومى يا ولسم .
 - ما هو علشان كده . . كان لازم ألم لسانى :
 وأقول ضاحكا . .
 - طب لم صورة فؤاد بفسى .
 ويعود الى فرشاته وألوانه . تعبيرات الأسف ما نزال على وجهه .
 الفرشاه تهتز فى يده قليلا . . بتركها يرتشف رشفه قهوة . وأقول
 ضاحكا . .
 - قهوة « فلاحين » اكسير الحياه .
 يعود الى فرشاته ويمسكها بحيوبه ويمزج على « البالنسا » عددا من
 الألوان ، يضعها فى اللوحة ويقول :
 - سوف يا درس . . عيفك فيها سبه كبير من عنين فؤاد . .
 - وأيه اللي ببجمع بينهم يا وليم . . .
 - صدق الانسان .
 ونسمع أصوات تنادى على فؤاد جاسر . حان الوقت لسفر المفرج عنهم .
 فؤاد لا يتحرك من مكانه ويظل جالسا فى صمت ووليم يواصل الرسم
 بهدوء ، وحوار سريع يدور بين تعبيرات تجسدها اللحظة على وجه
 فؤاد ولتقطها روح الفنان لتضعها ريشته فى الصورة .
 - أحسن صورة رسمتها فى حياتى .
 وبنهض فؤاد جاسر من جلسته وبعانق ولیم اسحق ، يقبله والدموع
 تجرى على خدوده . وأرى فؤاد يبذل جهدا خارقا للتغلب على انفعالاته ،
 وأشول ضاحكا :
 - خد بالك يا فؤاد الألوان لسه طريقه . .
 وبصعوبة شديدة نسحب فؤاد جاسر خارج خيمة ولیم اسحق كسى
 يذهب الى خيمته ليردى ملابسه « الملكى » وباخذ حاجياته ، فموكب

٢٠ المخرج عنهم قد اوشك على التحرك .
وعند باب السجن يتجمع كل الزملاء ليودعوا اخوانا لهم دخلوا
السجن وهم مختلفون معهم فى كل شىء ، وخرجوا منه وقد انفقوا على
شىء واحد ولكنه أساسى وجوهى ، مساندة الحكم الوطنى بقيادة
جمال عبدالناصر ، من أجل مصر أم جميع الوطنيين ، وحبية كل
الشرفاء .

وخارج أسوار السجن ، بالقرب منها ، تشهد صحراء الواحات الخارجة ،
ما لم تشهد أبدا عبر الأزمان والعصور . صورة عدد من الإخوان
المسلمين يعانقون ، وهم ومحبسة من يختلفون معهم فى الفكر ، ويجمعهم
حسب مصر .

منى تشهد القاهرة هذه الصورة ؟ متى ؟ . بل منى تشهد الوطن
العربى كله هذه الصورة ؟ متى ؟ .
ونتحرك العربات تحملهم الى الحرية ! وتعود الينا بعد أيام قليلة كى
تحملنا الى سجن الحاريق ! .
اكتب اليك رسالتى المقبلة وأنا فى الطريق اليه يا حبيبتى .

٢ أغسطس ١٩٧٧
القاهرة

تم الجزء الأول

الجزء الثاني « تحت الطبع »

رقم الايداع ٧٨/٤٥٩٤

الترقيم الدولي ٧ - ٥٨ - ٧٢٠٠

« دار الطباعة الحديثة »

اول شارع الجيش - تليفون ٩٠٨٣١٨
القاهرة

